دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

عدد خاص

بمناسبة عيد العرش المجيد



العدد 282 • شعبان 1411 هـ / مارس 1991 م •

بسم الله الرحمن الرحيم

إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم

صدق الله العظيم

إن الاحتفال بذكرى عيد العرش، كان ولا يزال
البرهان الساطع، والدليل القاطع على ما نكنه
لك من حب وعطف، وما تكنه لنا من ولاء وإخلاص،
أعربت عنه في شتى الأحداث والمناسبات، فكان
بين مشاعرك ومشاعرنا وعواطفك وعواطفنا،
ذلك التجاوب القوي، والتماسك المكين
والوفاق الخالص المتين

من خطاب
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
الذي ألقاه - حفظه الله - يوم الأربعاء 29 شوال 1384
موافق 3 مارس 1965 بمدينة مراكش، بمناسبة
الذكرى الرابعة لجلوس جلالته على عرش أجداده المنعمين.

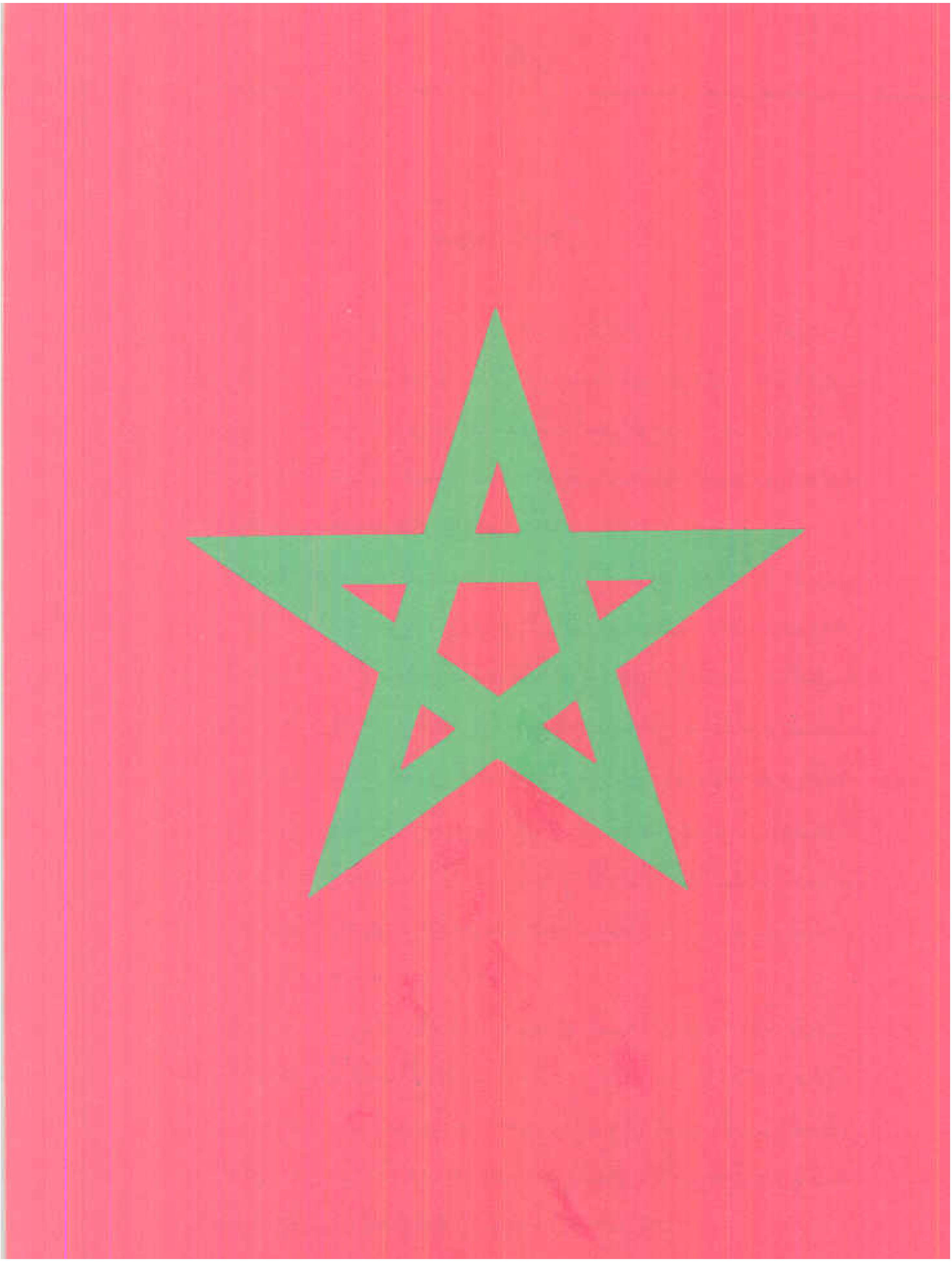
شجرة

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني

نصره الله

هو صاحب الجلالة الحسن الثاني بن محمد الخامس
ابن يوسف بن الحسن الأول بن محمد الرابع
ابن عبد الرحمن بن هشام بن محمد الثالث
ابن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف بن علي الشريف
ابن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف
ابن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل بن القاسم
ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن
ابن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة
ابن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن
ابن أحمد بن إسماعيل بن القاسم
ابن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل
ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام
علي وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا

محمد صلى الله عليه وسلم



تهنئة

تهل على الأمة المغربية في هذه الأيام السعيدة، الطلعة الميمونة للذكرى الثلاثين لاعتلاء رمز سيادتها، ومحقق آمالها، وصانع أمجادها، وضامن وحدتها، مولانا أمير المومنين وسبط الرسول الأمين جلالة الملك الحسن الثاني، عرش أسلافه المنعمين، أدام الله عزه وعلاه، وسدد خطاه، ووفق مسعاه.

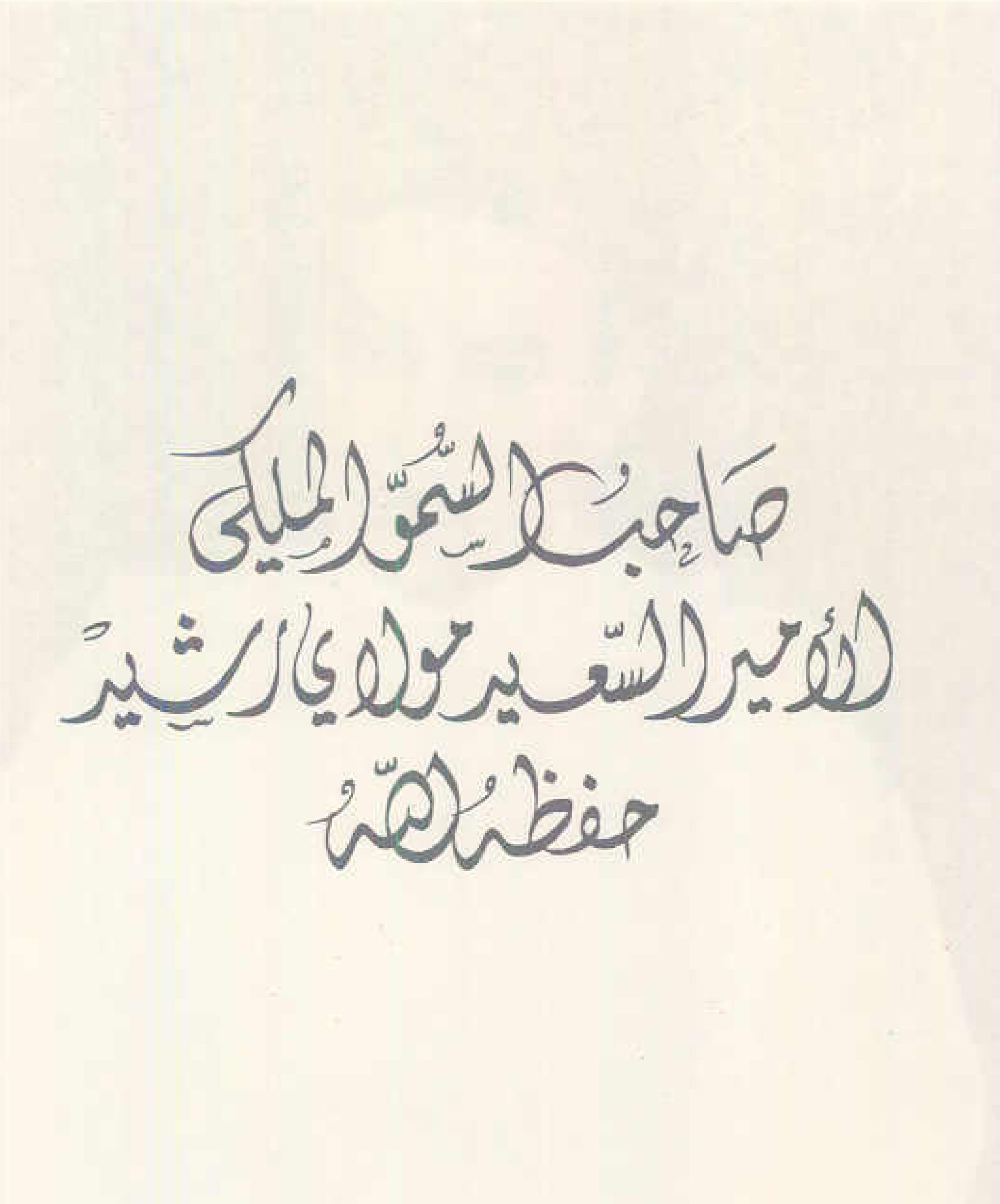
وبهذه المناسبة العظيمة، يسعد وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة مجلة (دعوة الحق)، أن ترفع إلى المقام العالي - أسماه الله وأعز أمره - أخلص آيات ولائها، وأصدق مشاعر وفائها، إلى سدته المنيفة، ضارعة إلى الباري جل وعلا أن يحوطه بعنايته، وأن يكلأه برعايته، وأن يجعل جهوده المباركة، وأعماله المتواصلة، التي يكرسها لخير وطنه وشعبه، محفوفة بالتوفيق، ومقرونة بالنجاح، كما نسأله سبحانه، أن يكلل مساعيه الخيرة، وتطلعاته النيرة، لصالح الأمة الإسلامية بما يحقق لها عزتها، ويحفظ كرامتها، ويضمن سلامتها ووحدتها، وما نؤمل لها من دوام تقدمها، وتواصل ازدهارها.

حفظ الله مولانا الإمام بما حفظ به السبع المثاني والقرآن العظيم، وأدام نصره، وخلد في صالح الأعمال ذكره، وأبقاه ذخرا للبلاد وملاذا للعباد، وأقر عين جلالته بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.



صاحب السمو الملكي ولي العهد
الأمير الجليل سيدي محمد
حفظه الله





صاحب السمو الملكي
الأمير السعيد مولاي رشيد
حفظه الله



ذكريات مشرقة وأيام خالدة
في تاريخ
العرش العلوي المجيد



صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده يتسلم من والده المنعم جلالة محمد الخامس
ظهير إسناد ولاية عهد المملكة المغربية إلى جلالته.

نصّ الظّهير الشّريف

الذي أَسْنَدَ بمقتضاه

جلالة المغفور له محمّد الخامس قدّس الله روحه

ولاية العهد

إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثّاني نصره الله وأيّده

نص الظهير الشريف

الذي أسند بمقتضاه

جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه

ولاية العهد

إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده

جلالة ملك المغرب

المملكة المغربية

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

يعلم من ظهيرنا الشريف هذا - أسماه الله وأعز أمره - أنه رعيا لما تواضعت عليه الأمم الإسلامية، وجرت عادة ملوكها به في مشارق الأقطار ومغاربها من اهتمام بولاية العهد، وتوخي الأصلح في اختيار من تناط به وتعهد إليه أعباؤها سعيا في تثبيت قواعد الدولة، وتدعيم أركانها، وضمان استقرارها، ورعيا للثقة التي أوليناها نجلنا البار صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن - أصلحه الله - لما برهن عنه سموه من الخبرة والكفاءة والاقتدار في القيام والاضطلاع بمختلف المهمات التي أسندها جنابنا الشريف إلى عهدته في ميادين الشؤون المدنية والسياسية والعسكرية، ولما ثبت عنه من إخلاص لمصالح البلاد العليا، وغيرة عليها، وتمسك بها، ورعاية لها في جميع الظروف والمناسبات، في المحضر والمغيب، وفي أحوال الشدة والرخاء، والسراء والضراء، ورعيا للتعلق المتبادل، والتعاطف الثابت المكين بين سموه وبين عموم أفراد رعايانا وطبقاتهم، وقياما من جنابنا الشريف بواجب النظر لما فيه صلاح شعبنا وسعادته، اقتضى رأينا السديد أن نضفي على نجلنا البار صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن الصفة التي امتاز بها وتناقلتها الألسنة، ولذلك أصدرنا أمرنا الشريف بما ياتي :

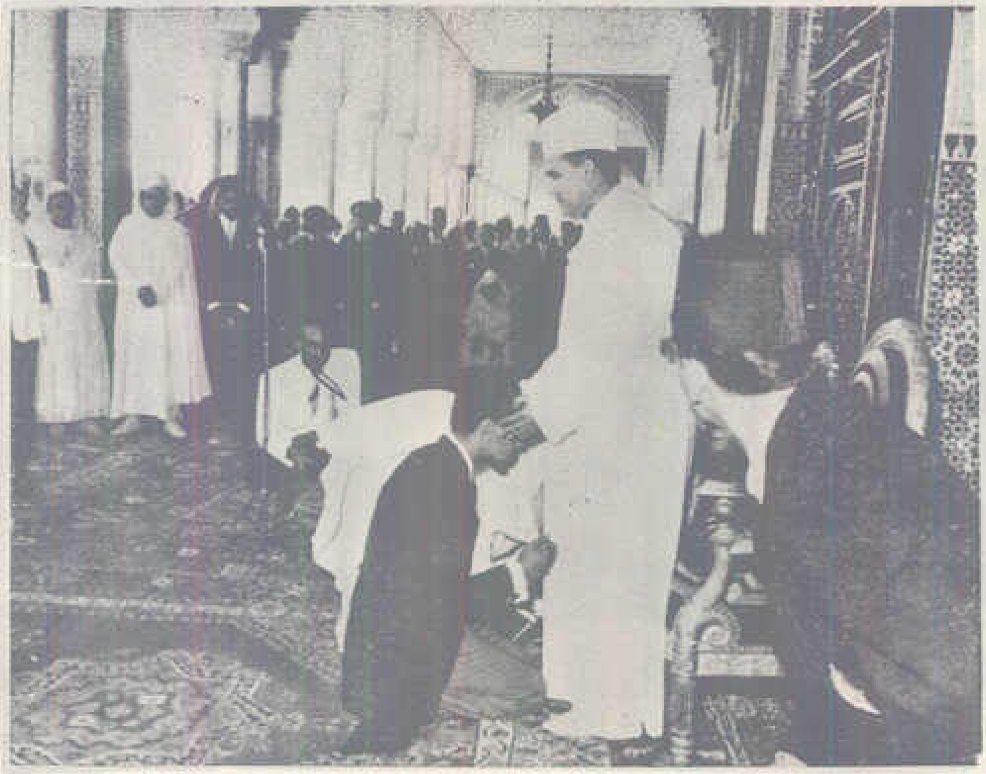
الفصل الأول :

تسند ولاية عهدنا لنجلنا البار صاحب السمو الملكي الأمير مولاي الحسن.

الفصل الثاني :

يجري العمل بظهيرنا الشريف هذا ابتداء من عاشر ذي الحجة عام 1376 الموافق تاسع يوليه سنة 1957، فنأمر الواقفين عليه من خدامنا ورعايانا أن يعلموه ويعملوا به، كما نأمر ولي عهدنا أن يواصل جهوده لما فيه خير رعايانا وصلاحهم ورفاهيتهم، ماضيا في ذلك على النهج الذي رسمناه وحددناه، وسالكا السبيل الذي بيناه وأوضحناه، رعاية منا لمصالح الأمة، وحفاظا وعناية بشؤونها واهتمامها. والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يحملنا على أقصد السبل وأقومها، ويقرن أعمالنا باليمن والصلاح، ويكلل مساعينا بالظفر والنجاح، إنه ولي التوفيق والتسديد، والهداية والتأييد، والسلام.

وحرر بالرباط في 7 حجة الحرام عام 1376 موافق 6 يوليه 1957.



﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ صدق الله العظيم.

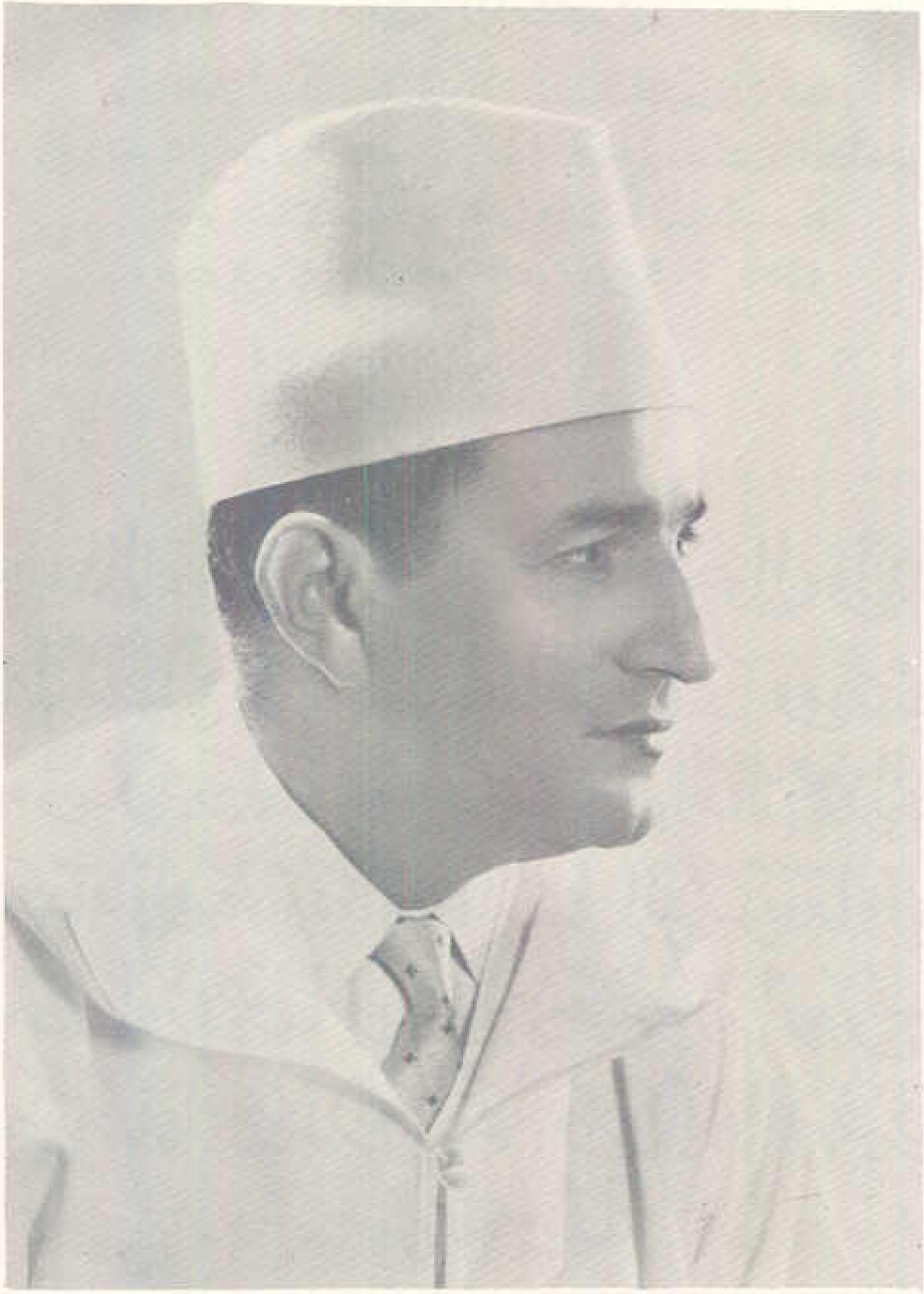


صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده لحظة تنصيبه ولياً لعهد المملكة
في عيد ميلاده الثامن والعشرين بتاريخ 9 يوليوز 1957.

نص القسم

الذي ألقاه جلالة الملك الحسن الثاني
بين يدي والده المنعم جلالة المغفور له محمد الخامس
حين تنصيبه الرسمي وليا للعهد
بقصر الرياض بالرباط صبيحة يوم 9 . 7 . 1957.

أعاهد الله على أن أكون في جميع الأحوال والظروف مخلصا لمصالح بلادي العليا، راعيا لها ومتمسكا بها، مؤتمرا في ذلك بأوامر صاحب الجلالة محمد الخامس ومنتهيا بنواهيه، وسالكا السبل التي رسمها والطريق التي خططها وأوضحها، دفاعا عن حوزة البلاد، ومحافظة على سيادتها ووحدة ترابها، ورعاية الصغير والكبير من شؤونها.



خطاب
جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
بمناسبة تنصيب
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
وليا لعهد المملكة

خطاب
جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
بمناسبة تنصيب
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
وليا لعهد المملكة

الحمد لله   والصلاة والسلام على رسول الله

شعبنا الوفي

نتوجه إليك بالخطاب في هذه اللحظة السعيدة من تاريخنا الوطني، فنشكرك على ما أعربت عنه وتعرب في مختلف المناسبات من تعلق بأهداب العرش الشريف والالتفاف حول ملكك الذي استحوذت على جملة تفكيره وهيمنت على كافة نشاطه فأصبح لا يفكر إلا فيك ولا يسعى إلا في إصلاح حالك وإعزاز جانبك ورفع مستواك. وإن هذه الثقة التي ما زلت تولينا إياها لهي النبراس الذي نهتدي بسناه في حل ما يعترض من المشاكل ويواجه من الأزمات متفائلين معها بالمستقبل السعيد والعيش الرغيد متحققين من الوصول بالبلاد إلى ما تصبو إليه من ازدهار ورخاء وتتوق إليه من مجد وعظمة ورقي وكمال: ولقد سرنا كل السرور بما تقدمت به من متمنيات وأفصحت عنه من رغبات، بإسناد ولاية عهدنا إلى نجلنا البار الأمير مولاي الحسن أصلحه الله. وكان السرور أتم والفرح أعم لكون هذه الرغبات جاءت تلقائية عاطفية وجدانية دفع إليها شعور وطني عميق وإحساس نفسي نبيل. وإن الأمة المغربية أجمعت عليها من غير استثناء ممثلة في مجلسها الوطني وأحزابها السياسية وهيئاتها العلمية ومنظماتها النقابية ومؤسساتها المهنية وجماعاتها الشعبية. فطيلة أسابيع تلقى القصر الملكي آلاف

العرائض والرسائل والبرقيات في تأييد الملتمس الذي تقدمت به حكومتنا في هذا الشأن حتى صارت قضية ولاية العهد بمثابة استشارة شعبية تلاقت فيها أماني الملك والشعب في نقطة سواء.

فإزاء هذه الرغبات الملحة والملتمسات القوية، قررنا تنصيب ابننا الأمير مولاي الحسن فيما رشحناه له صغيراً تنصيباً رسمياً شرعياً قانونياً، فهو ولي عهدنا ووارث عرشنا والقائم بأمر الملك والمضطلع برئاسة الدولة من بعدنا، ولم نكن شهد الله لنقدم على توليته وإسناد تبعة العهد إليه ومسؤوليته لو علمنا أنه غير أهل له ولا كفء للنهوض بأعبائه، فإننا إن فعلنا ذلك نكون مسؤولين أمام الله والتاريخ عما يظهر منه من تهاون ويقع من أخطاء، ولكننا رشحناه لولاية عهدنا منذ الصغر لما لاح لنا فيه يومئذ من مخايل الصلاح وبوادر الاستقامة، ثم التقت اليوم رغبة الأمة مع رغبتنا فيه، بعدما لمسنا جميعاً فيه من حزم وآنسنا من عزم وعلمنا ما له من غيرة وعرفنا ما له من حنكة ورأينا من اقتدار. لقد رأيت منه أثناء أزمات العهد البائد والاصطلاء بحر المكائد والشدائد ما يثلج الصدر ويقر الناظر من غيرة على الوطن وإخلاص للشعب ودفاع عن الحقوق وذياد عن الكرامة وكفاح من أجل السيادة، ثم وجدت منه أثناء المحنة الكبرى خير معين على اجتياز صراطها وأكبر مساعد على حمل أثقالها، وكان البار بإخوته الحاني على أسرته يؤنسهم في الوحشة وينسيهم ألم البعاد والغربة، ويجد اللذة في مرضاتهم، وينشط في قضاء حاجاتهم، ويزيدهم بثباته وصبره إيماناً مع إيمانهم، كل هذا مع شديد حنينه إلى بلاده وتتبعه لسير الأحداث فيها، ويقينه بأن العاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، ولا غرو، فقد ربيته على تعاليم الإسلام

وطبعته بمكارم الأخلاق وأدخلت في روعه الجد والرجولة وعلمته أن الدولة الحقيقية إنما هي في خدمة الوطن والسهر على مصالح سكانه ثم أخذته بالتدريب وعجمت عوده بالتجريب فلم تخب فيه الظنون ولا بدا منه غير المرجو والمأمول، ورأى الشعب منه ما رأيت وعلم مثل الذي علمت حتى أقتسم وإياي فيه الرأي وشاطرني النظر، فنما في قلبه حبه وعظمت في نفسه الثقة به، وإنني في هذه الساعة العظيمة أدعو الأمة إلى شد أزره وتعليق الآمال عليه فقد أعطي القوس باريها وأسكن الدار بانيها. ولتجعل من ثقتها بنا ثقة به، ومن التفافها حولنا التفافا حوله، وتوجيها إليه. وأنا شهيد على إخلاصه ضامن لنصحه وجميل وفائه، وإن من بشائر الرضى وآيات القبول أن تقترن في هذا الحادث السعيد ثلاثة أعياد وتلتئم ثلاث مسرات، مسرة بعيد الأضحى المبارك الذي هو عيد الإسلام الأول وموسمه الأجل، ومسرة بعيد ميلاد الأمير الذي كان فاتحة نهضة وبادرة يقظة، ومسرة بعيد تنصيبه الذي طالما كان أمنية البادي والحاضر ورغبة القاصد والصادر ولا جرم أن اجتماع هذه المسرات بهذه الأعياد سينسيكم ذكرى الواقعة المؤلمة التي حلت بنا في هذا العيد منذ أربعة أعوام يوم نفينا من البلاد وأبعدنا من عرش الآباء والأجداد والحمد لله الذي مسح آية الباطل بآية الحق، ومحا بصبح الحرية والانعتاق ظلام العبودية والرق.

وها نحن باستجابتنا لرغبتك خطونا خطوة كبرى في تقعيد قواعد الملك وإقامة بنيانه على أساس متين، وهذا التنصيب الذي لن يخفف شيئا من عبء الأمانة التي طوق الله بها عنقنا سيزيد ولا شك من مسؤولية ولي العهد ويقوي عزمه

على خدمة البلاد وأهلها أكثر من ذي قبل، وهو داخل في إطار تنظيم الدولة العام الذي كنا وما نزال حريصين على تحقيقه وإبرازه في أحسن مظاهره وأكمل وجوهه، وقد عاهدنا الله على أن لا ندخر وسعاً في تحسين أحوال الأمة وإصلاح نُظم الحكم فيها وآلينا على أنفسنا أن نصل سواد الليل ببياض النهار في العمل على نفعها والسعي في جلب الخير إليها الى آخر رمق من حياتنا محافظين على ما انحدر إلينا من ماضينا المجيد من القواعد السليمة والعادات القويمة ومقتبسين من أحسن ما اهتدى إليه المصلحون في الحاضر من القوانين التي تبسط الأحكام وتقيم العلائق بين الرئيس والمرؤوس على صرح التعاون والمودة والاحترام بهمّة لا تعرف الملل وعزيمة لا يتطرّق إليها الكسل حتى نصل بشعبنا الوفي إلى ذروة الكمال، ونبلغ به مصاف الدول الديمقراطية العظيمة.

وأنت يا بني،

ها قد أفاء الله عليك من عوارف إنعامه وأضفى عليك سوابغ فضله وإكرامه وألّف بين القلوب على حبّك وأطلق الألسنة بمدحك والثناء عليك، فاحمد الله الذي شرح للإيمان صدرك ورفع بالأخلاق قدرك، ونشر بالتضحية في الخافقين ذكرك، وإياك أن تحيد عن صراط الإسلام القويم أو تتبع غير سبيل المومنين فإنه لا عدّة في الشدائد كالإيمان، ولا حلية في المحافل كالتقوى، واعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة، وتقرّب منه بالأعمال الصالحة ذراعاً يتقرب منك توفيقه باعاً، واجعل القرآن المصباحَ الذي تستضيء به إذا ادلهمّتِ الدياجي واشتبهت عليك السُبل، وليكن لك في رسول الله وصالحي الخلفاء أسوة حسنة، أولئك الذينَ هَدى اللهُ فبِهُداهم اقتدِه.

يا بني،

أوصيك بالمغرب بلدك الكريم ووطنك العظيم، مستقر الجد والوالد، ومستودع الطارف والتالد، خميلتك التي ارتاضت بنسائمها رئتاك، وتملت من محاسنها مقلتاك، وتغنت بألحانها شفتاك، فحافظ على استقلاله ودافع عن وحدته الجغرافية والتاريخية، ولا تتساهل في شيء من حريته ولا تتنازل عن قلامة ظفر من تربته، وإياك أن تقبل المساومة على أمنه وسلامة سكانه، وإذا داهمته الأخطار أو تهددته الأعداء فكن أول المدافعين، وسر في طليعة المناضلين كما رأيتني يوم تعرضت معي للبلاء، فبدوت بطلا كامل الرجولة شهما تام المروءة واخترت معي من أجل هذه البلاد شظف حياة الشرف على رغد عيشة الاستخذاء، وارجع بين الفينة والأخرى إلى التاريخ يحدثك عن همم أجدادك وعزائم أسلافك، وكيف أخلصوا النية لله في حماية هذا الوطن وحياطته من الأهوال والأخطار، فجندوا الجنود وأعدوا العدد لاسترجاع مراسيه وتحصين ثغوره ودرء الطامعين وصد المغيرين. فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف، وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته أمرا يقتضيه منك شرف المسؤولية وتفرضه عليك تقاليد الأسرة في آن واحد.

وكن يا بني ديمقراطي الطبع شعبي الميول والنزعات، فأنت تعرف أن أسلافك الأكرمين ما وصلوا إلى الملك قهرا ولا اقتعدوا العرش قسرا، وإنما كان تقدمهم إلى السلطان ضرورة دعت إليها مصلحة الوطن العليا أوى منهم الشعب إلى ركن ركين ولاذ بحصن حصين، واجتمعت عليهم كلمته بعدما وزعتها

الأهواء وشتتتها الفتن، فحموا الذمار، ونفوا العار، واجتهدوا في رتق الفتوق ورأب الصدوع، وحماية البلاد من المطامع ووقايتها مما يتهددها من أخطار، متعاونين مع أمتهم مقتسمين وإياها الحلو والمر والسراء والضراء. فاحرص يا ولدي على تتميم رسالة أسلافك والمحافظة على الأمانة التي من أجلها دعوا إلى الملك وتبوأوا أريكة السلطان، وكن من الشعب وإلى الشعب يسعك ما يسعه ويضيق عنك ما يضيق عنه، ولا تبخل عليه براحة ولا تضن عليه بمجهود، وآثره على قرابتك الوشيجة وبطانتك المقربة، فإنه أسرتك الكبرى، وعشيرتك العظمى، وتذكر أن جدك الحسن الأول كان عرشه على ظهر فرسه، لكثرة تنقله في البلاد ومشيه في مناكبها متفقداً للرعية سامعاً للشكاة مستأصلاً لجراثيم البغي والفساد.

وكن للناس بمثابة الأب الرؤوف والأم الرؤوم ترحم الكبير وتحنو على الصغير وتقضي الحاجات وتعين على النائبات وتدخل الفرح بالرعاية والعناية على القلوب.

واعلم يا بني أن الحكم خطة يبتلي بها الله من يشاء من عباده، فواحد قدرها ورعى بها الحقوق وصان الحرمات، فرجحت بها كفته وكان من المفلحين، وآخر بطر بها وأشر، وطغى واستكبر، فخف بها ميزانه وكان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فكن من الذين رجحت كفتهم، ولا تكن من الذين خفت موازينهم، ولن يتأتى لك ذلك إلا إذا أخذت من أمرك بالحزم، واستعنت على الرأي بالعزم، وعملت عمل اليوم في يومه ولم تؤخره إلى غد، وعظم من عظم في عينك بالحق، وصغر من صغر بالباطل،

وابدأ بالأوكد قبل التأكيد، وقدّم الأوجب على الواجب، فإنه لا تقبل النوافل حتى تؤدّى الفرائض، وابدأ بنفسك قبل أن تتجه بالنصح إلى غيرك وكن مخلصا في سرك وعلانيتك، عادلا في رضاك وغضبك، ومقتصدا في يسرك وعسرك، مسويا بين الرعية في الحقوق والواجبات، فإنك منهم بمنزلة الآباء وهم بمنزلة الأبناء، واحذر من المزالق قبل وضع القدم، فإن زلة الملوك لا تقال.

يا بني،

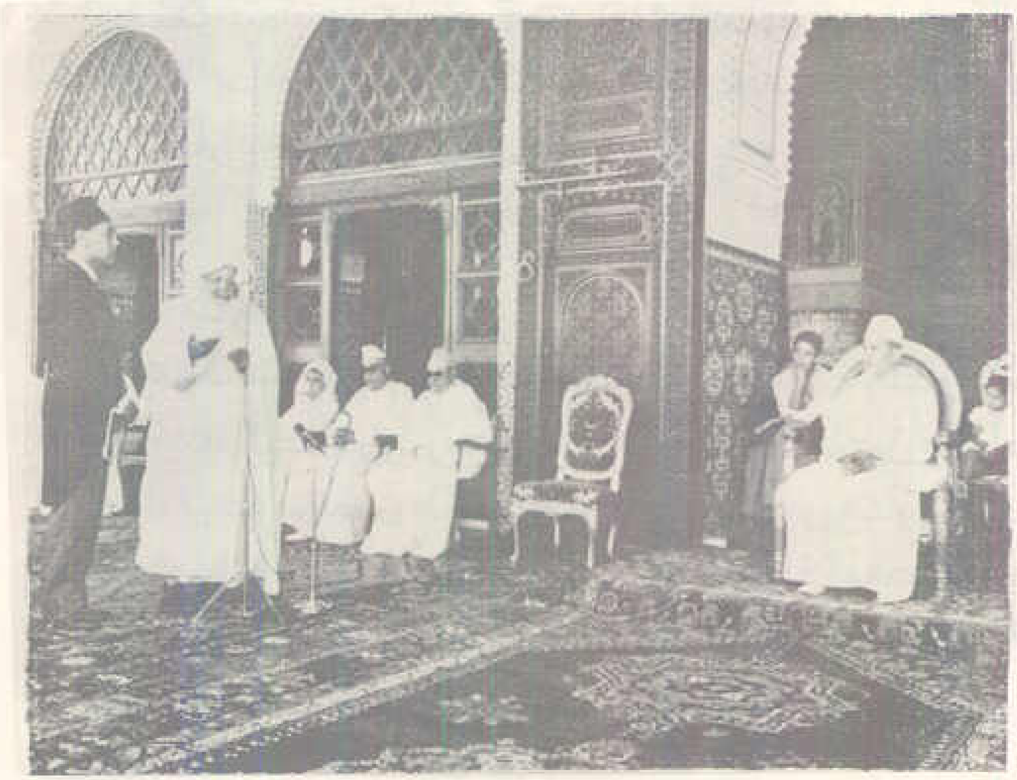
وأنت اليوم كبير الأسرة المالكة وعماد صرحها، وكما تقتضي ولاية عهدي أن تخلفني في الأمة تقتضي منك أن تخلفني في أسرتي، وإن لهذه الأسرة عليك من الحقوق مثل الذي للأمة عليك، فكن أمينا على مجدها، غيورا على شرفها، حفيظا لسؤددها وعزها، وصل رحمها، وحقق أمانيها، ولبّ في دائرة المعروف رغائبها ومطالبها، واعمل على أن تكون مثلا أعلى لأمتك علما ونبلا، واستقامة وفضلا، وأوصيك على الخصوص بأسرتك القريبة، وبطانتك الوشيجة، من إخوان وأخوات، وأمهات، وكل من يلابسنا في حياتنا الداخلية ويقاسمنا معيشتنا البيتية الخاصة، فهؤلاء كن منهم بمنزلتي منهم، تجبر خواطرهم وتدخل السرور على قلوبهم، وتجعل عزك عزهم، وسناءك سناءهم، ولا تستأثر بشيء مما أفاء الله عليك إلا ما جعله القانون خالصة لك من دونهم، ولا تنس يا ولدي أن المغرب من بلدان الإسلام وأنك واحد من المسلمين، فضع نصب عينك تلك الأخوة السامية التي بشر بها الإسلام ودعا إليها، وبيّن حقوقها وواجباتها وبذر حياتها في قلوب معتنقيه

حتى أصبحوا بنعمته إخوانا وإن تباعدت أنسابهم وتناءت ديارهم، ولا تنسى ما حاط دينك هذه الأخوة به من سماحة وسجاحة ورحابة صدر وسعة فكر وبر وإقساط حتى مع الذين لا يعتنقونه، فاحرص يا بني على تثبيت دعائم هذه الأخوة وتقوية أواصرها، وكن والمسلمين كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وكن شديد الاهتمام بقضاياهم تنصرها في المحافل الدولية وتدافع عنها في المجامع الأممية، واعمل على أن تجعل من المغرب بحكم موقعه الجغرافي صلة وصل بين الشرق والغرب، وأداة ربط بين الحضارتين العربية والأوربية.

يا بني،

هذه نصيحتي إليك أقدمها لك أمام الملأ جهارا، بعد ما أسررت بها إليك مرارا وتكرارا، ويقيني أنك ستعمل بها لما أعهده فيك من حسن السمع وجميل الطاعة، ورضاي يا ولدي يحفك في حالك ومآلك، ودعواتي الصالحة تلازمك في حلك وترحالك، ورجائي في الله سبحانه وتعالى أن ينير بصيرتك، ويطهر سريرتك، ويسدد خطاك ويهديك سبيل الرشاد.

الثلاثاء 10 ذي الحجة 1376 - 9 يوليوز 1957



جلالة المغفور له محمد الخامس وصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله ينصتان إلى كلمة التبريك والتهنئة من شيخ الإسلام سيدي محمد بن العربي العلوي بتاريخ 9 يوليوز 1957.

جواب

صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده

على خطاب والده

جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه

بمناسبة تنصيبه وليا لعهد المملكة

جواب
صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
على خطاب والده
جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
بمناسبة تنصيبه وليا لعهد المملكة

الحمد لله

والصلاة والسلام على رسول الله

مولاي صاحب الجلالة

إذا كانت الشجاعة التي رويتني صغيرا من مناهلها جعلتني لا أتهيب الكلام في المجامع، والتحدث في المحافل، فإن جلال هذا الموقف وعظمة هذه الساعة ملآ قلبي هيبة، وأوشكا أن يعقدا لساني عن الكلام، فلست أدري - يا مولاي - كيف أوفيك حقك من الشكر على ما أسديت، وأنظم عقود الثناء على ما أوليت، وأنا من قمة الرأس إلى أخمص القدمين ثمرة إنعامك ونتيجة اجتهادك، وهبني يا مولاي وجدت اللسان الناطق، والتعبير الرائق الفائق، فأي عوارفك أطري، وعلى أي مننك أثني، وكلها في الكرامة والعظمة سواء، لا تقبل أن تتقدم إحداهما على الأخرى.

في هذه اللحظة التاريخية الحاسمة من حياتي أقف بين يدي جلالتك متأثرا مشفقا، لإحساسي بعبء المسؤولية التي قلدتني إياها بإلهام من العناية الإلهية، بالتماس من الحكومة المغربية، وتعضيد من الشعب المغربي الذي أفتخر بالانتماء إليه، وأعتبر نفسي أحد أبنائه وخدامه، ويزداد تأثري وإشفاقي كلما تأملت ما ينتظرني من الجهد والعمل بالأمانة العظمى التي تحملتها يا مولاي، وما تزال تتحملها بكفاءة عز نظيرها،

فاستحققت عليها هذه المحبة، بل هذا الهيام الذي يكنه لك الشعب قاطبة. وإخلاص الشعوب غاية لا تنال عفوا، وإنما هي ثمرة كد المسؤولين واجتهادهم المتواصل في سبيل رفاهيتها، وقد ألهمك الله سبيل المصلحة العامة وثبتك عليها، فاجتمع لك ما لم يجتمع لملك قبلك إلا نادرا، ووجد فيك الشعب ضالته المنشودة، وقدوته ونبراسه، فاكتملت لديه حظوظ النجاح والتوفيق على يديك وبفضل هديك.

لقد توسمت يا مولاي في ابنك البار المخلص علامات التوفيق والوفاء بالأمانة، فأقررت ما أجمع عليه شعبك الوفي، وأسندت إلي ولاية العهد ورعاية الأسرة المالكة وفق التقاليد التي سار عليها الكثير من ملوك الإسلام، وملوك الدولة العلوية الكريمة، وإنني إذ أتمنى لك مديد العمر وطول البقاء، لترى أمتك رافلة في حلل العز والسعادة، أعدك ببذل ما في المستطاع وفوق المستطاع، لأكون جديرا بهذه الثقة الغالية التي وضعتها في، ومع شعوري القوي بثقل المسؤولية التي أنطتها بي، فإن مما يخفف حملها علي، استحضار سيرتك الصالحة التي مكنت لك ولأسرتك هذا المقام المرموق في أفئدة الجميع، وهذا الإعجاب الجم الذي أضحى أحدوثة الأقربين والأبعدين.

إن سجل أعمالك ـ يا مولاي ـ ذخيرة لا تنفد، وسأستلهم منه كل ما ينير طريقي ويعينني على القيام بالرسالة التي وضعتها على كاهلي، ويساعدني على استحقاق هذا العطف الغالي الذي يحيطني به شعبك الأبي والذي هو في الحقيقة قبس وهاج من نورك، سأسعى ما وسعني الجهد لاقتفاء سيرتك، وترسم خطواتك في سياسة أمتك، والاقتداء بجميل معاملتك لكل فرد من أفراد رعيتك، ولجميع من أسعدهم الحظ بالعمل تحت رعايتك، أو التقرب إليك. ويقيني أنني لن أضل سبيل الرشاد ـ بمعونة الله ـ ما بقيت على هديك سائرا، وبتعاليمك متشبثا مستنيرا.

ثم إن عدتي في الاضطلاع بالمسؤولية الجسيمة التي طوقت بها جيدي يا مولاي ـ هي هذه التربية التي لقنتني إياها منذ نعومة أظفاري،

فحرصت كل الحرص على تشبع فكري ووجداني بها، تربية جامعة بين غذاء الروح والعقل والجسم، مبنية على الاعتزاز بماضي هذه البلاد، ووصل حاضرها بمآثره لإشادة مستقبل حافل بالأمجاد، زاخر بالمكرمات.

قد ألهمت روحي من خلال شخصيتك الفذة قوة العزم، ونقاء السريرة، وحب الوطن، والمحافظة على كرامة العرش والإخلاص للأمة.

وهكذا بدأت النعمة التي أسديتها إلي منذ رأيت نور الحياة، فكانت ثورتك على الأساليب القديمة في التربية والتهذيب، وكانت عناية جلالتك ساهرة تحوطني بكل ما يملأ نفسي ثقة بالله، وحبا للوطن، ورعاية للشعب، فكنت يا مولاي - أول أب مغربي يثور على الأساليب العتيقة التي كانت تكل الطفل إلى القابلة الجاهلة، والمربية الغافلة، وكنت أول أب مغربي يرقى بأبنائه من تعليم عقيم قاصر، إلى تعليم عصري يأخذ بوسائل الحضارة الحديثة بقدر ما يأخذ بتراثنا العربي الإسلامي، وكنت أول أب مغربي لا ينيط مسؤولية التربية والتعليم بالمعلم أو الأستاذ فحسب، ولكنه يتحمل منها نصيبه الأوفى. ولن أنسى ما حييت رعاية جلالتك وأنا في المدرسة الابتدائية، لقد كانت توجيهاتك وحرصك أقوى سند لي في اجتياز مراحل الدراسة، وأكبر مساعد لأساتذتي في القيام بواجباتهم التربوية، لقنتني يا مولاي البرور بالصغير واحترام الكبير، وكنت تردد على مسمعي. أن المرء إذا صلح صلح لنفسه ولغيره، وإلا فلا فائدة ترجى لشخصه ولغيره من عمله، وإن أنس، لا أنسى - يا مولاي - هذا المبدأ السامي الذي لقنته لي في غير ما مناسبة، حتى أصبح يجري في شراييني مجرى الدم : الشعب لم يكن في يوم من الأيام ملكا لرؤسائه والمسؤولين على مصيره، وإنما الملوك والرؤساء هم خدامه، قد اختارتهم العناية الإلهية ليسهروا على مصالحه، وهم مسؤولون عنها.

هكذا علمتني يا مولاي - أن أكون رجلا قبل أن أكون أميرا، ولئن كنت أدين لله بنعمة الحياة، فإن ما أملكه من فكر ورأي إنما هو من رعايتك وحسن تعهدك، وهو كل عدتي فيما أنا مقبل عليه، يقينا مني بأن

القصور والزخرف ظل زائل، وأن العمل الصالح باق لا يفنى، ويعرف الشعب المغربي الكريم أن الإعداد الذي حرصت على أن تطبع به شخصيتي يقوم على الامتزاج بطبقات الشعب، فكنت في مراحل دراستي وأوقات فراغي، أختلط بأبناء الشعب، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم، حتى أصبحت أشعر أني فرد من أفراده نعمل جميعا يدا في يد لصالح وطننا وأمتنا، وبالرغم عن اتجاه بعض النيات إلى إيفادي إلى الخارج، أبى جلالة والدي إلا أن يبني لي مدرسة تحت سماء وطني، أطلب فيها العلم، وأتلقى التربية رفقة أبناء جلدتي وعلى قرب من أمتي، حرصا من جلالته علي بإحكام الاتصال بيني وبين أبناء الشعب. ويعرف الشعب المغربي الكريم أن الأسرة المالكة لا تختلف عن الأسر الأخرى، فالأب الذي يرعى هذه الأسرة يقف منها مثل الموقف الذي يقفه رب أسرة من الشعب، حنان وعطف في شدة وصرامة، ولن أنسى ما حييت، الدرس العملي الذي تلقيته من والدي وأنا أشرف على امتحان القسم الأول من الباكالوريا، فقد أدرك أني قصرت بعض التقصير في واجباتي المدرسية، فاستدعاني ليلقنني درسا عظيما، إذ سألني عن تاريخ أجدادنا من الملوك العلويين وعن تاريخ الملك الصارم مولاي سليمان وكيف أبعد أبناءه جميعا عن ولاية العهد، لأنه لم يجد فيهم رجلا صالحا للقيام بشؤون الأمة، وعين لذلك أصلح أبناء أخيه، وقد قال جلالته : لن أكون أقل صرامة وشدة من مولاي سليمان. ولذلك فالطريق أمامك واضحة، وسأساعدك على سلوكها، إن أمامك ثلاثة أشهر سجنا داخل المدرسة لن تبرحها، ولن ترى أحدا من أفراد عائلتك وأصدقائك، حتى تؤدي الامتحان بنجاح. لقد كان هذا الدرس من أعظم الدروس التي تلقيتها في حياتي، علمني الاعتماد على النفس، والانقطاع إلى العمل، والتخلق بالصبر وامتحان الضمير. ولا زال عالقا بذهني ذلك الحديث الشجي الذي أسَرَّهُ جلالة والدي إلى يوم 25 يبراير 1951 يوم مر الشوط الأول من المؤامرة التي حيكت للمغرب في شخص ملكه، وتقهقرت أثناءها قوى الشر إلى حين، وهو حديث يسعدني أن أعيده على مسامعكم. قال لي : أتعرف

أن هذه المعركة ستتكرر من جديد ؟ أتعلم لمن ستكون الغلبة فيها ؟ إني أرى أنهم إنما تأخروا اليوم ليعيدوا الكرة من جديد. وسيغلبون لا محالة، لأن القوة المادية في أيديهم، وكذلك جميع وسائل العمل. والشيء الذي أحببت أن أكاشفك به، أن المعركة ستكون فاصلة، وأنني سأضع كل شيء في الميزان، سأضع نفسي وهذا العرش الذي أجلس عليه، ومستقبل أبنائي وبناتي، وكل ما أطلب منكم يا أبنائي هو أن تفهموا عملي هذا، فقد تعرض في الحياة ظروف تقتضي من الإنسان الاختيار، وقد اخترت أن أكون على الدوام وفيا لهذا الشعب مهما كلف ذلك من تضحية.

بهذه الروح، دخلت مدرسة الحياة إلى جانب والدي وهو يعالج مشاكل الدولة مثلما يعالجها الأب الحنون في غير ضعف ولا قسوة، وقد كانت مصالح الأمة عنده فوق كل اعتبار، وبدأت الحياة العملية هذه - والعرش والأمة يجتازان المحنة الكبرى - فكنت أشهد في جلالته الربان الحكيم الذي يحاول أن يجتنب العواصف والأنواء في صبر وحكمة وثبات، وكنت أرى فيه المؤمن بالله، المعتقد في رحمته وعدله، المعتمد عليه في غير تواكل ولا ضعف، فكانت سيرته في أيام الشدة كما كانت في أيام الرخاء خير درس يتلقاه الإبن عن والده. في هذا الجو العاصف، بدأت أمارس المسؤولية، وشاركت والدي مرارة المحنة والنفي، فبقي هو برا بأبنائه، شفوقا على أمته، ساهرا يقظا على مصالح شعبه.

وانتهت المحنة بالصبر الذي وعد الله به عباده المتقين، وظفر المغرب بالاستقلال والحرية بفضل تضحية الملك والشعب، وبدأت كأمير وكفرد من أفراد الأمة مسؤوليتي في بناء هذا الاستقلال، وكان من حسن ظن جلالته أن أسند إلي مهمة إيجاد الجيش الملكي ومهمة رئاسة أركانه، وهي مسؤولية ضخمة يزيد في ضخامتها أنها التجربة الأولى من نوعها في عهد الاستقلال، فكونا النواة الأولى لقواتنا المسلحة، وكان الجيش - كما أراده جلالة الملك - مملوءا حيوية ونشاطا، مبدؤه الدفاع عن الأمة والعرش وعقيدته بعد الإيمان، مجد الأمة وحب الوطن والذود عن كيانه واستقلاله.

وكل ما أرجوه بعد تجربتي هذه، أن أكون قد وفقت في تأدية الرسالة التي ناطها بي جلالة الملك.

وقد وقفت - زيادة عما تقدم - إلى جانب والدي في معظم شؤون الدولة، وأهلني لشرف النيابة عنه أثناء غيبته بأوربا في الشتاء الماضي، واجتزت أثناء هذه المدة امتحانا كان رضاه - على بعده - دليل توفيقي - وما توفيقي إلا بالله العلي القدير.

واليوم شاءت إرادة جلالته - استجابة لالتماس الحكومة وتأييد الأمة - أن تسند إلي ولاية العهد، وهي منة من الله أرجو أن أكون أهلالها، وقادرا على تحمل مسؤوليتها. إنها مسؤولية مزدوجة : مسؤولية نحو الأسرة الكبرى أمتنا المغربية المجيدة، ومسؤولية نحو الأسرة المالكة، إن رعاية هذه الأسرة، التي قدمت للمغرب أمجادا خالدة طوال القرون الثلاثة الماضية من أقدس الواجبات التي تعهد بها جلالة الملك، والتي لقننا دروسا في الوفاء لها، وتعهد شؤونها، وتقوية أواصر الود والحب بين أبنائها، حتى تضرب المثل الأعلى للأسرة المغربية في السمو الروحي والمعنوي، وحتى تظل شعار الأمة ورمز تكتلها، وقد أوصاني جلالة والدي - نصره الله - بالبر بإخوتي وأهلي رغم حداثة سني، لما توسمه في من مخايل الرجولة والبرور، فجعلت ذلك نصب عيني، ومن أهم واجباتي.

أما مسؤولياتي نحو الشعب، فإني لا أستطيع أن أقدرها، فأنا من الشعب وإليه، إن أمتنا تعيش فترة تحول خطير في تاريخها الحديث، إنها تتحول من عهد الركود والخمول والاستعمار إلى عهد الحركة والانطلاق والحرية، ولعهد الحرية أعباؤه ومسؤولياته، إنه يتطلب العمل المثمر، والإسراع نحو الكمال في جميع ميادين النشاط. ومسؤولية عهد الحرية تتطلب منا جميعا أن نخلص الوفاء لأمتنا، وأن نعمل على المحافظة على هذه الحرية التي أدركنا، وأن نسعى جميعا للتشبث بالاستقلال الذي حصلنا

عليه بالتضحية الغالية التي ضرب جلالة الملك فيها أروع المثل، وسن أحسن السنن، والعمل العظيم الذي ينتظرني لا يمكن أن ينجز إلا إذا اتحدت الأمة جميعها حول الأفكار التي بثها جلالة الملك، فيجب أن نكون جميعا يدا واحدة نؤدي عملنا في شبه شركة تعاونية، كل منا يقوم بواجبه لمصلحة الشركة، لا أنانية فيه ولا رغبة في الاستئثار، ولكنه تضامن وتعاون وتضافر لمصلحة الدولة العليا، وواجب أبناء الشعب جميعا نحو هذه المصلحة العليا أن لا يعيشوا في عزلة عنا، بل يراقبوا أعمالنا، ويساهموا بعملهم وتكتلهم وإرشادهم ونصيحتهم، الإرشاد والنصيحة والعمل المشترك ذلك هو واجب الشعب نحونا.

أما واجبنا نحوه، فهو العمل الدائم لمصلحة الوطن، وهو الاقتداء بجلالة الملك الذي جعل خدمة الشعب واجبا دينيا لا يقل عن أقدس الواجبات الدينية وبذلك نحقق معاني الديمقراطية التي يسعى جلالته لتدعيمها في المغرب المستقل.

هذه بعض المسؤوليات العظمى التي أتحملها اليوم نحو جلالة الملك ونحو الأمة والأسرة المالكة، وإني لأشعر من أعماقي أنني لم أقدم للأمة ولو جزءا من الخدمات الجليلة التي ما يزال جلالته يقدمها لأمته منذ اعتلائه عرش أسلافه الأكرمين، ومع هذا، ورعيا لإرادة الشعب، وحسن ظن جلالة الملك وثقته، فإني أتقبل هذا الشرف العظيم، متكلا على معونة الله، ومعتمدا على رعاية جلالة والدي، إذ لا أستطيع أن أتصور أني أتحمل هذه المسؤولية دون رعايته وإرشاده.

فإليك عهد الله يا مولاي، وعهد البنوة البارة، أن أجعل ما تكرمت به علي، دستوري الذي أتقيد به، وديني الذي أحافظ عليه، إلى أن ألقى الله، فأتحلى دائما بحلي الإيمان، وأرفل في مطارف محاسن الإسلام، وسأحافظ على وحدة الوطن واستقلاله، وأبذل النفس والنفيس في تنمية موارده

وإعلاء شأن سكانه، وسأكون من الشعب وإلى الشعب، أسير فيه بالرفق، وأحكم بالمعروف، وأعمل على أن يحيى حياة رغيدة كريمة لا حرج فيها ولا عسر، متقيدا بإرادته، متمسكا بعروته، وسأكون بأسرتي بارا، وبإخوتي حفيا، أصل رحمهم، وأحمي شرفهم، وأسير سيرته فيهم، وأنزلهم من قلبي منزلة السواد من العين، وسأعتز دائما بالانتساب إلى الأمة الإسلامية الكبرى، فأحب لوطنها ما أحب لوطني، وأتمنى لشعوبها ما أتمناه لشعبي، وأوجز لك القول يا مولاي، لأن الدمع يخنق نفسي، فأقول لك ما قال الخضر لموسى : ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا.

وكل رجائي يا مولاي، أن يطيل الله عمرك، ويمد في حياتك، ويمتعنا ببقائك، ويثبت قلوبنا بحبك، ويزكي نفوسنا بطاعتك، ويهدينا طريق موالاتك ومعاداة أعدائك، ويجعلنا جنودك المطيعين، وأعوانك المخلصين، ويهبك العون منه والمدد، حتى تروا بأعينكم أغراس أيديكم الزكية حلوة الثمار، دانية القطوف، والسلام على المقام الشريف ورحمة الله تكلأه وترعاه.

الرباط 10 ذي الحجة سنة 1376 الموافق 9 يوليوز سنة 1957.

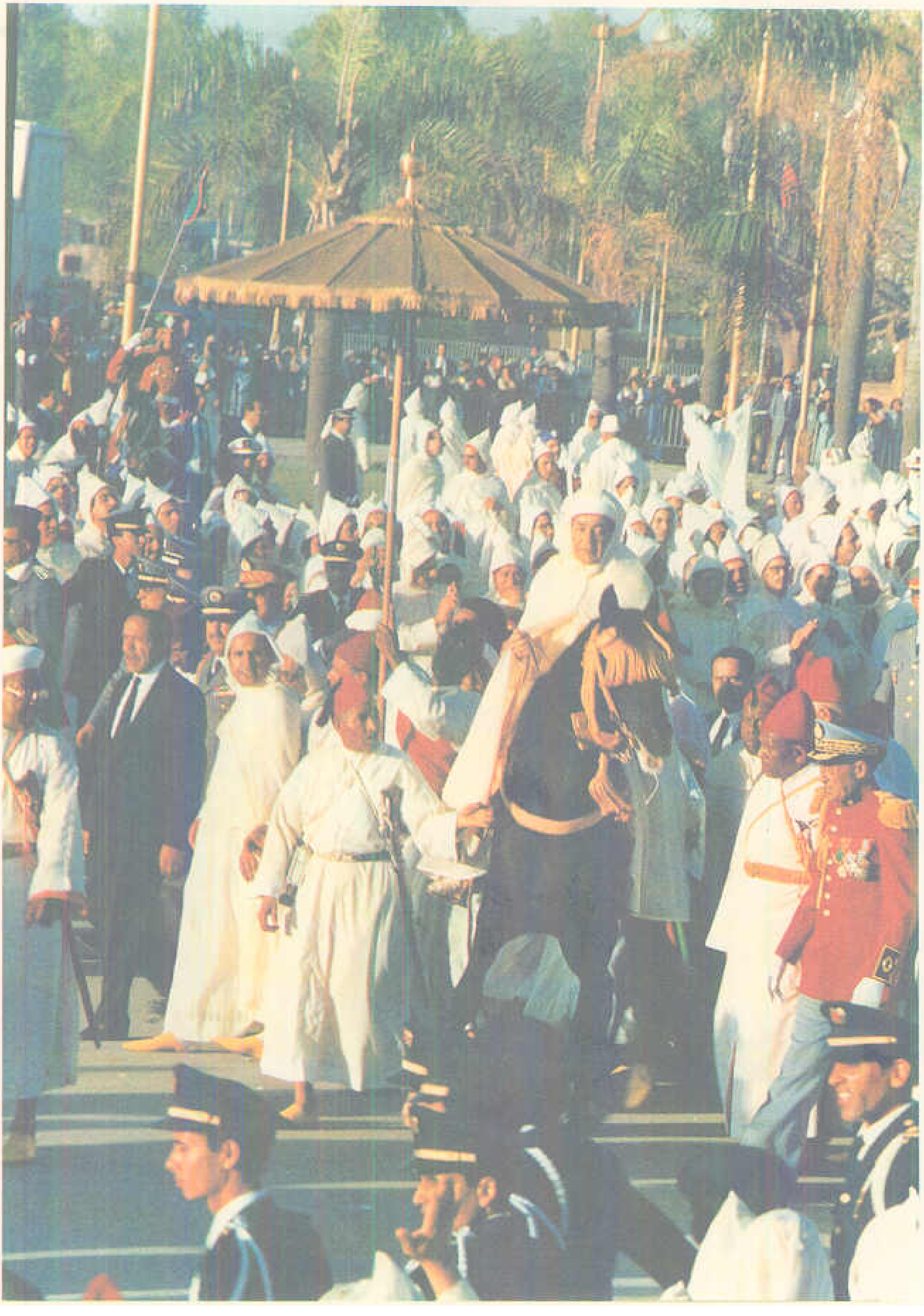
أعلن لك شعبي العزيز، أنني أمسكت معتمداً على الله مقاليد الملك، وتربعت على عرش أسلافي المنعمين، تلبية للإرادة الاجماعية التي تمثلت في بيعتك لي، وتنفيذاً لعهد جلالة ملكنا المرحوم، وإرضاءً للواجب الوطني المقدس.

وإنني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي، وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية، وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم، على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته، وأحرص على وحدته وإعلاء شأنه بين الدول.

وسأسعى كل السعي لأحذو حذو جلالة والدي المرحوم في خدمة الشعب ورعاية حقوق أبنائه وحرياتهم ومصالحهم، والمحافظة على المكاسب القومية والعمل لتنميتها، وبذل كل جهد لتحقيق تقدم الأمة، وتمهيد سبيل النهوض والسعادة والرخاء أمامها.

فقرات من أول خطاب
لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
إثر توليته عرش المملكة
والذي ألقاه يوم الجمعة 15 رمضان المعظم 1380هـ / موافق 3 مارس 1961م
بمدينة الرباط.





دُعَاءُ

اللهمّ اجعل الآصرة الوثيقة العرى، الجامعة بيني وبين شعبي، آصرة مكتوبًا لها الاسترسال والبقاء، وأدِم ما أسبغته علينا من نعمة الوفاء والولاء، ومكّنت له في قلوبنا من أُلفة خالصة، وودادٍ لا يحول مع الأيام المستحيلة، وأنزلنا سبيل هُداك ورشادك، ولا تحرمنا من كريم تأييدك وسدادك.

اللهم إني أستوهبُ فضلك بقلب خاشع، وأستمنحُ رضاك بنداء ضارع، فثبّتْ قدمي بإلهامك، وضاعِف عزمي بجميل أفضالك وإنعامك.

اللهمّ إنك أضفيتَ عليّ من عوارفك الغراء، وأسديتَ إليّ من أياديك البيضاء، ووهبتني من المُلك والرئاسة والجاه والسّلطان ما أرجو أداء شكره بالعمل الصّالح، والسّعي النافع، والجهد الناجح.

فاجعلني اللهمّ من الهُداة المهتدين، والقادة المُصلحين، والسّاسة الراشدين الذين خلّدتَ سيرتهم بين السِّيَر، وتركتَ ذكرهم عِبرة من أبلغ العِبَر، وبوّأتهم مكانة عبادك المكرمين، وأوليائك المقرّبين.

اللهمّ إنك النّصير والظّهير، والمستجيب لدعاء اللائذ بك، والعائذ والمستجير.

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ صدق الله العظيم.

صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده
[illegible]

فرحة الذكرى وروعة البشرى

للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري

بحلول شهر مارس، وفي اليوم الثالث منه، تشرق طلعة عيد العرش المجيد بجلالها وجمالها، وتضيء في أفق المغرب وسمائه الصافية بروعتها وبهائها، فتبتهج لها القلوب والأفئدة، وتنشرح لها النفوس المطمئنة، وتستبشر بها الأمة المغربية، لأنها تخلد أعز مناسبة اجتماعية، وأعظم ذكرى وطنية. إنها مناسبة حلول عيد العرش المجيد الذي يخلد هذه السنة الذكرى الثلاثين لاعتلاء مولانا أمير المؤمنين، وحامي حمى الملة والدين، جلالة الملك الحسن الثاني عرش أجداده المنعمين. وهذه الذكرى جليلة حقا وعظيمة، ولها في نفوس المواطنين مكانة خاصة بجلال صاحبها، ومكانتها في نفس كل مواطن ومواطنة.

وكيف لا وهذه الذكرى والاحتفاء بها يرمز إلى أكثر من مغزى ومعنى، فهي ترمز إلى عراقة وأصالة العرش المغربي الذي يضرب في أعماق التاريخ، ويمتد في جذوره إلى اثني عشر قرنا، وإلى استمراره وبقائه في الدولة العلوية الشريفة على مدى أزيد من ثلاثة قرون، أدام الله ملكها، وخلد في الصالحات ذكرها.

ترمز هذه الذكرى إلى ما يشخصه العرش العلوي من الإمامة الكبرى والخلافة العظمى في الإسلام، التي تقوم على أساس البيعة الشرعية، وما تنظمه من علاقة بين الراعي والرعية، وما تخلقه من وشائج وروابط قوية، وتستوجبه من السمع والطاعة المأمور بها لأولي الأمر في الإسلام.

إنها ترمز إلى ما يقوم به الجالس على العرش، وما يسهر عليه ملك البلاد وعاهلها المفدى من شؤون الأمة في حفظ الدين، ورعاية مصالح الدنيا، وصيانة وحدة البلاد وكرامتها واستقلالها، وإقامة العدل، ونشر ألوية الأمن والطمأنينة على البلاد والعباد، وبث روح التعاون والتكامل، والتكافل والإحسان بين جميع أفراد الأمة.

إنها ذكرى ترمز إلى الجهاد الأكبر المتواصل الذي يخدم الدين والوطن، ويخدم الأمة العربية والإسلامية، وقضاياها المصيرية المشتركة، ويتجاوب مع آمالها وطموحاتها المستقبلية.

إنها ذكرى ترمز إلى ما يتحقق لهذا الشعب المغربي الوفي كل سنة من منشآت ومنجزات ثقافية وعمرانية واجتماعية وحضارية تواكب هذه الذكرى الغالية، وتدخل السرور على الأمة المغربية قاطبة، بما تضمن لها من نماء وازدهار، ورخاء واطمئنان، وإلى ما يحققه المغرب على الصعيد العربي والإسلامي من توطيد العلاقات بين الأشقاء في الأمة العربية والإسلامية، وتقوية روح الثقة والتعاون بينهم في مختلف المجالات، والسعي في الإصلاح، وإزالة ما يطرأ من خلاف أو نزاع أو فرقة، والدعوة إلى تقوية الصف وجمع الشمل والكلمة.

إنها ذكرى ترمز إلى هذه المعاني السامية، وترمز إلى ما يكنه هذا الشعب الأبي ويتحلى به من التفاني في الحب والإخلاص والوفاء لملكه وعرشه، والتضحية بالنفس والنفيس في سبيله ومن أجله.

إننا ونحن نعيش الذكرى الثلاثين، هذه الذكرى الغالية، لنستحضر ما قدمه العاهل العظيم جلالة الحسن الثاني خلال هذه الفترة لأمته من أعمال جليلة، وما حققه لها من منجزات عظيمة، تبدو معالمها ومنافعها الكبيرة وآثارها الطيبة في كل مدينة وقرية و إقليم، وجعل بلده يعيش في بحبوحة من العيش الكريم، والاستقرار والاطمئنان في كل مكان وحين، ويزداد رصيده من المكانة والسمعة الطيبة داخل المغرب وخارجه، وهي أعمال ومنجزات يعجز عن الإحاطة بها واستيعابها القلم واللسان، ولا يوفيها حقها إلا الاعتراف بنعمها، وتقديرها. والشكر لله والحمد له، الذي أكرم هذا الشعب المغربي الكريم بالدولة العلوية الشريفة، وبوارث سرها ومفخرتها وواسطة عقدها جلالة الملك الحسن الثاني، الذي تستظل الأمة المغربية بظلاله الوارفة، وتهنأ بأيامه السعيدة، وتسعد وتنعم بحياته الميمونة المباركة. فهنيئا لجلالته ولشعبه بهذا العيد، وأدام نصره ونعمة وجوده.

حفظ الله مولانا الإمام، وأمد في عمره، وبارك في حياته، وأبقاه ذخراً وملاذا للبلاد والعباد، يرعى الأمة المغربية ويذود عن حياض العروبة والإسلام، وقضايا المسلمين في كل مكان، وأقر عينه بسمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد، وباقي أسرته الملكية الشريفة، إنه سميع مجيب.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري



فمرحى به عيداً له بقلوبنا
مكانتُه والدّين يرفعُه قدرا
لأنّ أميرَ المومنين به اعتلى
على عرش آباء حموا شعبهم دهرا
سلالة آل البيت وارثة الهُدى
وفيها رسولُ الله قد أودع السّرا

عيد العرش المجيد عيد الابتهاج والاعتزاز

يقبل شهر مارس من كل سنة، ويستبشر به كل مغربي ومغربية، لما يصحب معه من مناسبة من أحب المناسبات الكريمة، ويحمل من بشرى وذكرى من أحب وأعز الذكريات الوطنية، إنها مناسبة حلول عيد العرش المجيد، الذي يخلد ذكرى تربع أمير المومنين، وحامي حمى الوطن والدين جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين.

هذه الذكرى العظيمة التي يبتهج لها المواطنون في كل أقاليم المملكة، تكتسي هذه السنة طابعا خاصا ومكانة متميزة، باعتبارها الذكرى الثلاثين لهذه المناسبة الغالية التي تقلد فيها جلالته مسؤولية الأمانة الكبرى، وتتوج بالخلافة والإمامة العظمى التي تحفظ لهذا البلد الكريم، وترعى له مصالح الدنيا والدين في كل الميادين.

فقد شاء الله لبلد المغرب العزيز أن تتكون فيه دولته الإسلامية بشخصيتها

الكاملة المستقلة منذ ما يربو عن ألف ومائتي سنة، تعاقب فيها على حكمه أسر شريفة تنتسب لبيت النبوة وذريته الطاهرة، وتخلص لله وتجاهد في سبيله، وتنصح للوطن والأمة، منذ عهد الدولة الإدريسية وإلى عهد الدولة العلوية الشريفة، أبد الله فيها الملك والخلافة، والإمامة، وأبقاه في أسرتها وذريتها وأعقابها ما تواصلت العهود وتوالت العصور. وكان من فضل الله سبحانه ورحمته بهذا البلد الكريم، ومنته الكبرى على هذا الشعب المغربي العظيم أن هيأ له هذه القيادة المومنة، ويسر له هذه الريادة الرشيدة الحكيمة، الصالحة المصلحة، التي ترعاه بدين الإسلام، وتحكمه بشريعة القرآن وسنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وبما أوجب الله من السمع والطاعة لأولى الأمر في الإسلام، التي يعتبر التمسك بها تدينا لله وعبادة، وخلقا وفضيلة، كما نصت عليه الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة.

وإذا كان العرش المغربي يقوم على ذلك الأساس الإسلامي المتين والمرتكز الديني المكين، القائم على البيعة الشرعية، وما تكونه من روابط ووشائج بين الراعي والرعية، وعلى الشعور الاجتماعي السليم، والوعي الناضج المتأصل والعميق بذلك المرتكز والأساس، وكانت كل دولة من الدول التي تعاقبت على عرش المغرب وملكه وسيادته، قد وضعت لبنتها في بناء هذا المغرب العزيز، وتشييد صرحه الشامخ، وتثبيت معالمه البارزة وشخصيته المتميزة، فإن الدولة العلوية الشريفة، وعلى مسيرة ومدى أزيد من ثلاثة قرون، قد أكملت بناء ذلك الصرح وأتمت تشييده على أسس متينة ودعائم قوية، مكنته من الحفاظ على وحدته واطمئنانه، وأمنه واستقراره، فواصل ملوكها الأبرار، وأمراؤها الأخيار مسيرة البناء والتشييد في كل مجال، والنماء والتجديد في كل ميدان، وحملوا راية الجهاد والنضال، ومقاومة كل تيار أجنبي أو دخيل من الاستعمار، فحافظوا للمغرب على كيانه وشخصيته، واستقلاله وحريته، ومجده ووحدته، وتراثه وأصالته، وحضارته ونهضته، وعلى رأسهم أبو النهضة المغربية ورائد حركتها الوطنية والإصلاحية، الذي أعاد للمغرب حريته واستقلاله،

فقيد العروبة والإسلام وبطل التحرير والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه، وجعل جنة الفردوس مقامه ومأواه.

وإن العهد الحسني الزاهر، الذي يستظل المغرب بظلاله الوارفة، ويهنأ وينعم بأيامه الهنية السعيدة، ويحتفل هذه السنة بتخليد الذكرى الثلاثين لاعتلاء جلالة الحسن الثاني على عرش أجداده المقدسين، ليعتبر واسطة عقد هذه الدولة العلوية الشريفة، ودرتها الثمينة، ومفخرتها الخالدة، فقد واصل جلالته مسيرة الجهاد الأكبر على الصعيد الوطني والعربي والإسلامي، منذ أن ألقى الله إليه مقاليد الأمور بهذا البلد الكريم، وتابع مسيرة التشييد والنماء والعمل الذي لا يعرف الكلل والملل للنهوض بهذا البلد الأمين واستكمال وحدته الترابية، وخدمة قضايا العروبة والإسلام والمسلمين، بما آتاه الله من إيمان ويقين، وحول وقوة، وبما أعطاه الله من حكمة وفراسة، وبصيرة نافذة، ومنحه من سداد الفكر وبعد النظر وحسن الرأي والتدبير، في ظروف وعقود تسارعت فيها المشاكل الطارئة وتشابكت فيها القضايا النازلة، وتتوالى فيها التقلبات الاجتماعية والاقتصادية في كل أنحاء العالم، وتقتضي قيادة سفينة الوطن فيها مهارة وحنكة فائقة، وحكمة ودراية متناهية.

وان تخليد هذه الذكرى والاحتفاء والابتهاج بها لهو تعبير صادق عما يكنه هذا الشعب المغربي الوفي لعاهله المفدى وعرشه العلوي المجيد من حب وولاء وإخلاص ووفاء، ويلهج به من شكر وامتنان لجلالته على ما يحققه لأمته في تواصل واستمرار من عظيم المنجزات التي تواكب هذه الذكرى، وجليل الأعمال التي تقتضيها الأمانة العظمى والإمامة الكبرى من حفظ الدين، وحماية سيادة البلاد، وتحصين ثغورها وإقامة العدل، والتزام المساواة بين الرعية في الحقوق والواجبات، وإشاعة روح الرفق والإحسان بين الناس، ونشر الوعي الديني ونشر الثقافة الإسلامية ومقوماتها الأصيلة، وهي

مرتكزات وأسس قويمة تعتبر الهدف الأسمى والمقصد الأسنى لجلالته في كل وقت وحال، بما يحقق لوطنه وشعبه المزيد من التقدم والازدهار، والرخاء والاطمئنان، فإنما الإمام جنة يتقى به (أي وقاية وحفظ وأمان للأمة من الشرور والفتن) كما قال عليه الصلاة والسلام.

ولم يكن هذا الجهاد الأكبر المتواصل الذي حمل جلالته لواءه منذ ولاه الله مقاليد هذه الأمة، وعلى مدى ثلاثين سنة، وقبل ذلك يوم كان وليا للعهد إلى جانب والده المنعم بكرم الله، ليقتصر على رعاية بلده، وينحصر في شؤون وطنه، بل كان دائما يتعداه ويتجاوزه إلى الاهتمام بالأمة العربية والعناية بالأمة الإسلامية جمعاء، وبقضاياها المصيرية المشتركة، وفي مقدمتها قضية فلسطين، والقدس الشريف، والمسجد الأقصى، ويعتبرها كما قال جده المعظم ﷺ : مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وكالبنيان يشد بعضه بعضا. فكان حفظه الله يبادر إلى الدعوة لعقد مؤتمرات القمة العربية والإسلامية واحتضانها، ويحرص على حضورها والمشاركة فيها كلما حزب الأمة العربية والإسلامية مشكل طارئ أو أمر هام، ويسعى لرأب الصدع وجمع الشمل وتوحيد الكلمة، صيانة للوحدة، وتقوية للأواصر الأخوية، وتحقيقا للإصلاح والتوفيق بين الأشقاء في الأمة العربية والإسلامية، ودفعا لشر كل خلاف أو نزاع وفرقة، وسعيا في تحقيق العزة والكرامة التي أثبتها الله لأمة الإسلام. ومن أبرز الجهود المثمرة في هذا المضمار، وما كان لها من حميد النتائج وطيب الآثار، ما تحقق على يدي جلالته منذ سنتين على أرض المغرب المعطاء بمدينة مراكش من إنشاء إتحاد دول المغرب العربي، الذي ظل معقد الآمال ومطمح الأنظار للدول والشعوب المغاربية، وقطع أشواطا بعيدة، وخطا خطوات هامة مباركة، لما فيه خير دول الاتحاد، وتقدم شعوبها المتكاملة، وخير العالم العربي والإسلامي كله. وما الحرب المؤسفة والمؤلمة التي تدور رحاها في منطقة الخليج في هذه الأيام، والتي

تقض مضجع كل مسلم ومسلمة، وتشغل قلبه وباله ليل نهار، وما بذله جلالته من مجهودات صادقة، وقدمه من آراء ومبادرات بناءة، لتجنب هول الكارثة، وتفادي عواقبها الوخيمة، إلا مثال لاهتمامه الكبير، وعنايته الفائقة بأحوال وقضايا الإسلام والمسلمين، والحرص على حفظ قوتهم المادية والمعنوية والاجتماعية والاقتصادية، وأخوتهم الإسلامية.

إنها الريادة الحكيمة، والقيادة الرشيدة، والنظرة الواعية المتبصرة والروح الإسلامية المومنة التي تطبع عهد الدولة العلوية بصفة عامة، والعهد الحسني بصفة خاصة، والتي صانت لهذا البلد وشعبه شخصيته وحريته، وكرامته ووحدته، وحفظت له توازنه في الجمع بين العمل لدينه ودنياه ورفعت مكانته واعتباره في دنيا الناس بين كافة الشعوب والأمم. وجعلته يعيش في ظل ملكية دستورية تضمن له الحقوق، والعدالة، والديمقراطية.

إنها الروابط المتينة والوشائج والعرى الوثيقة التي تجمع بين العرش العلوي المجيد وبين شعبه الوفي الأبي الذي ظل وفيا لملكه وعرشه، ملتحما به ومتشبثا بأهدابه، مضحيا في سبيله ومن أجله بكل غال ونفيس، ملبيا لدعوته وندائه، مستجيبا لأمره وطاعته، يبادله حبا بحب، ووفاء بوفاء، وإخلاصا بإخلاص، مما حقق لهذا العرش العلوي المجيد، ولشعبه وبلده المسلم السير الطبيعي على النهج الإسلامي القويم، وضمن له البقاء على الصراط السوي المستقيم، الذي جعله ينعم بالرخاء والاستقرار، ويسعد بالأمن والاطمئنان الذي وعد الله به عباده الصالحين من أمة الإسلام عندما قال سبحانه :

﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا﴾ وقوله سبحانه :

﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.

فبارك الله في حياة أمير المومنين جلالة الحسن الثاني، وأمد في عمره، وأدام نصره، وعزه، وحقق أمله وسعيه، ومتعه بموفور

الصحة والعافية، وحفظه بما حفظ به الذكر الحكيم، وأقر عينه بولي عهده الأمجد صاحب السمو الملكي الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه السعيد صاحب السمو الملكي مولاي رشيد، وكافة أسرته الملكية الشريفة، وأعاد الله على جلالته أمثال هذه الذكرى وعلى أسرته وشعبه، وهو يرفل في حلل السعادة والهناء، إنه سبحانه سميع مجيب.

دعوة الحق

من ثمرات القرائح و خلجات الجوانح

بمناسبة عيد العرش المجيد

وحلول الذكرى الثلاثين السعيدة لاعتلاء
مولانا أمير المومنين وسبط الرسول الأمين

جلالة الملك الحسن الثاني

المحفوظ بالسبع المثاني
عرش أسلافه المنعمين

أدام الله عزه ونصره، وخلد في صالح الأعمال ذكره.

محمد الخامس والظهير البربري

للأستاذ عبد الوهاب ابن منصور
مؤرخ المملكة

أُصيب السلطان مولاي يوسف بعلة البروستات في آخر حياته، وبدأ وجعها يشتد عليه في صيف عام 1927، فبدا له أن يخرج من الرباط الذي كان يتأذى من رطوبته، سيما في شهر شتنبر الذي هو أسوأ شهوره طقساً، وينتقل إلى دار المخزن بفاس الذي ولد به ونشأ وتولى الخلافة عن أخيه السلطان عبد الحفيظ قبل أن يصبح ملكا، وكان مرضه يتزايد ويقوى كلما توالت الأيام حتى وافاه أجله صباح يوم الخميس 22 جمادى الأولى عام 1346 هـ (17 نونبر سنة 1927 م)، وخلال الأسابيع التي سبقت وفاته كان وزراء مخزنه ورجال حاشيته يفكرون فيمن يلي الملك من بعده، وانقسموا وهم يتخافتون بذلك إلى فريقين، فريق يتزعمه الحاجب السلطاني السيد التهامي عبابو، وهذا الفريق كان يرى أن الأحق بالملك هو أكبر أبناء السلطان سنا، وكان هو الأمير مولاي إدريس بن يوسف الخليفة السلطاني بمراكش، وفريق ثان يتزعمه الصدر الأعظم الحاج محمد بن عبد السلام المقري، وخليفة مدير التشريفات السلطانية الفقيه السيد محمد المعمري الزواوي، وكان إلى جانب هذا الفريق بعض كبار الموظفين الفرنسيين، وهذا الفريق كان يرى أن استحقاق الملك لا يكون بالسبق في الولادة والأقدمية في السن، وإنما يكون بتوفر مؤهلات بدنية وفكرية فيمن يتولاه حتى ولو كان أصغر إخوته، وكانت المؤهلات كلها متوفرة في الأمير الصغير سيدي محمد بن يوسف الذي كان يدعى (سيدي حمادة)، ويقيم بالقصر الملكي بفاس لأسباب لا داعي لذكرها الآن، ومن حسن حظ المغرب وحظ الأُسرة الملكية نفسها أن كفة الفريق الثاني هي التي رجحت، فبعدما تم دفن السلطان مولاي يوسف بضريح جده السلطان مولاي عبد الله صباح يوم الجمعة 23 جمادى الأولى (18 نونبر) استدعى

ر الأعظم الحاج محمد المقري وزير العدل . محمد بن عبد السلام الرندة (توفي عام هـ)، ووزير الأوقاف السيد أحمد الجاي، ر الأملاك المخزنية الحاج عمر التازي، فعقدوا عمل في بداية العشي بإحدى (بنائق) القصر، ما معهم الفقيه المعمري، وتحاوروا في مسألة ـة عن السلطان الهالك، ولما اتفقوا على من الملك بعده استدعوا الهيأة العلمية الدينية التي يمثلها الشيخ أبو شعيب الدكالي، وقاضيا فاس محمد بن رشيد العراقي، والسيد عبد الرحمان قرشي، وبعض كبار الأعيان الذين حضروا من ن كثيرة بالمغرب لتشييع جنازة السلطان مولاي ف، مثل الحاج عبد الرحمان بركاش باشا اط، فأعلنوا الأمير سيدي محمد بن يوسف انا، وكان عمره يومئذ لا يتجاوز الثامنة عشرة، ولد رحمه الله بفاس عام 1327 (1909 م)، ثم ا إلى حيث كان يقيم بقصر فاس، فدخلوا عليه وا عليه وهو جالس على كرسي وبايعوه واحدا ـدا، وحملت أسلاك البرق والهاتف الخبر إلى ـل والخارج، فعمت الفرحة المدن والقرى، وعقد ملها البيعة لم يتخلف عنها أحد، وتفاءل الناس بملكه، سيما وأن بيعته اقترنت بنزول مطر ر لم يعهد مثله بعد انحباس قنطوا بسببه قنطا ا.

وصباح يوم السبت 24 جمادى الأولى نونبر) جلس السلطان الجديد لقبول التهاني، ـم لتهنئته باسمه وباسم الجمهورية الفرنسية السيد ف) مقيمها العام بالمغرب، والهيأة القنصلية باسم



الصورة الرسمية لجلالة السلطان مولاي يوسف

الدول التي تمثلها، والشرفاء والفقهاء والقضاة والأعيان وكبار الموظفين المغاربة، وشرعت الهيأة المخزنية في تحرير رسائل إلى رؤساء الدول الأجنبية يخبرهم فيها سيدي محمد بن يوسف بجلوسه على عرش أسلافه المنعمين.

وبعدما استراح يوم الأحد، كان عليه أن ينتقل إلى مدينة الرباط التي خلفت مدينة فاس كعاصمة إدارية للمملكة قبل خمسة عشر عاما، فغادر فاسا صباح يوم الإثنين 26 جمادى الأولى (21 نونبر) متوجها إلى الرباط على متن سيارة تحت شآبيب مطر كان ينزل بغزارة، وسار حتى وصله ودخل دار

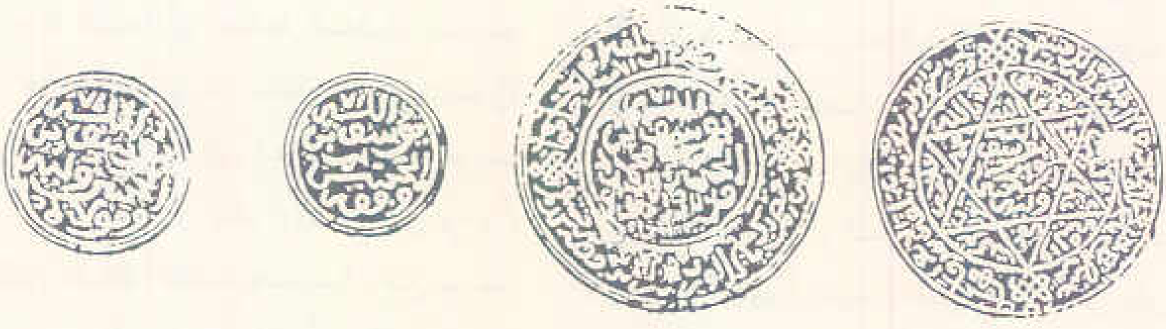
المخزن، وكان احتفاء الجمهور بوصوله عظيما، واستبشاره بتملكه كبيرا.

وكان مما صحبه معه إلى الرباط أشعرة الملك وأدواته التي حملها والده السلطان مولاي يوسف معه إلى فاس لما انتقل إليها مريضا، كالمظل والعربة والمزراق وخيل القادة والصنيدق الذي تحفظ فيه الطوابع السلطانية ومحبرتها.



الصورة الرسمية الأولى لجلالة السلطان سيدي محمد بن يوسف

والطابع هو من أهم أشعرة الملك وأدواته، بل من أهم أدوات كل ذي مسؤولية، وقد عرف منذ عرفت النظم الحكومية والإدارية من قديم الزمان، وكان يسمى أيضا الخاتم، إما لأنه كان ينقش من معدن مربعا أو مستديرا ويلصق بالخاتم الذي يوضع في أحد أصابع اليد، بحيث لا يمكن لأحد أن يصل إليه أو يستعمله إلا صاحبه، وإما لأن الرسائل والقوانين كانت تختم به فتثبت لها بالختم الصحة أو تكون به صالحة للتنفيذ، وكان لرسول الله ﷺ خاتم ختم به الرسائل التي بعث بها إلى ملوك عصره يدعوهم بها إلى الدخول في الإسلام، وكان من ملوك المغرب من يوقع رسائله بتوقيع خاص يسمى (العلامة)، وأمين السر الذي يرسمها يسمى (صاحب العلامة)، وقد عرف إسماعيل ابن الأحمر بعدد من هذا الصنف من الكتاب الذي كانوا يختصون برسم (العلامة) في كتابه المسمى (مستودع العلامة، ومستبدع العلامة)، ومنهم من كان يستعمل الطابع بعد العلامة، وكانت الطوابع تختلف أشكالا وأحجاما، كما كان يختلف ما بدوائرها من آيات أو أشعار أو دعاء، ومن السلاطين من كان يستعمل العلامة تارة والطابع تارة أخرى كالسلطان أحمد المنصور الذهبي في العصر السعدي، والسلطان مولاي سليمان في العصر العلوي، ومن الذين استعملوهما معا السلطان مولاي الحسن الأول الذي وضع إمضاءه بجانب طابعه على الاتفاقية التي توصل إليها المؤتمر الدولي المجتمع في مدريد عام 1297 هـ (1880 م) للنظر في قضية الحماية التي كان ممثلو الدول الأجنبية في المغرب يعطونها لرعايا السلطان، ولا يكون الطابع الملكي إلا في أعلى النص المكتوب سواء كان النص المكتوب مجرد رسالة تسمى (براءة سلطانية)، أو كان له حكم التشريع وقوة التنفيذ ويسمى حينئذ (ظهيرا)، أما غير الملك فيكون طابعه



صورُ الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها السلطان
مولاي يوسف في الشهور الأُولى من ملكه.

ي أسفل الرسالة ولو علت درجته وعظم نفوذه، كان الخليفة السلطاني بتطوان مولاي المهدي بن ماعيل وابنه مولاي الحسن بن المهدي رحمهما الله ا كتب أولهما إلى السلطان مولاي يوسف يضع ابعه في أسفل الرسالة تأدبا، كما كان ثانيهما إذا تب إليه أو إلى ابنه سيدي محمد بن يوسف يضع ابعه الكبير ـ مثل والده ـ في أسفل الرسالة تأدبا،

وشاع استعمال الطابع في أعلى الهوامش اليمنى للرسائل من طرف بعض الوزراء والسفراء والأشراف إذا كانت الرسائل مكتوبة لممثلي الدول الأجنبية أو لأهل الذمة من اليهود.

ونعود الآن إلى حكاية صنيدق الطوابع السلطانية الذي رجع إلى الرباط برجوع محمد الخامس إليه من فاس. لقد استبدلت بطوابعه القديمة



صورُ الطوابع الكبرى والصغرى التي استعملها السلطان
سيدي محمد بن يوسف في الشهور الأُولى من ملكه.

طوابع فضية جديدة نقشت باسم السلطان الجديد، وكانت العادة المتبعة أن يحتفظ السلطان بصنيدق طوابعه داخل قصره ويمسك بمفتاحه، فلا يفتحه إلا هو عندما تدعو الحاجة إلى استعمال أحد طوابعه لطبع ما يعرض عليه، أو يأمر بإعداده من براءة أو ظهير، ولكن العادة اختلفت عندما رجع سيدي محمد بنْ يوسف إلى الرباط، فقد أبقي الصنيدق بما فيه عند السلطان في القصر الملكي، أما مفتاحه فقد استبد به الصدر الأعظم الحاج محمد المقري وأبقاه في جيبه ! وتخلف العادة هذا يحل لنا مشكلة بل عديدا من المشكلات المتعلقة بالتشريعات المجحفة التي صدرت في السنوات الأولى لتملك السلطان سيدي محمد بن يوسف.

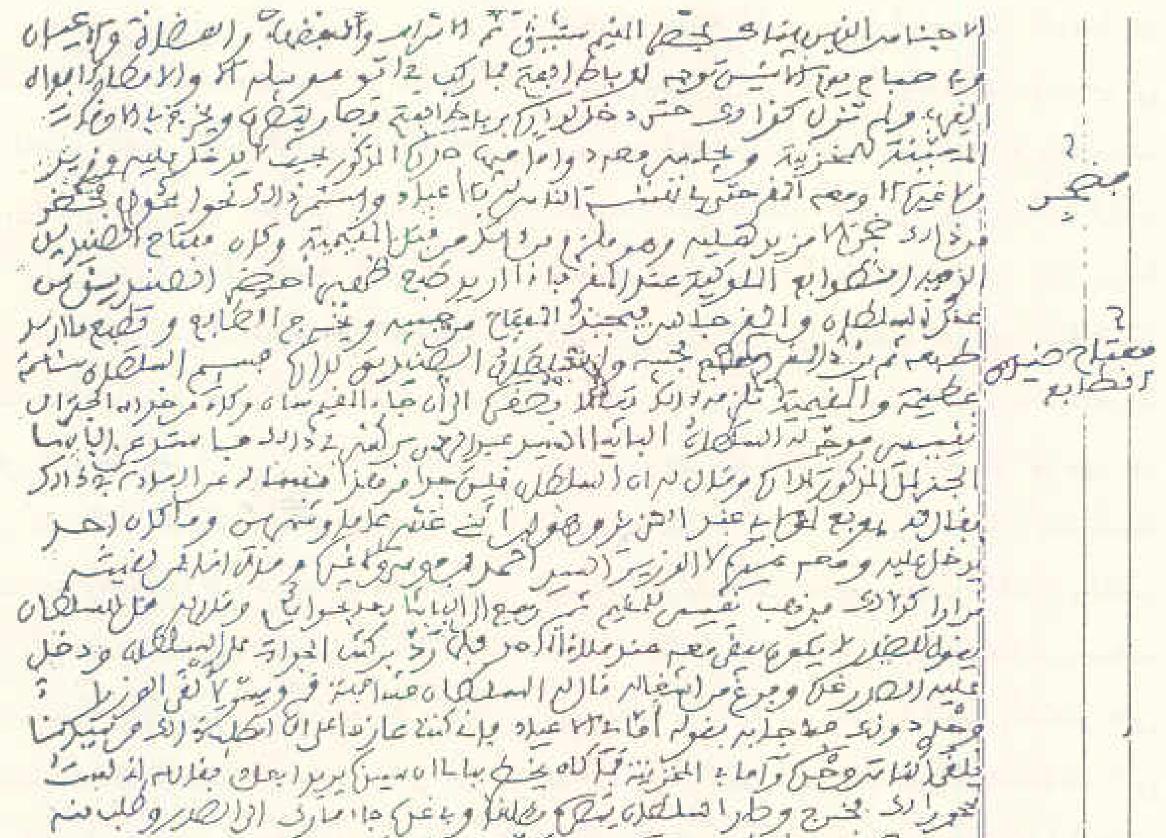
لقد كان الوقت وقت المد الاستعماري وتقليص السيادة المغربية ونقل مقدرات الشعب المغربي من أبنائه إلى المستوطنين الفرنسيين ومن أضيف إليهم وعطف عليهم من الأوربيين وأبناء المستعمرات، فبعد استسلام المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل المقاومة الريفية الباسلة سنة 1926، وهي السنة التي سبقت سنة موت السلطان مولاي يوسف وتملك ابنه السلطان سيدي محمد، ظن ممثلو فرنسا بالمغرب أن الجو خلا لهم فيه، وأنهم يستطيعون أن يتصرفوا في مقدراته كما يشاءون من غير أن يكون لهم معارض ولا منازع، فصاروا يستصدرون ظهائر تفوض لهم مباشرة كثير من السلط والاختصاصات غير السلط والاختصاصات الموكول التصرف فيها لفرنسا بمقتضى عقد الحماية، وهي المتعلقة بالأمن والديبلوماسية، كما أعطت تلك الظهائر امتيازات واسعة للجالية الفرنسية والجوالي الأجنبية تجعلها محتكرة لاقتصاد المغرب في مختلف أشكاله الصناعية والفلاحية والتجارية، متمتعة بفوائده ومزاياه دون أبناء البلد الوطنيين، وبتلك الظهائر أو التشريعات سلب الفلاحون المغاربة أجود أراضيهم وأطيبها، وأُرغِمُوا على أن يصبحوا فيها مستخدمين أجراء بأبخس السوم عند المعمرين الأوربيين، وتجاوزت المطامع الأشعبية لفرنسا المجالين السياسي والاقتصادي إلى المجال الديني نفسه، إرضاء لقساوستها ورهبانها الذين كانوا يتطلعون إلى تنصير المغاربة وفرنستهم، وإحداث تفرقة بينهم تتقد بسببها نار فتنة طائفية وعرقية شبيهة بما يحدث منذ خمسة عشر عاما بقطر عربي كان واقعا تحت انتدابها، ومن أبرز التشريعات التي استصدروها في المجال الديني والسياسي معا استصدارهم يوم 16 ماي سنة 1930 للظهير الذي اشتهر باسم الظهير البربري، ذلك الظهير الذي يَحْظُرُ على القبائل البربرية المسلمة التحاكم بالشريعة الإسلامية، ويلزمها التحاكم وفق أعراف بدائية ترجع إلى عصر آدم ونوح لا يعرفها البربر أنفسهم، على أن تستأنف أحكامها أمام المحاكم الفرنسية، ولسنا هنا في معرض ما أحدثه صدور هذا الظهير من ضجة بين المغاربة بدويّيهم وحضريّيهم، وأُخرى في العالم الإسلامي من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، وخاصة بين القبائل المسلمة التي تتكلم اللهجات البربرية، والتي أدركت ما يريد الاستعمار بها ويكيد لها، سيما وأهلها كانوا يرون الكنائس تنشأ في القرى المنعزلة بالجبال العالية التي لا يوجد بها

نصراني واحد، والبعثات التنصيرية ـ ولا أقول التبشيرية ـ تحضر المواسم والأسواق الأسبوعية قائمة فيما بدعايات بليدة للمسيحية، رغبة منها في صد الناس عن دين الله الحق، وتشكيكهم في العقيدة المطهرة التي جاء بها نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد صلوات الله عليه وسلامه، ولكن يبقى السؤال قائما هو هو، كيف وُضِعَ الطابع السلطاني على نصوص تلك التشريعات الجائرة المجحفة ؟ وبالخصوص الظهير البربري الذي أحدث في المغرب ودنيا المسلمين كلها دوِيّاً وطنينا دونهما كل طنين ورنين.

لقد كنت أعرف، مما سمعت ممن أدركت من رجال القصر المسنين الذين عاشوا في تلك الحقبة، أن السلطان سيدي محمد رحمه الله بقي عدة سنين بعد تملكه لا يباشر أمور المملكة بنفسه، نظرا لصغر سنه، لأن وزيره الصدر هو الذي كان يتولاها ويباشر الكلام فيها مع المقيم العام الفرنسي أو مستشار الأمور الشريفة وهو فرنسي أيضا، كان يقوم بدور الوصي على القصر السلطاني وموظفيه، وقد اغتنمت فرصة سمري مع جلالته مساء يوم الخميس 5 جمادى الأولى عام 1377 هـ (28 نونبر 1957 م) بأحد فنادق مدينة وليام سبورغ التاريخية خلال زيارته للولايات المتحدة، فسألته بأدب ورفق عن قضية الظهير البربري، فأجاب رحمه الله باقتضاب أن كل شيء كان يومئذ بيد الفرنسيين، فاستحييت أن أسأله مزيدا من التوضيح والتفصيل، لأن الجواب كان يفي على قِصَرِه بكل ما أُريد أن أعرفه، ومع ذلك بقيت قضية وضع الطابع السلطاني على ظهير خطير مثل الظهير البربري تراود فكري وتتلجلج في صدري، واتفق منذ نحو عشر سنين أن أوفدني جلالة الملك الحسن الثاني إلى فرنسا للقيام بمهمة كان من المقرر أن يصحبني فيها إلى كورسيا السفير السيد عبد القادر الجاي الذي كان يومئذ وزيرا مستشاراً بسفارة المغرب في فرنسا، ولما كنت في مطار مرسيليا وجدت في استقبالي عند نزولي من الطائرة السيد (لوسيوني) الذي كان مديرا للأحباس في عهد الحماية، ثم صار بعد التحرر منها مستشارا قانونيا لجلالة الملك، فاستضافني وأكد علي أن أقضي الليل معه في منزله الكائن بقرية (ميروي) القريبة من مدينة (إيكس إن بروفانص)، ولما كنا نتسامر في الليل بعد العشاء، أثار كلانا بعض الوقائع والأحداث التاريخية التي طبعت أكثر من غيرها سياسة فرنسا بالمغرب أثناء سنوات الحماية، وكان من بينها سياسة فرنسا البربرية التي بدأ تطبيقها تدريجيا سنة 1914 يوم كان المرشال ليوطي ممثلا لفرنسا بالمغرب، وبلغت أوجها سنة 1930 بصدور الظهير البربري يوم 16 ماي، وشدّ ما كانت دهشتي عندما رأيت السيد لوسيوني ـ شمله الله بعفوه ـ يقطع الكلام وينهض منتفضا كالمحموم ـ وكان قصير القامة ـ ويذهب إلى مكتبه ثم يأتي منه بإضبارة فتحها وأطلعني على ما فيها، فإذا الذي فيها محاضر الاجتماعات التي كانت تجري في الإقامة الفرنسية العامة لتحضير الظهير البربري والنصوص التنظيمية التي ستصدر لتطبيقه، ولم يكن في هذه المحاضر ـ كما أكد لي هو بنفسه وكان من شهود العيان ـ ما يدل على أن السلطان استشير، أو أن المخزن أخذ رأيه أثناء إعداد

نصوصها، فازددت اقتناعا بأن الفرنسيين هم وحدهم صانعوها، والمتحملون لأوزارها.

وعلى ذلك، بقيت قضية وضع الطابع السلطاني على الظهير البربري لا تعزب عن بالي، حتى جاءني في هذا الأسبوع أحد الأصدقاء بوثيقة ذات أهمية كبرى مكتوبة بخط وزير العدلية الأسبق السيد محمد بن عبد السلام الرندة وصف فيها وفاة السلطان مولاي يوسف، ومبايعة ابنه سيدي محمد الخامس ورجوعه من فاس إلى الرباط، ومسائل أخرى، فانقشعت بقراءتها كل الغيوم المتعلقة بطبع الظهير البربري، وها أنا ذا أنقل فيما يلي من هذه الوثيقة أو (التقييد) ما يتعلق بصنيدق الطوابع السلطانية، واحتفاظ الصدر الأعظم الحاج محمد المقري بمفتاحه باتفاق مع الفرنسيين، وتصرفه في الأختام الملكية طيلة السنوات الخمس الأولى من عهد الملك المجاهد المرحوم.



القسم الأخير من تقييد الوزير السيد محمد الرندة

جاء في (تقييد) الفقيه الوزير الرندة ما يلي :
(...فصار (أي السلطان سيدي محمد بن يوسف) يتصرف ويخرج في الأوقات المعينة للمخزنية، ويجلس معه دوما فيها صدره المذكور (أي الحاج محمد المقري) بحيث لا يدخل عليه وزير ولا غيره إلا ومعه المقري حتى في تهنئة الناس له بالأعياد، واستمر ذلك نحو 5 أعوام، فضجر من ذلك ضجرا لا مزيد عليه وهو ملزم من ذلك (أي بذلك) من قبل المقيمية.

وكان مفتاح الصنيديق الذي فيه الطوابع الملوكية عند المقري، فإذا أريد طبع ظهير أحضر الصنيديق من عند السلطان، والمقري جالس، فيجبذ (أي يستخرج) المفتاح من جيبه ويخرج الطابع ويطبع ما أريد طبعه، ثم يرد المقري مفتاح صنيديق الطابع لجيبه والسلطان الصنيديق لداره.

فسئم السلطان سآمة عظيمة والمقيمية تلزمه ذلك تعللا بصغره، إلى أن جاء المقيم (لوسيان سان) وكان من خدامه الجنرال نقيس (نوكيس) فوجه له السلطان الباشا السيد عبد الرحمان بركش (بركاش) في ذلك، فاستدعى الباشا الجنرال المذكور لداره، وقال له : إن السلطان قلق جدا من هذا، فسأله عن العادة في ذلك، فقال له : بويع لمولاي عبد العزيز وهو ابن اثني عشر عاما وشهرين، وما كان أحد يدخل عليه ومعه غيره، لا الوزير السيد أحمد بن موسى ولا غيره، وقال : أنا ممن لقيته مرارا كذلك، فذهب نقيس (نوكيس) للمقيم، ثم رجع إلى الباشا بعد نحو 3 أيام، وقال له : قل للسلطان يقول للصدر لا يكون يبقى معه عند ملاقاة أحد، فلما رد (بلّغ) بركش الجواب على السلطان، ودخل عليه الصدر، وعندما فرغ من أشغاله قال له السلطان مشافهة : قم وسر لألقى الوزراء وحدي دونك، فأجابه بقوله : أما في الأعياد فإني كنت عازما على أن أطلب ذلك من سيدنا يلقى الناس وحده، وأما في المخزنية فما كان يخطر ببالي أن سيدنا يريد إبعادي، فقال له : إني لست محجورا لك، فخرج وصار السلطان يتصرف مطلقا، وفي غده جاء مارك (المستشار الفرنسي)، وطلب منه مفتاح صنيديق الطوابع فحازه منه ومكن منه السلطان).

فمن هذا نرى أن ملك الجهاد محمد الخامس ـ طيب الله ثراه ـ لايد له من قريب ولا من بعيد في إعداد مشروع الظهير البربري ولا في طبعه بعد إعداده ليصير قانونا، وأن العملية كلها تمت في مكاتب الإقامة الفرنسية العامة، تنفيذا لسياسة قديمة راودت عقول المستعمرين الفرنسيين في الشمال الإفريقي كله، فحاولوا تطبيقها في المغرب لإخراج شطر من أبنائه من دين الإسلام، ثم طلب من الصدر الأعظم الذي كان أطوع لهم من البنان أن يضع الطابع السلطاني على الظهير الذي أعدوه، ذلك الطابع الذي كان يحتفظ بمفتاحه فوضعه عليه، وباء بإثم عمله مع آثمين آخرين.

الرباط ـ عبد الوهاب ابن منصور

الدروس الحسنية

نموذج جديد لدراسة الكتاب والسنة

للأستاذ محمد العرائشي

من العادات الحميدة التي سار عليها ملوك المغرب وعلماؤه منذ عهود طويلة، سرد متن صحيح الإمام البخاري بالبلاطات الملكية، وببعض مساجد مدن المغرب خلال شهور رجب وشعبان ورمضان من كل سنة، من طرف علماء ومحدثين تسند إليهم مهمة السرد وشرح ما يراه الملك في مجلسه مفتقرا للشرح، وعلامة ذلك، إما أن يأمر الملك العالم بتولي شرح الحديث المتوقف في فهم معناه، أو يجمع بين دفتي النسخة التي بيده، فيتوقف السرد ويشرع العالم في الشرح، وإن ظهرت لعالم آخر ملاحظة أو نظرية حول ما أبداه العالم الأول، فله أن يبديها، وللآخر أن يناقشه فيما أبداه، وهكذا دَوَالَيْك.

وقد تنافس المغاربة في وقف أملاك وعقارات على كرسي سرد البخاري ببعض مدن المغرب كمكناس وفاس وغيرهما من المدن المغربية، ولا يزال العمل قائما بمهمة السرد في بعضها إلى غاية تاريخه. وكان الأمر في البداية مقتصرا على شهر رمضان، ثم أضيف إلى الشهر المذكور، شهرا رجب وشعبان، ففي مدينة مكناس مثلا، كان يُبْتَدَأُ السرد بالمسجد الأعظم وغيره من مساجد بعض الزوايا كالعَلَمِيَة والكتّانية والدّرقاوية في فاتح رجب، بعد صلاة الصبح في بعضها، وبعد صلاة العصر في البعض الآخر، وذلك كل يوم، عدا يومي الخميس والجمعة، ويتوقف في الخامس عشر من شهر شعبان، ثم يُستأنفُ في فاتح رمضان، ويقع الختم في مشهد كبير، يحضره جمهور غفير من عباد الله المومنين ليلة السابع والعشرين من رمضان المعظم.

أول من سن هذا العمل :

يذكر بعض المؤرخين، أن أول عالم قام بهذا العمل في العهد الوطاسي، هو الإمام الشهير محمد بن أحمد ابن غازي العثماني المكناسي المتوفى بمدينة فاس سنة 919 هـ / 1513 م، فقد كان يتولى سرد صحيح البخاري بنفسه في شهر رمضان من كل سنة حينما سكن بمدينة فاس.

وفي هذا الصدد يقول الكتاني في مؤلفه «فهرس الفهارس»[1] عند كلامه على فهرس ابن غازي «التعلل برسوم الإسناد، بعد ذهاب أهل المنزل والناد» أن ابن غازي كان يسمع في كل شهر رمضان صحيح البخاري. ثم قال بعد ذلك : ولما تكلم ابن عبد السلام الناصري في المزايا على عادة جده أبي عبد الله ابن ناصر في سرد البخاري في رمضان من كل سنة قال : على عادة ابن غازي بفاس، إذ هو الذي ابتدأ سرده به ولازمه في رمضان، فتابعه الشيخ وغيره على ذلك.

قلت : أعني الكتاني ولازال الناس في فاس ومكناس، وغيرهما من بلاد المغرب، يعتنون بقراءة صحيح البخاري في شهر رمضان إلى الآن على سنة ابن غازي رحمه الله (اهـ). ثم بقي العمل مستمرا على ذلك منذ عهد الدولتين : السعدية والعلوية إلى غاية تاريخه.

ففي العهد السعدي : كان السلطان أبو العباس أحمد المنصور بالله السعدي المعروف بالذهبي المتوفى بفاس في شهر ربيع الأول سنة (1012 هـ / 1603 م) يبتدئ سرد صحيح البخاري في شهر رمضان، ويختمه يوم سابع شوال.

وهذا ما يحدثنا عنه صاحب الاستقصا عند ذكره لعادة المنصور في الاحتفال بالمولد النبوي، واعتنائه بسائر الأعياد حيث يقول :[2]

«وهكذا كانت سيرته في شهر رمضان عند ختم صحيح البخاري، وذلك أنه كان إذا دخل رمضان، سرد القاضي وأعيان الفقهاء كل يوم سفرا من نسخة البخاري، وهي عندهم مجزأة على خمسة وثلاثين سفرا، في كل يوم سفر إلا يوم العيد وتاليه، فإذا كان يوم سابع العيد، ختم فيه صحيح البخاري، وتهيأ له السلطان أحسن تهيىء، إلا أن العادة الجارية عندهم في ذلك، أن القاضي يتولى السرد بنفسه، فيسرد نحو الورقتين من أول السفر، ويتفاوض مع الحاضرين في المسائل، ويلقي من ظهر له بحث أو توجيه ما ظهر له، ولا يزالون في المذاكرة، فإذا تعالى النهار ختم المجلس، وذهب القاضي بالسفر فيكمله سردا في بيته، ومن الغد يبتدئ سفرا آخر، وهكذا والسلطان في جميع ذلك، جالس قريب من حاشية الحلقة، قد عين لجلوسه موضع».

وفي عهد الدولة العلوية : سار ملوكها على نهج الدولتين السابقتين : الوطاسية والسعدية، وكان سرد صحيح البخاري زمن ولاية بعضهم مقتصرا على شهر رمضان، وعند البعض، توزع قراءته على شهور : رجب، وشعبان، ورمضان.

ففي عهد الحسن الأول : المتوفى ليلة الخميس ثاني ذي الحجة سنة (1311 هـ / 1894 م) كان يقسم سرد صحيح البخاري أثناء الشهور الثلاثة، على ستة وثلاثين نصابا حسبما وجد مفصلا في إحدى مقيدات قاضي مكناس أحمد بن الطالب ابن سودة المري المتوفى سنة (1321 هـ / 1904 م) ونقله من خط يده، المؤرخ الشهير المولى عبد

(1) ج. 2. حرف غ ص. 257.

(2) ج. 5. ص. 153 ـ 154 ط. 2 دار الكتاب الدار البيضاء.

الرجل وبلغه أن معاذا نال منه فأتى النبي صلى الله عليه فشكا إليه معاذا فقال النبي صلى الله عليه يا معاذ أفتان أنت أو فاتن ثلاث مرار فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى فإنه يصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة أحسب في الحديث. وتابعه سعيد بن مسروق ومسعر والشيباني قال عمرو وعبيد الله بن مقسم وأبو الزبير عن جابر قرأ معاذ في العشاء بالبقرة وتابعه الأعمش عن محارب

باب

حدثنا أبو معمر قال حدثنا عبد الوارث قال حدثنا عبد العزيز عن أنس قال كان النبي صلى الله عليه يوجز الصلاة ويكملها

باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي

حدثنا إبراهيم بن موسى قال أخبرنا الوليد قال حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه قال إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهية أن أشق على أمه. تابعه بشر بن بكر وابن المبارك وبقية عن الأوزاعي. حدثنا خالد بن مخلد قال حدثنا سليمان بن بلال قال حدثنا شريك بن عبد الله سمعت أنس بن مالك يقول ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه. حدثنا علي بن عبد الله قال حدثنا يزيد بن زريع قال حدثنا سعيد قال حدثنا قتادة أن أنس بن مالك حدثه أن النبي صلى الله عليه قال إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه. حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه قال إني لأدخل في الصلاة فأريد إطالتها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه. وقال موسى حدثنا أبان قال حدثنا قتادة قال حدثنا أنس عن النبي صلى الله عليه مثله

باب إذا صلى ثم أم قوما

حدثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن عمرو بن دينار عن جابر كان معاذ يصلي مع النبي صلى الله عليه ثم يأتي قومه فيصلي بهم

الملخص بالطرة أعلاه هو بقلم السلطان مولاي سليمان

الرحمن ابن زيدان في الإتحاف[3] مصدرا بالفقرة الآتية :

«الحمد لله. الذي استقر عليه عمل سيدنا ومولانا أمير المومنين، مدة تنيف على العشر سنين في سرده لصحيح الإمام البخاري في الثلاثة الأشهر، أنه يقرؤه في ستة وثلاثين نصابا وبيان كل نصاب هكذا :

الأول : بدء الوحي

الثاني : الوضوء

الثالث : التيمم

الرابع : المواقيت

الخامس : الصف الأول

السادس : أبواب العيدين

السابع : فضل الصلاة بمسجد مكة

الثامن : الزكاة

التاسع : سقاية الحاج

العاشر : فضائل المدينة

الحادي عشر : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا﴾

الثاني عشر : كتاب الشرك

الثالث عشر : الهبة للولد

الرابع عشر : ﴿وابْتَلُوا اليتامى﴾

الخامس عشر : الجهاد بإذن الأبوين

السادس عشر : بدء الخلق

الثامن عشر : ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾

الثامن عشر : مناقب عثمان

التاسع عشر : هجرة النبي ﷺ

العشرون : غزوة الحديبية

الواحد والعشرون : حديث كعب بن مالك

الثاني والعشرون : سورة الأنعام

الثالث والعشرون : سورة لقمان

الرابع والعشرون : سورة ﴿والشمس وضحاها﴾

الخامس والعشرون : ﴿قو أنفسكم وأهليكم نارا﴾

السادس والعشرون : ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾

السابع والعشرون : الرقى بالقرآن

الثامن والعشرون : الأدب

التاسع والعشرون : أحب الأسماء إلى الله

الثلاثون : الوضوء عند الدعاء

الواحد والثلاثون : الأيمان والنذور

الثاني والثلاثون : ﴿فمن لم يستطع منكم طَوْلاً﴾

الثالث والثلاثون : تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح

الرابع والثلاثون : كتاب التمني

الخامس والثلاثون : ﴿عالم الغيب والشهادة﴾

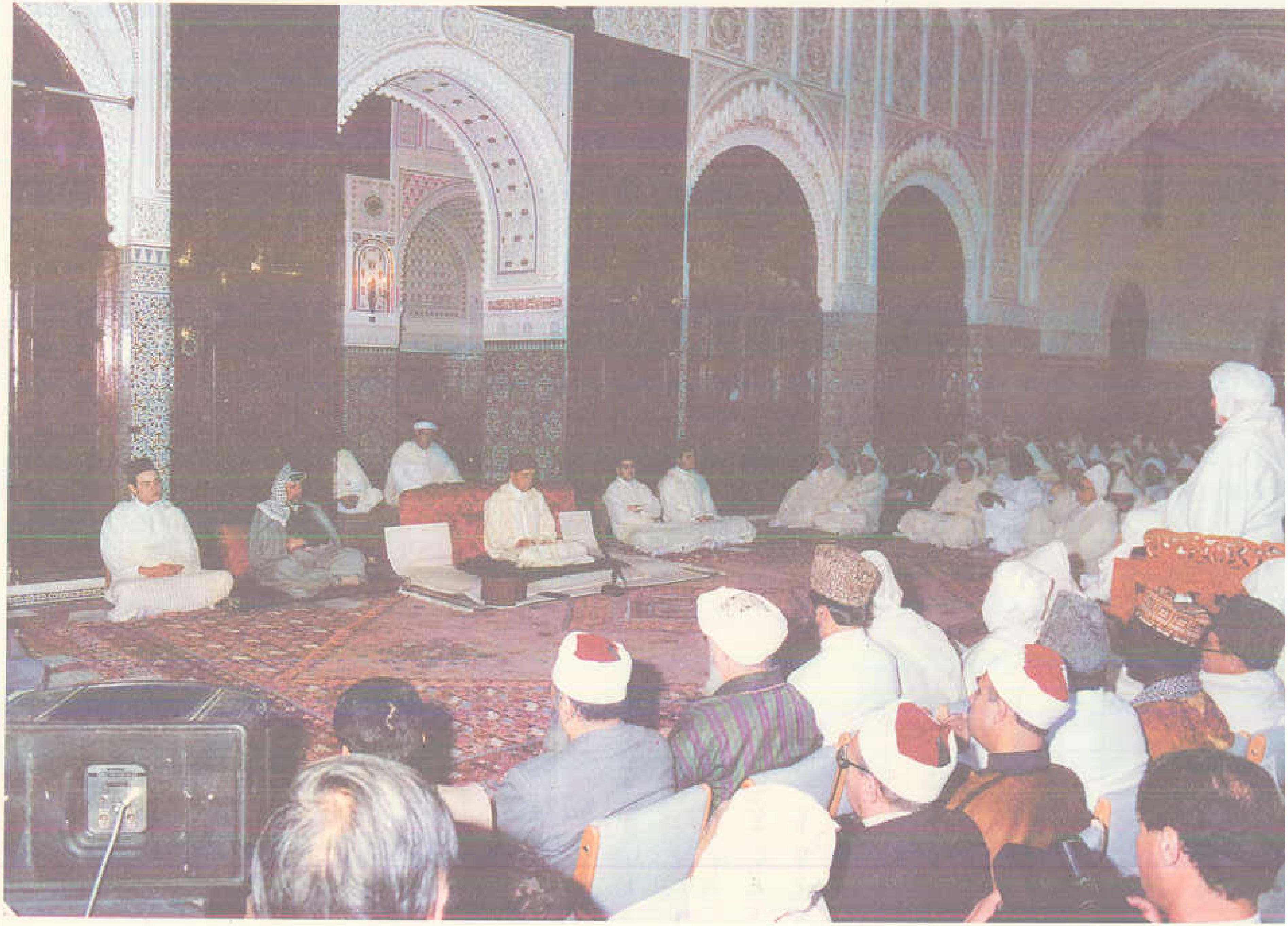
السادس والثلاثون : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾

ويتراوح عدد أحاديث كل نصاب ما بين 161 بابا في الأكثر، كما في نصاب باب قوله تعالى : ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ إلى باب الرقى، و44 بابا في الأقل، كما في نصاب «باب غزوة الحديبية» إلى حديث «كعب بن مالك» وقد ورد في المصدر السابق : الإتحاف[4] وصف لإحدى حفلات

---

3) ج. 1. ص. 462 ط. 1.

4) ج. 2. ص. 277.



درس من الدروس الحسنية الرمضانية لعام 1410 هـ

ختم البخاري بمدينة الرباط، من طرف الحسن الأول، لكن الختم في هذه المرة كان يوم عيد الفطر، وكان ذلك أثناء حَرْكَةِ السلطان الأولى من مراكش إلى فاس ومكناس سنة 1290 هـ / 1874 م ففي صبيحة يوم الخميس 29 رمضان سنته، حل المولى الحسن الأول برباط الفتح، وأقام به سُنّة عيد الفطر، وختم صحيح البخاري، وكان شيخ مجلسه الحديثي هو السيد المهدي بن الطالب ابن سودة قاضي مدينة مكناس المتوفى سنة 1294 هـ / 1877 م[5] وحضر الختم جم غفير من العلماء والأعيان، ووجوه القبائل المغربية، وقيل في الختم من الأمداح ما يزيد على خمسين قصيدة، أجاز عليها أصحابها كُلٌّ بما يستحق.

واستمر العمل على ذلك في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام المتوفى بمكناس في 29 محرم سنة 1276 موافق 28 غشت 1859 وكان من بين سراد الحديث في عهده أبو عبد الله محمد بن السعيدي العدل بسماط عدول مكناس واحد كتاب حضرته[6].

وفي عهد السلطان المولى عبد العزيز المتوفى سنة 1326 هـ / 1909 م أمر بإنشاء قراءة صحيح البخاري والشفا بالضريح الإدريسي بفاس صباح كل يوم، وعين لقراءة البخاري جماعة من العلماء، منهم القاضي عبد السلام الهواري، والقاضي محمد المدغري العلوي، والشيخ أحمد بن الخياط الزكاري، ولقراءة الشفا محمد الخصاصي، وعبد الحي الكتاني، ورتب لكل واحد منهم راتبا يوميا يقوم بجُلّ ضرورياته[7].

وفي زمن ولاية السلطان المولى عبد الحفيظ المتوفى في 22 محرم 1356 / 4 أبريل 1937 كما في الدرر الفاخرة، بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة[8] لابن زيدان. بعد ما تم بناء المسجد الذي أمر (المولى عبد الحفيظ) ببنائه بأبي الجنود يمين الداخل للقصر بفاس، أمر قضاة فاس، وجماعة من العلماء بافتتاحه وسرد صحيح البخاري والشفا به (اهـ) وفي سنة 1330 هـ / 1911 م حل بالرباط، واجتمع مع قاضيه الشيخ محمد المكي البطاوري المتوفى ليلة ثاني محرم سنة 1355 هـ / 1936 م قاضي سلا أبي الحسن علي بن محمد عواد المتوفى سنة 1354 هـ / 1935 م وأمر عواد أن ينتخب جماعة من علماء العدوتين، ويأمرهم بالحضور إلى المسجد المحمدي الحسني بالرباط، قصد سرد صحيح البخاري وشرح بعض أحاديثه بمحضر السلطان، فبلغ عدد ما اختارهم من العلماء، مع من كان بركاب السلطان من علماء شنجيط، نحو العشرين، وأسند رئاسة الجلسة لقاضي سلا المذكور. وكان افتتاح المجلس الأول في ثالث رجب سنة 1330 هـ / 1911 م فابتدأ السارد بما انتهت إليه قراءة السلطان

5) كان المهدي ابن سودة شيخ مجالس ملوك ثلاثة : مولاي عبد الرحمن ابن هشام، وسيدي محمد بن عبد الله، والمولى الحسن الأول في صحيح البخاري في شهور رجب وشعبان ورمضان كما ورد في ج. 4 من الإتحاف 359.

6) ج. 5. من المصدر قبله ص. 225.

7) الدرر الفاخرة لابن زيدان ص. 116.

8) ص. 123.

قبل ذلك، وهو : «باب مناقب قريش». وبعد ذلك شرع قاضي سلا في الكلام على الترجمة الأولى مع الموالية لها، إلى أن انتهى إلى مناقب عثمان، وبعد الختم عين السلطان للقراءة بالتناوب يوما بعد يوم القاضيان البطاوري وعواد، واستمر العمل على ذلك إلى أن دعت الضرورة السلطان لمغادرة الرباط وبلغ عدد الدروس التي ألقاها البطاوري سبعة دروس، أولها : «مناقب عثمان»، وآخرها : قوله تعالى : ﴿**نساؤكم حرث لكم**﴾(9) جمعها في مؤلف سماه الدروس الحديثية في المجالس الحفيظية(10).

وفي عهد السلطان محمد الخامس المولود بالقصر السلطاني بمدينة فاس سنة 1329 هـ 1911 م والمتوفى في 10 رمضان 1380 هـ / 1961 م جرى العمل على ما كان عليه في عهود الملوك العلويين السابقين، فقد كان كبار العلماء يستدعون للحضور للقصر الملكي بالرباط خلال الشهور الثلاثة المذكورة، لسرد أحاديث صحيح البخاري بمحضر جلالته، وعند التوقف في فهم حديث، يتصدى لشرحه من يراه الملك أهلا لذلك من العلماء، وتعطى للعلماء الحاضرين حرية المناقشة كما سبقت الإشارة إلى ذلك(11).

أما في عهد جلالة الحسن الثاني، فقد عرفت تلك الدروس توجها جديدا، بحيث لم يعد الأمر مقتصرا على سرد صحيح البخاري أثناء شهور رجب وشعبان ورمضان، أوفي رمضان فقط، داخل القصر الملكي، بمحضر الملك وطائفة من العلماء المغاربة، بل سمح للأساتذة والدكاترة المتخرجين من الجامعات المغربية وغيرها، بالإضافة إلى العلماء الفقهاء، أن يساهموا بدورهم بأبحاث، تستنبط من الكتاب والسنة، ويكون محور الدرس آية قرآنية، أو حديث نبوي شريف، كما يساهم فيها جلالة الملك في بعض الأحيان، بإلقاء دروس توجيهية، في التوعية الإسلامية.

وعيّن لإلقاء تلك الدروس بين يدي جلالته ومن يستدعى من الأمراء والوزراء والسفراء وعلماء المملكة المغربية وغيرها من علماء أقطار العالم الإسلامي وحتى الأوربي أقول : عيّن لذلك زمان إلقاء تلك الدروس ومكانه، فالزمان شهر رمضان، من كل سنة، والمكان القصر الملكي بالرباط، وأطلق على تلك الدروس (الدروس الحسنية) وتبتدأ عادة في أوائل شهر رمضان، وتختتم بسرد آخر حديث من صحيح البخاري ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان بعد صلاة العشاء والتراويح بالقصر الملكي وبجميع مساجد المغرب.

وتعميما للفائدة، فإن دروس كل سنة تطبع في كتاب مستقل، يحمل عنوان : «الدروس

---

9) (البقرة) الآية : 223.

10) طبعت سنة 1365 هـ / 1946 م على نفقة دار النشر (الباب).

11) من بين الشيوخ الذين تولوا رئاسة المجالس الحديثية في عهد محمد الخامس :

أبو شعيب الدكالي المتوفى في 6 جمادى الأولى 1356 هـ / 15 يوليوز 1937 م، وعبد الرحمن بن القرشي الإمامي المتوفى سنة 1358 هـ / 1940 م، ومحمد بن العربي العلوي المتوفى في 23 محرم 1384 هـ / 4 يونيه 1964، ومحمد المدني بن الحسني المتوفى سنة 1378 هـ / 1959 م.

الحسنية»، وبعد طبعه يوزع على العلماء، وعلى من يطلبه من المثقفين.

وبتوجيه من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، بدأت في السنتين الأخيرتين مناقشة الدروس الحسنية من طرف لجنة من العلماء، تعقد اجتماعها بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، صباح اليوم الموالي لإلقاء كل درس لمناقشته، لأن في المناقشة إثراء لتلك الدروس وتقييما لها، كما أنها تطبع في كتاب مستقل، لتكون رهن إشارة عموم المثقفين. وقد طبعت لأول مرة مناقشة دروس سنة 1409 هـ في كتاب يحمل عنوان :

(مناقشات الدروس الحسنية، لشهر رمضان الأبرك، لعام 1409 هـ).

ولم يقتصر احتفال ملوك الدولة العلوية على ختم صحيح البخاري، بل كان بعضهم يحتفل أيضا بختم تفسير القرآن الكريم.

فمن اهتمامات المولى إسماعيل[12] بالعلم والعلماء، أنه حضر بنفسه بقصره في مدينة مكناس، ختم أبي عبد الله محمد بن الحسن المجاصي[13] لتفسير القرآن الكريم، وبعد الختم قدم للضيوف الطعام، وكان الذي تولى صب الماء على أيدي العلماء، وتوزيع الجوائز عليهم، هو السلطان المولى إسماعيل.

كما أن السلطان المولى سليمان[14] حضر مع الطلبة ختم شيخه الطيب ابن عبد المجيد ابن كيران، تفسير القرآن الكريم بزاوية ابن رحمون بمدينة فاس في 24 شعبان سنة 1211 هـ / 1796 م.

ويوجد ضمن الأوقاف المحبسة على قراءة صحيح البخاري بمسجد جامع النجارين بمدينة مكناس، نسخة خطية، كان المولى سليمان يعتمدها في قراءته للصحيح. وهي تقع في أربعة أجزاء، من الحجم الكبير، خطها مبسوط متوسط فرغ من نسخ الجزء الأول منها أواخر ربيع الثاني سنة 1105 هـ / 1693 م حبستها المرأة فطومة بنت أحمد العبدي على المسجد المذكور، بتاريخ 29 رمضان سنة 1111 هـ / 1700 م كما بإشهاد التحبيس المكتوب على أول ورقة من الجزء الأول، وبطرة الورقة المشتملة على (باب إذا صلى ثم أمّ قوما) من الجزء المذكور تلخيص للوارد في الموضوع بقلم السلطان المولى سليمان جاء في ختامه : «لخصه سليمان بن محمد أمير المومنين، لطف الله به، وأمده بتوفيقه، آمين، والسلام على من يقف عليه».

أوقفني على المصدر المذكور، الأخ الأستاذ محمد ابن عبود الذي يتولى وقته سرد صحيح البخاري بالمسجد الأعظم بمكناس أثناء شهور رجب وشعبان ورمضان من كل سنة.

مكناس - محمد العرائشي

---

12) توفي بمدينة مكناس ودفن بها يوم السبت 28 رجب سنة 1139 / 1727 م.

13) توفي بمكناس سنة 1103 هـ / 1692 م.

14) توفي بمراكش ودفن بها في 14 ربيع الأول سنة 1238 هـ / 1822 م.

حديث
السلطان ظل الله في الأرض
حديث متواتر

للأستاذ صهيب بن محمد الزمزمي ابن الصديق

في اعتقادي أن الأحاديث التي يأمر فيها النبي ﷺ بالصبر على الولاة، والسمع والطاعة لهم في المنشط والمكره، تتضمن الدلالة على معنى هذا الحديث، وتستلزم وجوب إكرام الولاة وتحريم إهانتهم، تمكينا لهم من تحقيق العزة والمنعة للعباد والبلاد.

فعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال :

«من رأى من أميره شيئا يكرهه، فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتة جاهلية». رواه البخاري (7053) ومسلم (1849).

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

«...ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». رواه البخاري (7137) ومسلم (1835).

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية...». رواه البخاري (2955) ومسلم (1839).

وعن عوف بن مالك عن النبي ﷺ قال : «ألا من ولي عليه وال، فرآه يأتي شيئا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة». رواه مسلم (1855).

ففي هذه الأحاديث إلزام للأمة بإسلاس قيادها للسلطان، وتحذير لها من مغبة عصيانه والخروج عن طاعته، كما أنها تنطوي على إشعار بما للسلطان من الدور الهام في استتباب الأمن والاستقرار، وحماية الأنفس والأموال والديار. وبذلك، تكون الأحاديث المذكورة شاهدة لحديث :

«السلطان ظل الله في الأرض، يأوي إليه الضعيف، وبه ينتصر المظلوم...».

ومن المعلوم أن الخبر إذا اعتضد بعموم كتاب أو سنة أو قياس أو معنى عقلي، يقبله العلماء، ويحكمون بصحته، سواء تعلق الأمر بالفضائل أم بالأحكام.

قال أبو الحسن ابن الحصار في «تقريب المدارك على موطأ مالك» :

«قد يعلم الفقيه صحة الحديث ـ إذا لم يكن في سنده كذاب ـ بموافقة آية من كتاب الله أو بعض أصول الشريعة، فيحمله ذلك على قبوله والعمل به»[1].

وتحضرني ثلاثة أحاديث صححها العلماء من غير جهة السند :

1) عن عبد الرحمن بن سمرة قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة فقال :

«إني رأيت البارحة عجبا...»، وذكر حديثا طويلا تجد نصه كاملا في «الجامع الصغير» للسيوطي.

وقد ضعفه ـ من جهة السند ـ ابن الجوزي والحافظ العراقي والهيثمي كما جاء في «فيض القدير» للمناوي، إلا أنه تابع من صححه من جهة المعنى فقال :

«قال جمع من الأعلام : هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، فينبغي حفظه واستحضاره والعمل عليه... وقال ابن القيم : كان شيخنا يعظم أمر هذا الحديث ويفحم شأنه ويعجب به ويقول : أصول السنة تشهد له...»[2].

2) عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ :

«هو الطهور ماؤه، الحل ميتته». رواه مالك في «الموطأ». وقال عنه ابن عبد البر في «التمهيد» (218/16 ـ 219) :

(هذا الحديث لا يحتج أهل الحديث بمثل إسناده، وهو عندي صحيح، لأن العلماء تلقوه بالقبول له والعمل به...).

فعلق عليه الحافظ بقوله في «التلخيص» (10/1) : (فرده من حيث الإسناد، وقبله من حيث المعنى).

3) عن معاوية أنه سمع النبي ﷺ يقول :

«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين». قال الحافظ في «الفتح» (1 / 165) :

(وقد أخرج أبو يعلى حديث معاوية من وجه آخر ضعيف وزاد فيه : «ومن لم يتفقه في الدين لم يبال الله به»، والمعنى صحيح، لأن من لم يعرف أمور دينه لا يكون فقيها و لا طالب فقه، فيصح أن يوصف بأنه ما أريد به الخير).

وإذن، فالطريقة التي اتبعناها في تصحيح الحديث سليمة ليس عليها أي اعتراض إن شاء الله

1) «تدريب الراوي» ص 25.

2) «فيض القدير» (25/3).

تعالى. وقد كان بعض المحققين يسمي هذه بطريقة «قبول الأخبار بالاستدلال» ليعادل ما بحثه الأصوليون في مسألة «رد الأخبار بالاستدلال».

ـ 2 ـ

على أن الحديث بلفظ : «السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله»، ثابت عن النبي ﷺ من جهة سنده بدون مراء، فقد رواه ابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (1024) عن أبي بكرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول... فذكره بهذا السياق، وقال الشيخ الألباني في تخريجه : «حديث حسن». وصححه العم الدكتور إبراهيم ابن الصديق في بحث مستفيض»[3]، فلم يبق ـ بعد ـ مجال لأي توهين أو تضعيف فيما يرجع إلى السياق المذكور.

وحسبنا هذا القدر من الحديث، فإنه كاف في بابه، واف بالغرض الذي سيق من أجله، كما أنه قد تواتر عن النبي ﷺ تواترا معنويا لا يشك فيه من اطّلعَ على الأحاديث المروية بلفظه أو معناه. وإليكم بيان ذلك باختصار :

أولا : الجملة الأولى من الحديث، وهي : «السلطان ظل الله في الأرض»، وردت من طريق سبعة من الصحابة هم :

1) أبو بكرة. روى حديثه الطبراني والبيهقي في «شعب الإيمان» وابن أبي عاصم في «السنة» بلفظ : «السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله».

2) أبو هريرة. رواه أبو محمد بن يوسف في «جزء من الأمالي»، ومن طريقه ابن النجار.

3) أنس. رواه أبو الشيخ والخطيب في «غريب الحديث».

4) أبو عبيدة. رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (1013).

5) عمر. رواه أبو نعيم في «فضيلة العادلين من الولاة».

6) ابن عمر. رواه الحكيم والبزار والبيهقي.

7) أبو بكر. رواه أبو الشيخ بلفظ «السلطان العادل المتواضع ظل الله ورمحه في الأرض»[4].

ثانيا : الجملة الثانية من الحديث، وهي : «فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله»، قد جاءت بهذا اللفظ أو بمعناه من طريق سبعة من الصحابة هم :

1) أبو بكرة. جاء في حديثه المذكور سابقا تحت رقم «1» :

«...فمن أكرمه أكرمه الله، ومن أهانه أهانه الله».

2) أبو هريرة. جاء في حديثه المشار إليه برقم «2» :

«...ومن أكرم سلطان الله في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة».

---

3) «دعوة الحق» العدد 280.

4) «الجامع الصغير» للسيوطي، «كتاب السنة» لابن أبي عاصم، «السلسلة الضعيفة» للألباني.

3) أبو ذر، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «سيكون بعدي سلطان فَأَعِزُّوهُ، من التمس ذُلَّهُ ثَغَرَ ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت». رواه الإمام أحمد في «المسند» (165/5)، وابن أبي عاصم (1079)، وقال الألباني في تخريجه : «إسناده صحيح».

4) معاذ. قال : قال رسول الله ﷺ : «خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله عز وجل : من عاد مريضا... أو دخل على إمامه يريد تعزيره وتوقيره...» الحديث، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» : (رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، ورجال أحمد رجال الصحيح خلا ابن بهيعة، وحديثه حسن، وفيه ضعف)، وقد صححه الحاكم في «المستدرك» (212/1، و90/2) ووافقه الذهبي.

5) أبو عبيدة. في حديثه المشار إليه برقم «4» :

«لا تسبو السلطان...».

6) أبو أمامة. لفظ حديثه : «لا تسبوا الأئمة، وادعوا الله لهم بالصلاح، فإن صلاحهم لكم صلاح». رواه الطبراني.

7) عياض بن غنم. قال لهشام بن حكيم ـ وهو صحابي أيضا : ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ : «من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه». رواه أحمد والحاكم وابن أبي عاصم، وهو صحيح بمجموع طرقه كما قال الألباني في تخريج «السنة» (521/1 ـ 523).

8) وعن أنس قال : نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قال : «لا تسبوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإن الأمر قريب» رواه ابن أبي عاصم (1015) وقال الألباني : «إسناده جيد». ومعنى ذلك أنه أقوى من الحسن لذاته وأنزل رتبة من الصحيح، كما أفاده السيوطي في «تدريب الراوي» (ص 104 ـ 105).

وفي هذا الخبر دليل على أن الوصية بتعظيم السلطان وإكرامه وعدم إهانته، كانت منتشرة بين كبار الصحابة يوصون بها صغارهم. ويبعد ـ في العادة ـ أن يتواطؤوا على هذا المعنى من غير أن يكون لهم به علم من النبي ﷺ.

ـ 3 ـ

قال السيوطي في «تدريب الراوي» (ص 374 ـ 375) :

(قد قسم أهل الأصول المتواتر إلى لفظي، وهو ما تواتر لفظه، ومعنوي... وذلك أيضا يتأتى في الحديث، فمنه ما تواتر لفظه كالأمثلة السابقة، ومنه ما تواتر معناه كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث، فيه رفع اليدين في الدعاء، وقد جمعتها في جزء، لكنها في قضايا مختلفة، فكل قضية منها لم تتواتر، والقدر المشترك فيها وهو الرفع عند الدعاء تواتر باعتبار المجموع).

والمتبادر من كلام السيوطي أن التواتر المعنوي لا يحصل إلا بمثل العدد الذي ذكره، بيد أن المنصوص عليه في كتب الأصول أن التواتر قد يتحقق بما دون ذلك العدد بكثير، ففي «جمع الجوامع» لابن السبكي : (والمتواتر معنى أو لفظا

وهو خبر جمع يمتنع تواطؤهم على الكذب عن محسوس... ولا يكفي الأربعة... ومازاد عليها صالح من غير ضبط).

ومن ثم، فإن السيوطي نفسه حين جمع كتاب «الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة»، أوْرَدَ فيه نحوا من أربعين حديثا لم يبلغ رواة كل واحد منها عشرة من الصحابة، وفي تضاعيف ذلك ساق حديثا من رواية ستة من الصحابة، وثلاثة أحاديث من رواية خمسة من الصحابة، وحديثا من رواية أربعة، وحديثين من رواية ثلاثة، وحديثا من رواية صحابي واحد فقط ! وهذه أرقامها في الكتاب المذكور : (45، 68، 75، 87، 88، 89، 90، 95).

وفي ضوء ما سبق، لم نر أي مانع من الحكم على حديث «السلطان ظل الله في الأرض...» بالتواتر..، لأن معناه قد جاء من رواية أحد عشر صحابيا بألفاظ متقاربة، منها ما هو صحيح السند، ومنها ما هو ضعيف السند، غير أن وجود الضعيف بينها لا يقدح في صحة حكمنا على الحديث ولا يوهن من قوته، إذ المدار في التواتر على حصول العلم - الضروري أو النظري بثبوت الخبر نتيجة لكثرة رواته، فمع وجود هذه الكثرة لا يجب أن تكون جميع الأسانيد صحيحة، فقد أشار السيوطي في «تدريب الراوي» (ص 83) إلى أن الحكم للحديث بالتواتر لا يمتنع إذا وجدت الطرق المعتبرة لذلك. وفي موضع آخر من الكتاب (ص 371) اختار أن أقل عدد يحصل به التواتر هو عشرة. كما حكى في الكتاب نفسه (ص 64) أن المتواتر لا يعتبر فيه عدالة.

وتوجد عدة أحاديث من هذا القبيل اعتبرت متواترة من طرف بعض العلماء لنفس السبب الذي أومأنا إليه آنفا، ولنذكر منها على سبيل المثال : حديث :

«لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه».

وحديث : «لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول».

وحديث : «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

وحديث : «أول ما خلق الله النور المحمدي» !

وأحاديث : «الأمر بالطاعة للأئمة والنهي عن الخروج عليهم».

وحديثنا، يتميز على بعضها بكونه قد حفّته قرائن، وتعزّز بشواهد لا تبقي شكّاً في أنه حديث متواتر...

طنجة - صهيب بن الصديق

منهج الصحوة الإسلامية في الرسالة الملكية

للأستاذ
أحمد أفزاز
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بوجدة

من حين لآخر نعود إلى رسالة أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري، لنجد فيها التوجيهات الفكرية العميقة الدلالة، للقيام بنهضة إسلامية جديدة تقوم على أساس أصول ومبادئ الشريعة الإسلامية التي نعتقد أنها شريعة إنسانية في نظرتها للحياة، أزلية مع الإنسان، قابلة للتطبيق في كل الأزمان.

ونقف قليلا مع إحدى الفقرات الواردة في الرسالة الملكية السامية والشعب المغربي المسلم يعيش الذكرى الثلاثين لاستلام قيادة هذه الأمة من طرف قائدها ورائدها جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره.

تقول الرسالة في الصفحة التاسعة : **«فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء، كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء».**

وقفتنا مع هذه الفقرة تذكرنا بالدعوة الملكية السامية إلى عقد الدورة الأولى للجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية التي استضافها جلالته لمدة أسبوع كامل في شهر صفر الخير 1411 هـ (متم غشت وأوائل شتنبر 1990 م).

لقد جاءت الدعوة الكريمة لعقد هذا اللقاء الإسلامي لربط أواصر التعاون. ومد حبال التواصل

الفكري بين العلماء والدعاة ورجال الفكر الإسلامي من جهة، وبين الشباب المتحمس للعمل الإسلامي والمحتاج إلى معرفة عميقة بفقه الدعوة الإسلامية، لاختيار الأساليب المناسبة لتحقيق الأهداف، بجعل الإسلام نظام حياة شامل وجامع، ولعل هذا ما جعل الملتقى الإسلامي للصحوة يأخذ شعار قول الله تعالى «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» كنقطة انطلاق للعمل الإسلامي المنظم المنضبط بالمقاييس والمعايير الشرعية.

وقد كان هذا التوجه الفكري هو منهج العمل الدعوي الذي ركز عليه أمير المومنين في الرسالة الملكية للأمة الإسلامية.

فوجه حفظه الله الخطاب في البداية إلى القادة المسلمين الذي جعلهم الله مسؤولين عن شؤون شعوبهم «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» كما يقول رسول الله ﷺ، فالشعور بالمسؤولية الإسلامية من طرف رؤساء الدول الإسلامية وقادتها يعتبر بداية المسيرة الإسلامية في التوجه إلى الله عز وجل وإلى تحكيم شريعته. وإذا نقص الإحساس بهذه الأمانة من طرف القادة المسؤولين فإن الأمر ينعكس سلبيا على العمل الإسلامي، لأن القيادة الإسلامية تعتبر بمثابة القلب في جسم الإنسان وبصلاحها وشعورها بمسؤوليتها يصلح معها سائر الجسد، ولهذا كان الخطاب الملكي موجه في المقدمة إلى القادة المسلمين.

ويوجه الخطاب في المرحلة الثانية إلى الزعماء البارزين وهم رجال الأمة الإسلامية الذين مكنهم الله ليعملوا ويساعدهم القادة المسلمون في تثبيت أحكام هذا الدين واستنهاض همم أبنائه للانطلاق في إعادة البناء الإسلامي وتركيز أصوله وقواعده وأحكامه، وتعاون الزعماء البارزين مع القادة المسؤولين في هذا الميدان يتم بأمرين اثنين :

1) فتح الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وذلك برفع وإزالة جميع القيود التي يحتمل أن تكون حائلة بين العلماء والدعاة وبين القيام بواجب التوعية والدعوة الإسلامية، فالعالم والداعية ما داما يسيران وفق المنهج الرباني في توجيه الخطاب وفي تركيز التربية، والخلق الإسلامي فكل الطرق يجب أن تفتح أمامهما لأداء رسالتهما والقيام بمسؤوليتهما، فميدان التوجيه الإسلامي غير محدود بمكان معين ولا بظرف مخصص، وهذا من صفات الكمال التي أضفاها الله عز وجل على هذا الدين عندما قال : ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾ فما دام الدين كاملا في أفقه وفي عمقه، محيطا بجميع مناحي الحياة الإنسانية فكل الطرق يجب أن تفتح أمام القائمين بالدعوة إليه، وكل المسالك يجب أن تعبد من أجل تحقيق بعث إسلامي جديد يعيد الفرع إلى أصله والجزء إلى كله.

2) والأمر الثاني الذي دعت إليه الرسالة الملكية وجعلته من واجبات القادة المسلمين والزعماء البارزين هو شمولهم بالرعاية الكافية للعلماء والدعاة حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء.

المملكة المغربية

رسالة أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني إلى الأمة الإسلامية بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

9

يستوعب نصوصها، ويدرك مقاصدها ويتفهم أسرارها ويأخذ على عاتقه أن يستخرج نفائسها ودررها، وذلك أمر مرهون بإعداد مجموعة كافية من العلماء والمفكرين، يكونون - مثل سلفهم - مستوفين لشروط الاجتهاد والنظر في أصول الدين، ويكرسون جهودهم لإحياء تراث الإسلام الثمين، وصياغته صياغة جديدة تجعله في خدمة جماهير المسلمين.

فمن واجب القادة المسؤولين والزعماء البارزين في العالم الإسلامي أن يفتحوا الطريق أمام القائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية، وأن يشملوهم بالرعاية الكافية، حتى يؤدوا رسالتهم أحسن أداء. كما أن من واجب دعاة الإسلام أنفسهم أن يجتمعوا على كلمة سواء، ويدعموا فيما بينهم روابط التضامن والإخاء، وأن يعملوا على أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء. فبالتخطيط الإسلامي المحكم، والعمل المتواصل المنظم للدعوة الإسلامية الموحدة، يتغلب المجتمع الإسلامي على كثير

هذا الأمر في التوجيه الملكي السامي وهو يخاطب به الأمة الإسلامية في شخص قادتها وزعمائها هو أضفاء الرعاية الشاملة والعناية الكاملة للقائمين بالبعث الإسلامي والدعوة الإسلامية وذلك بتيسير كل السبل، وتقديم جميع الوسائل المادية والأدبية حتى يؤدي العالم أو الداعي رسالته في أحسن الظروف وأكملها، وكلما توفرت الإمكانيات المساعدة كانت الفائدة عامة، وتم تبليغ الرسالة إلى الخاصة والعامة.

ومن مشمولات الرعاية الكافية تسهيل اللقاءات وتبليغ الدعوات لجميع الفئات، واختيار أماكن التجمعات والاتصالات على جميع المستويات، فلا يقتصر العالم أو الداعية بإعطاء دروس التوعية في المساجد وحدها، بل عليه أن ينتقل إلى أماكن تجمع الطلبة في الجامعات والثانويات، وقاعات المحاضرات في المؤسسات العامة والخاصة، لتبليغهم الرؤية الصحيحة للفكر الإسلامي، والحلول التي يقدمها المنهج الإسلامي لمواجهة المشاكل المعاصرة في مختلف مناحي الحياة الإنسانية ورد الشبه التي يقدمها أعداء الإسلام كعائق في طريق تقدم المسلمين.

ومن وسائل الرعاية الكافية جعل وسائل الإعلام السمعية وحدها والسمعية البصرية لتكون منبرا للبعث الإسلامي المنتظر.

إن تأثير الإعلام في سلوك الإنسان أصبح يأخذ اهتمامات الباحثين على مستوى الجهات الأربع، بعدما أصبح وجوده بجانب الإنسان مفروضا عليه وبدون استئذان، ولما كان الإنسان المسلم محكوما ومأمورا بالالتزام بتطبيق المنهج الإسلامي في حياته، كان استخدام الإعلام وسيلة للدعوة الإسلامية أمرا محتما، ويقتضي هذا أن يلتزم البث الإذاعي والتلفزي والنشر الصحفي اليومي أو الأسبوعي بمناهج التوجيه الإسلامي، حتى يتم صنع المسلم على نموذج إسلامي موحد في مكوناته الأساسية وخصوصياته الرئيسية.

إن التقدم التقني في مجال الإعلام جعل منه الأداة الفعالة لتوجيه الإنسان، وأحكام الإسلام لا ترفض التعامل مع التقدم العلمي، ولكنها توجهه وتستعمله لخير الإسلام والمسلمين، ولنشر الدعوة إلى الله بجميع الإمكانيات المتوفرة.

وإذا كانت الجملة الأولى من الفقرة التي أشرنا إليها تحدثت عن واجبات القادة والزعماء، فإن الجملة الثانية خاطبت العلماء والدعاة وفرضت عليهم الالتزام بأمور ثلاثة :

1) الاجتماع على كلمة سواء ويقتضي هذا أن تكون للعلماء والدعاة قاعدة أصلية موحدة، وأن يتفقوا على حد أدنى لا يمكن الاختلاف حوله. «تعالوا إلى كلمة سواء بيننا» كما يقول الله عز وجل، فالأصول الإسلامية في عقيدة أهل السنة لها حدود معينة، وأحكام العبادات مجموعة ومشروحة في عدة أمهات الكتب الفقهية، وما دامت المملكة المغربية مالكية المذهب فدائرة الخلاف ستكون معدومة إلا فيما أحدثته المدرسة الفقهية المغربية داخل المذهب من اجتهادات جرى العمل بها. ونفس القول ينطبق على أحكام الأسرة والمعاملات إلا ما اجتهد فيه الفقهاء المغاربة وصدر به قانون ملزم موحد كقانون الأحوال الشخصية مثلا، فهذه كلها ميادين يمكن أن يعتبر العلماء والدعاة أنها موحدة بينهم وهم مجتمعون فيها على كلمة سواء.

2) تدعيم روابط التضامن والإخاء، وهذا الأمر له أهميته في ميدان الدعوة الإسلامية ذلك أن القائمين على هذا الأمر يجب أن يكونوا متضامنين فيما بينهم يكمل بعضهم البعض، ويوجه كبيرهم صغيرهم، ويتحاورون ويتذاكرون فيما يؤدي إلى تحقيق الأهداف التي يقصدونها بعملهم، ولعل اللقاءات العلمية والندوات الإسلامية التي تتم على المستوى الجهوي أو الوطني من شأنها أن تزيد في تدعيم روابط الأخوة الإسلامية بين العاملين في ميدان الدعوة إلى منهج الله.

3) والأمر الثالث الذي تركز عليه الجملة الأخيرة وتعتبره من الواجبات الملقاة على عاتق الدعاة هو أن تكون دعوتهم خالصة لوجه الله يسودها طابع التعاون والصفاء.

الإخلاص في العمل أمر مطلوب على كل المستويات، وفي كل المجالات بدون استثناء، وإذا كان العمل خالصا لوجه الله تعالى كان الجزاء فيه أعظم، وقد حث الإسلام المومن على الإخلاص في عمله، والقصد به وجه الله تعالى في عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وإذا كان الإخلاص مطلوبا

من العموم فهو من العلماء والدعاة أشد طلبا وأقوى التماسا، لأن التوعية الإسلامية من المتخصصين في أمورها تهدف إلى التفقه في الدين والدعوة للالتزام بأحكام شريعة رب العالمين ولا يمكن أن يراد بهذا إلا وجه الله تعالى، والأمر الهام في هذا الجانب هو أن تكون ممارسة التفقه في الدين من المختصين والعارفين بأحكام هذا الدين فالقرآن وهو المصدر الأول لأحكام الإسلام يوجه المسلمين إلى سؤال أهل العلم في كل ما يجهلون من أحكام الدين يقول تعالى : ﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾ (الآية 43 سورة النحل).

لعل في هذا التحليل السريع لفقرة واحدة من رسالة أمير المومنين وقد وجهها للمسلمين منذ أحد عشر سنة يثبت التوجيهات العميقة للرؤية الحسنية للصحوة الإسلامية التي تضع المنهج السليم لكل عمل إسلامي هادف ورائد، كما جاء به القرآن، وبلغه رسول الله ﷺ.

وجاءت الدراسات والأبحاث التي قدمها العلماء والدعاة القادمون من مختلف جهات العالم الإسلامي والغربي في الملتقى الإسلامي الكبير، «الجامعة الصيفية للصحوة الإسلامية» مجموعة تحليلات بعض الأفكار التي تضمنتها الرسالة الملكية بمناسبة بداية القرن الخامس عشر الهجري. وما يزال جانب كبير منها محتاج لمزيد من التأمل والتدبر والاستنباط والاستنتاج لوضع مسيرة الصحوة الإسلامية في الطريق الصحيح القويم، بعيدة عن كل غلو أو إفراط جزى الله أمير المومنين ووفقه لخدمة هذا الدين أمين.

الرباط ـ أحمد أفزاز

إن الإسلام يقصد أول ما يقصد إلى جمع الشتات، ولم الشعث، وإشاعة التسامح، هذه كانت سبيله على امتداد تاريخه الطويل، وستظل بحول الله كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ومن واجبنا أن نبحث عن جميع الوسائل الكفيلة بإظهار عزمنا على التمسك بوحدتنا مع احترام ماقد يوجد بيننا من تنوع في المشارب والمسالك، مقتنعين بان تشبث كل منا بما له من خصوصيات امر مشروع، شريطة ألا يكون سببا في تفريق الكلمة، وتشتيت الصف، إننا إن سلكنا هذه السبل، سنعطي الإسلام نفسا جديدا، وسنظهره في صورته الحقيقية للعالم أجمع.

من رسالة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده
الموجهة إلى إخوانه قادة العالم الإسلامي
يوم السبت 3 محرم 1408 هـ / موافق 29 غشت 1987م.

آيات البشائر

لشاعر الوحدة

الأستاذ محمد الكبير العلوي

أضاءت شموس النصر وهي توقد   ولاحت من آيات البشائر أسعد

وأشرقت الدنيا بهاء وبهجة   وغنت بعيد العرش وهي تمجد

وقام عميد الشعر ينشد شعره   ويبدع في إنشائه ويجدد

طربت ولم أطرب للحن مهيج   يخف إليه الناسك المتعبد

ولا لأباريق تروق وأكؤس   تدور بها بيض كواعب خرد

ولا غصن بان كلما هبت الصبا   تمايل مزهوا لها يتأود

ولا روضة مسكية العرف والشذا   بها كل صداح شجي يغرد

وما طربي إلا لغر قصائد   بدائع في العرش المجيد تنضد

نظمت نثير المدح فيها قلائدا   فذا لؤلؤ منها وهذا زبرجد

تخر مصاقيع البلاغة سجدا   لها وتهز المنتدى حين تنشد

أجيد القوافي في ثنا حسن الثنا   وفي الوحدة الكبرى فكيف أفند

هو الشاعر المطبوع يهدي قصيده   لمن هو للآمال والسؤل مقصد

ومن هوفي الدنيا زعيم الهدى ومن   على مثله آمال يعرب تعقد

إمام أحبته الجماهير حبه   لها وله فيها الغرام المسهد

وبادلها حبا بحب فأخلصا   وكل له عهد مصون مؤكد

إمام عظيم الشأن سام مؤيد   وعرش أثيل المكرمات ممجد

وشعب وفي مخلص شامخ الذرى   نماه إلى العلياء فرع ومحتد

إمام طموح بالبلاد إلى العلى … وشعب لإدراك المرام مجند

هو الحسن الثاني به ندرك المدى … ونغبط إجلالا عليه ونحسد

لنا قمة في المجد لا فوق فوقها … ولا مرتق يرقى إليها فيصعد

وهالات عز دونها الزهر هالة … ومن دونها بدر الدجى المتوقد

سمت في ذرى العليا فمن دون أفقها … ومطمحها العالي سماء وفرقد

بلغنا من الآمال ما أغضب العدا … فهاجوا وأرغوا مزبدين وأرعدوا

رأوا أمة تنحو الكمال يقودها … إمام بتوفيق الإله مؤيد

أقرت له الدنيا بفضل وسؤدد … ونبل به الخصم المعاند يشهد

ففي كل قطر عن سجاياه مخبر … وشاد مغن بالمدائح منشد

زها المغرب الأقصى به وبعرشه … وسامي الثريا عهده المتجدد

ففي كل شبر منه روض وجنة … ومدرسة شما وسد ومسجد

فإن يك في الدنيا إمام مجدد … فأنت ورب البيت فيها المجدد

إذا اجتمعت أقطاب يعرب أقبلت … إليك وقالت من سواك يقلد

وقالت لأنت الرائد الشهم في الورى … إليك مقاليد العروبة تسند

فأنت أجل القوم قدرا وهمة … وسيدهم حقا إذا عد سؤدد

وأوفاهم عهدا وأوضحهم هدى … وأعظمهم زحفا إذا حان مشهد

وأحصفهم رأيا وأصدقهم رؤى … إذا قيل ماذا سوف يبدي لنا الغد

تقلد أمير المؤمنين أمورها … فأنت الإمام الراشد المتقلد

أغث أمة ضلت سوى سبيلها … فلم تدر في تيهائها أين تقصد

تخيم في أجوائها ذات بينها … ركاما مخيفا حالكا يتلبد

ويجرفها تيار شر حضارة … ويقذفها موج من الشك مزبد

وتسلك معوج الطريق إلى الردى … وتنأى عن النهج القويم وتبعد

فوحّد على الدين الحنيف صفوفها … فكم أدرك المقصود صف موحد

وهيّئ لها النصر المبين موفقا … وقُدها إلى حيث المكارم تنشد

الرباط ـ محمد الكبيير العلوي



بعيدك أضحتِ الدنيا نشيدا
يُردّد في الوفا أحلى الأغاني
فيا فخرَ الملوك، إذا تنادَوْا
لجمْعِك، جُدتَ من غُرَرِ البيانِ
ويا عزَّ الشّباب، إذا تبارَوْا
بِحُبّك، كنتَ في عُمقِ الجَنانِ

الآصرة الخالدة

بين

جلالة الحسن الثاني وشعبه

للأستاذ أحمد مجيد بن جلون
مستشار قانوني بالديوان الملكي

مرة أخرى، يحتفل الشعب المغربي عن بكرة أبيه، في اطمئنان وثقة وإيمان، بذكرى ذلك اليوم المشهود الذي جلس فيه جلالة الملك المحبوب على عرش أسلافه المنعمين، استمرارا لتلك الآصرة المنيعة التي أسست على تقوى من الله، يوم أن بايعت قبائل المملكة سبط النبي الأقوم، إدريس الأول، الذي ما حاول بغيا، ولا استولى على العرش غلبة، وإنما كان يرمي إلى بعث الإخاء والتوحيد حول كلمة الله ومبادئ ديننا الحنيف.

ويرقى هذا الاحتفال إلى درجة السمو العاطفي، والإرضاء الشامل للاشتياق، والاعتزاز المشروع المتفاني بالحدث، والشكر الخالص السرمدي لخالق الكون ومنسق الملكوت لأنه حدث ليس كمثله أية مناسبة، ما دام فرصة تكريم للقاء مقدس بين راع أمين وكفا وشعب استبدل الحذر بالثقة دون تردد وآمن في تلقائية فأمسى كل سنة يجني ثمار تفانيه وينعم بالمزيد المسترسل من صنائع ملكه ويرتقي، في اطمئنان واستمرار، إلى ما بوأه الساهر على مصيره من مكانة تواكب أسمى مقاصده وأغلى طموحاته.

ثلاثون سنة مرت، وكأنها مسلسل جريئي أذاقنا من التقدم كل ما كنا نصبو إليه وأكثر، ومن التطور ما هو قمين بإثارة التحبيذ، ومن النماء ما أهلنا لمواجهة متطلبات العصر، ومن التشبث بالمبادئ والأخلاق ما طمأن ضمائرنا وعزز نقاء طوايانا، ومن الاعتصام بحبل الله ما نمى إخاءنا وحقق وحدة صفوفنا، ومن قيم الديمقراطية الحقة ما جعلنا ننعم بنظام دستوري أصيل يصون الكرامة، ويضمن الحقوق، ويحدد الواجبات، في تناسق وتكافؤ لا تزيده الممارسة إلا قوة ومناعة.

تربع جلالتـه دام علاه على عرش أسـلافـه والمغرب في عنفوان استقلالـه، يتطلـع إلى الغـد الأفضل، عن طريق المنجزات الإيجابيـة والتصاميم المحكمة والمبادرات الفردية، في تناسق تام بين ما يجب على القطاع العام أن يحققه وبين ما يخوله النظام للأفراد من ميادين للعمل، تلك الميادين التي لا تعرف حدا لمدلولها ولا تقبل قيدا ولا شرطا لمداها أو نوعيتها. وكانت التوجيهات الملكيـة السامية تنبعث من روح الطموح الأصيل الذي يميز عبقريـة العـاهـل الكريم، فشرع الشعب المغربي بجميع طبقاته يخوض معركة النماء بإباء وعزيمة ويقطع المراحل بإرادة المومن، ويطوي الأشواط في جو يهيمن عليه الاتكال على ما في قرارة نفس كل مـواطن مغربي من حب للخير واقتنـاع بـوجـوب التضامن والتمسك بالمبادئ، عملا بقوله تعالى : **﴿إن يعلم اللـــه في قلـوبكم خيرا يـوتـكم خيرا﴾.**

ذلك أن الأمة المغربيـة تكون حقيقة لا تقبل التفرقة، ومجتمعا يومن بوجوب الفضل بين أفراده، ووحدة متراصة يئن قويها مما يشتكي منه المعوز من أفرادهـــا، وتسعى إلى الخير عن طريـق الخير، وترفض نجـاح الغير على حســاب الآخرين، وتـوفر لنفسها القوانين الضرورية لصد الفاقة عن طريـق التكـافـل الاجتماعي، وتعطي لكـل ذي حـق حقـه وتوزع الوسـائل وتحتضن جميع المؤسسات التي من شأنها أن تحقق العدالة الاجتماعية، وكل هذا استنادا إلى توجيهات قائدها الملهم الذي أبى منذ البداية إلا أن تكـون مبـادئ ديننـا الحنيف أســاس تشريعنـا ومنطلق نهضة وطننا.

وهكـذا انطلقت العزائم، يحـدوهـا الاقتنـاع بـوجـوب المجهـود الـدؤوب، وتكثيف العمـل لقهر التخلف، وإجهاد الفكر والتفكير لاكتشاف واستنباط أنجع الـوسـائـل واختيـار مـا هـو قمين بفرض الحـل الأنسب. واستمر عاهل البلاد في توجيهاته الهادفة التي كانت سر النجاح المطرد في جميع المجالات وعلى كل المستويات.

يحتفـل المغرب بذكرى تربع جلالة الحسن الثاني على أريكة الملك. إلا أن احتفالـه لا يكون بتاتا مجرد تقليد. بل أنه مناسبة غالية تتوق إليها كل سنة باشتياق. فإذا ما حلت أثْلَجَتْ مشاعر أمتنـا، وعززت مطامحنـا، وازادت من تضامننـــا وأعطت للعالم نظرة مقنعة وضاءة عن تلاحم العرش والشعب وعن الدرجـة الســاميـة لمحبـة وإخلاص ووفـاء وإعجاب الأمة المغربية بملكها الذي ما فتئ ينسق ويحقق، ويضحي ويكـد حتى بلغ بها إلى ما هي عليه من ازدهـار للمكاسب، وعلو للأخلاق، وضمان للحقوق والحريات.

من المعتاد أن تعرف الدول بخاصياتها. وإذا ما نحن أردنا التذكير بالذاتية المغربية، أمكن القول بأنه البلـد المسلم، المتشبث بـإخـلاق القرآن، المعتـز بكرامته عن جدارة، الطموح في إطار المشروعية، المعروف بوفائه للتزامـاتـه، المخلص لأشقـائـه وصداقاته، المتحضر في علاقاته، المحقق لأهدافه، الســاهر الأمين على حقوق أفراده، المدافع عن حوزة

وطنه، وكلها أوصاف زرع بذورها عاهلنا العظيم فاينعت، ووجه عنايته إلى تركيزها في النفوس فاحتضنت، ودعا إلى خوض المعارك الاقتصادية والاجتماعية فلبيت دعوته الكريمة بالتحبيذ والامتنان الذي هو سر كل نجاح.

إن المغرب بلد الرجال، بلد الشهامة والإقدام، فلا يخضع الفرد فيه إلا لمن يستحق اعترافه ولا يومن إلا بمن هو أهل لتقديره ولا يمنح إعجابه إلا لمن أقنعه بعمله ونتائج تصرفاته. لقد امتحنتنا الظروف فكان جلالة الحسن الثاني أعلى من التحديات، وحيكت ضدنا المؤمرات فكان أقوى من دسائسها، وتعرضنا للأخطار فعالجها بيقظة المسؤول وحكمة العاقل وتبصر الخبير وأسلوب يوثر النقاش الجدي والحل السليم، ولا يتردد في استنباط الرد الملائم والجواب المسكت المقنع. أن المسيرة الخضراء تدين له بحبكها وتنسيقها. وكم نسق دام علاه من مسيرات أخرى !...

فنظرة خاطفة على الإحصائيات، سواء تعلقت بميدان معين أو بتقويم إجمالي، تبعث على الانشراح والتفاؤل، والإيمان المطلق بأن المغرب أخذ منذ انطلاقته الطريق الأصلح، والخيار الأفضل، وأنه وجه تصاميمه بحنكة ودراية وضمن مساراته التنموية المشاريع الضرورية وذلل المشاكل بلغة الإدراك والتفهم، وشق محجته بتدبير وحكمة، ووفر الرصيد الهائل من وسائل العمل والنتائج الإيجابية للمبادرات الجريئة، فأعطى لأفراد شعبه القاعدة الصلبة لبسط وجودهم على المستوى القاري، والركيزة المنيعة لفرض اعتبارهم في المجال الدولي، والسند الذي لا مناص منه إذا أرادت أمة أن تتكلم فيستمع لأقوالها ويعمل بآرائها.

إن الميدان خصب، والمكتسبات جمة والذخيرة مقنعة ومشرفة، وسواء تعلق الأمر بهذا المجال أو ذاك الحقل، فإن المغرب لا يخشى المقارنة ولا يخاف الانتقاد. أن الإنسان المغربي أصبح قدوة خلقية ومادية، قويا بمبادئه وأخلاقه، معتزا بمقوماته، شريفا في معاملاته، مؤهلا لخوض ميدان المنافسات وتضارب المصالح، ملما بحقوقه وواجباته، قادرا على أن يلتزم ويفي بوعوده، متفتحا في نظرته إلى ما حوله وملتزما عن طواعية بما قرره المجتمع الإنساني أو المحافل الدولية.

لقد ألبسنا جلالة الحسن الثاني العظيم ثوب المناعة، وأسدل علينا رداء التحرر الفكري والاطمئنان المعنوي، وسهر على تحقيق التكوين الصحيح حيث أعلنها حربا دروسا على الجهل والاستسلام، وجهز البلاد والمواطن حتى أصبح وطننا في مصاف الدول المتقدمة.

انها ملحمة عشنا بشغف ورتياح مراحلها، أنها عطاء من الخالق عهد إلى ملك مقدام وقائد محنك مومن بتحقيقه لفائدة شعبه. أن هذا لرزق من الخالق ما له من نفاذ.

كل هذا يجيش في خاطر كل فرد من أفراد الشعب المغربي، عندما يقف، مرة كل سنة، يوم ذكرى جلوس صانع نهضته على العرش، تلك الوقفة المباركة، ليحتفل، ليعبر عن اعتزازه وشكره، ليفتخر،

ليعلن للعالم أجمع تعلقه بعرشه، واغتباطه بملكه، ورضاه وشكره لمنسق مجهوده ومحقق أغلى أمانيه، ليرفع إلى العلي القدير أكف الضراعة كي يحفظ رائده المحبوب ويكلاه بوافر عنايته وشامل رعايته.

لقد عشنا سنة حافلة بمكرمات الخالق ومنجزات المواطن والاختيارات الهادفة لجلالة الحسن الثاني. وفي خضم تلك التغيرات الجذرية والتقلبات غير المرتقبة التي عرفها العالم، والمنازعات المختلفة، المتباينة الأسباب، والمغايرة الأهداف، المترتبة عن التأويلات الخاصة أو المرامي الشخصية، اتخذ جلالته حفظه الله المواقف الحكيمة التي عودنا على اللجوء إليها والمتبصرة التي تنبعث من يقظته وحسن تدبيره والرزينة المعتدلة التي ما فتئ يدعو إلى الجنوح إليها مصداقا لقوله تعالى : **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾**.

إنه الاختيار النزيه، والموقف الوجيه، الذي ينبذ عواقب الانفعال ونتائج التبعية العمياء أو التنازل أمام ضغط الظروف والملابسات. أنه من العبقرية الحسنية المشبعة بقيم القرآن والمتحلية بأوصاف المومن والخاضعة لما يوحي به المدلول الصحيح للملكية التي هي قبل كل شيء أمانة أعطى عاهلنا المفدي أنصع الدلائل على جدارته واستحقاقه لحملها.

عرف المغرب، أثناء السنة المنصرمة، عدة أحداث، وتعرض لكثير من الانتقادات المغرضة، وأرغمته الظروف على الاختيار بين مواقف متباينة والمشاركة في العمل على استنباط الحلول لأحداث وعوارض شائكة، فعالجها ملكنا الساهر على مسيرتنا بإخلاص ووفاء، واختار من المخارج أقومها، ومن المواقف أجداها، لا يخشى في الله لومة لائم، وهو يزن بالقسطاس المستقيم، ويعطي كل ذي حق حقه، سنده المنطق السليم والضمير الذي لا يلين، والاختيار الذي يوثر المصلحة العامة، والاتجاه الذي يصون كرامة المواطن، ويبشر بنيته الحسنة ويرد الأمور إلى حقيقتها ويشيد بتلك المزايا التي ما فتئ العالم يعترف بها لشعبنا المسالم الطموح.

وكلما فرض مشكل نفسه واجهه عاهلنا وإمامنا بما يجب من حل سليم وهادف، اعتبارا بظروف الحدث وملابساته، وإيثارا لما هو قمين بأن يدحض الأقوال المزعومة، في ظل المشروعية، واستنادا إلى مجرد المنطق وما يتطلبه مبدأ حسن المعاملة والتمسك باللياقة، وجنوحا إلي متطلبات الفضيلة، دون تردد ولا وجل، وبتلك الصرامة والموضوعية التي تميز مبادراته وتكون منطلق مواقفه وتوصياته وقراراته.

تعرض المغرب لتلك الحملة المسعورة التي أثارتها ما يسمى بمنظمة العفو الدولية والتي استهدفت النيل من شرفنا والبطش بمؤسساتنا بذريعة الدفاع عن حقوق الإنسان، متناسية أن المغرب بلد مسلم وأن الإسلام يضمن حقوق الفرد بشمولية ودقة ورعاية لا يماثلها أي مجهود بشري، وأن ما يوصف بالتصريح العالمي لحقوق الإنسان إنما يكون محاولة متواضعة بالمقارنة مع ما فرضه القرآن الكريم. وأمام هذا الاعتداء الأثيم، قام جلالته أطال

الله عمره بمبادرة من تلك المبادرات الهادفة التي يرجع إليه دائما السر في التفكير فيها : فقد أصدر دام علاه ظهيرا شريفا أنشأ بمقتضاه مجلسا استشاريا لحقوق الإنسان للدفاع عن هذه الحقوق، وألقى يوم 8 ماي خطابا ساميا بين فيه المقاصد والأهداف، مذكرا بالتقاليد المغربية وأصالتها، والمبادئ الإسلامية وعمق معانيها، وملحا على ضرورة صيانة الكرامة البشرية، ومشجعا كافة المواطنين على الدفاع عن حقوقهم في جو الحرية المطلقة التي تعتز بلادنا باحتضانها.

واندلعت بفرنسا تلك المؤامرة الدنيئة الإعلامية ضد مقدسات البلاد، على إثر صدور كتاب مقيت حاول كسب الشهرة عن طريق القذف، والسمعة على حساب الأخلاق والعطف ثمنا للخداع، والزعامة بواسطة الافتراء والبهتان، فكان ذلك الرد التلقائي الجماعي من طرف أمة لا تعرف لتعلقها بعرشها حدا، ولا تقبل قطعا أن تمس كرامتها عن طريق التشهير بمقدساتها، فغرقت رئاسة الجمهورية الفرنسية ومكاتب وزيرها الأول تحت طوفان مئات الآلاف من البرقيات التي انطلقت من جميع طبقات الأمة العربية، احتجاجا على المجرم، وادانة لمن شاركوه بصمتهم، وساندوه بعدم تدخلهم في ميدان يتوفرون فيه على أقصى الصلاحيات وأوسع الامكانات للتدخل والتوجيه والنصح ثم الحسم. فكان موقف الشعب المغربي هذا صورة أخرى من صور التلاحم القائم بين أمة وملكها، شعب وقائده، صورة عن تلك الآصرة المقدسة التي لا انفصام لها، مهما كان كيد المتآمرين.

وأدينت الحكومة من طرف المعارضة أمام مجلس النواب عن طريق ملتمس رقابة، فعاش الشعب المغربي أياما مثيرة، تأكد أثناءها من خلال المناقشات البرلمانية، أن الديمقراطية ببلادنا بخير، وأن الحرية كلمة ذات معنى صحيح ومدلول قويم، وأن المؤسسات الأساسية للبلاد تقوم بدورها الطلائعي عن وعي وإدراك، وأن مسيرتنا في الحقل السياسي أصبحت فوق كل تعليق، وأن ما خططه ملكنا المصلح وسهر على تحقيقه أصبح يعطي ثماره الإيجابية.

واحتل العراق الكويت. فترأس جلالته حفظه الله، يوم الاحتلال، مجلسا وزاريا أعلن اثره عن موقف المغرب من الحدث، ويوم 15 غشت منح جلالته جريدة «لموند» الفرنسية استجوابا حلل فيه المعطيات، ثم ما فتئ بعد ذلك يوصي وينصح، ويتدخل ويقترح، ولا يبخل لا بمجهوده ولا بوقته، في إرادة أبية لتجنب الكارثة والحفاظ على الأرواح.

ودعت المعارضة إلى الإضراب، مدعية وجود نقص خطير في القدرة الشرائية للمواطنين، فكانت تلك المفاوضات بين الحكومة ومعارضيها. ولما لم تنته إلى حل مرض، تدخل جلالته كعادته، فجاء بالمخرج القويم، حيث زاد في أجور صغار الموظفين والمأجورين، لكنه حفظه الله انكب في نفس الوقت على مشكل، آخر، مشكل المثقفين العاطلين، فألقى يوم 12 نونبر 1990 خطابا ساميا أعلن فيه عن إنشاء المجلس الوطني للشباب والمستقبل.

إنها مجرد أمثلة من ذلك المجهود المقدس الدؤوب الذي ما فتئ جلالة الحسن الثاني يبذله لفائدة شعبه، لا تثنيه الصعاب مهما بلغت قوتها، ولا تنال منه المشاكل كيفما كان نوعها أو مداها.

إنها من نتائج التحام القمة والقاعدة، ذلك الالتحام الذي هو سر انطلاقتنا والذي نتج عن تلك الآصرة الوثيقة التي استندت في البداية على الإيمان وشبت في أحضان القرآن، فكانت سدا منيعا وحصنا حصينا بنفاد إلى الخالق المعبود ليقينا كيد الكائدين ومؤامرات المغضوب عليهم ومحاولات الضالين.

الرباط ـ أحمد مجيد بن جلون

فلما استخلفنا الله على عرش هذه البلاد، وتسلمنا مقاليد القيادة، شاكرين لله ما أسبغ علينا من افضال، معتزين أقوى ما يكون الاعتزاز، بما خصنا به من شريف التكليف، وجسيم الأعباء، التزمنا بان يكون رائدنا فيما نزاوله من مهام، صالحك ـ شعبي العزيز ـ وصالح وطننا المحبوب، لانهاود ولا نهاون، ولا يكل لنا عزم ولايني تصميم، فيما نريده ونبتغيه ونصبو إليه ونتوق من أسمى المطالب وأجدى المكاسب.

وها نحن منذ ذلك العهد، نواصل التفكير والدرس، والرسم والإعداد، والإنجاز والتحقيق، غير هيابين ولا وجلين، من الطرافة والاستحداث والابتكار، ونتابع المسيرة التي توافقت عليها إرادتنا وإرادتك، على هدي من الله، الذي نستلهم منه الطريقة المثلى، ونتكل عليه في قصد السبيل، ونستمد منه الحول والطول، والتسديد والتوفيق، وعلى هدي من ارتباط أجدادنا المقدسين برغائبك وأراجيك، ومن سيرتهم الحافلة بصالح المساعي وجليل الأعمال.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده
الذي القاه يوم الأحد 8 صفر 1394 هجرية، موافق 3 مارس 1974 ميلادية
بمدينة فاس
بمناسبة الذكرى الثالثة عشرة لعيد العرش المجيد.

من العطاء الفكري الحسني

للأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بفاس

إن العطاء الفكري، الذي جاء به مولانا الحسن الثاني نصره الله، باد للعيان ومنتشر في كل مكان، ومستقر في كل جنان، وجار على كل لسان، والذي يفرض نفسه في المقدمة، هو حدث القرن، أعني حدث المسيرة الخضراء، إلى قلب الصحراء، لأنه من المبرات التي لا تزدهر إلا في عقل ملكنا الهمام، وإمامنا الضرغام، الذي عاش يشيد، ويبني، في كل لحظة، ويجود بالخير العميم، للمغرب والمغاربة على الدوام.

وخير ما توصف به هذه المسيرة، ما جاء في الخطاب الذي وجهه إلى الأمة، بمناسبة الذكرى الثامنة لانطلاق المسيرة الخضراء، حيث قال حفظه الله : (المسيرة الخضراء مكنتنا من الصحراء، وحينما أقول مكنتنا من الصحراء، أقول مكنتنا من الصحراء فعلا، ولكن بكيفية خارقة للعادة، مكنتنا دون سلاح، مكنتنا دون هجوم، مكنتنا دون إصابة في الأرواح، والأموال، مكنتنا من جزء عزيز علينا من ترابنا الوطني، وليس في يدنا إلا كتاب الله، ورايتنا الحمراء، التي تتوسطها النجمة الخضراء).

ولقد أمر حفظه الله، ببناء السدود، وحماية الحدود، فكان له ما أراد. وأحيى كراسي العلم بالقرويين بفاس، ومراكش، وتطوان. وأنشأ أربعة عشر مجلسا علميا عبر المملكة، معتزة بالعمل تحت رئاسة مجلسه العلمي الأعلى. وأنشأ أكاديمية المملكة المغربية، وكوّنها من نخبة رجال العلم في العالم. وأمر ببناء مساجد لا تحصى، في طول البلاد وعرضها، بل إنه أمر ببناء مساجد خارج المملكة، لما طبع عليه من إيمان عميق بالله، وسعي في نشر تعاليمه الحنيفية السمحاء في العالم.

وهذا مصحفه الحسني، ينطق بذلك، ويعبر عنه أحسن تعبير، ويرى الجميع ما يقوم به جلالته من الأعمال البناءة. في جميع المجالات الحضارية، والفكرية، والثقافية، وغيرها. وأنشأ دار الحديث الحسنية للعناية بحديث رسول الله ﷺ، فهو حفظه

الله نسيج وحده، في مواصلة الدؤوب على العمل المثمر، الذي خطا بالمغرب الجديد، خطوات موفقة، إلى الإمام، فأصبح فخورا، بما وصل إليه في جميع المجالات بفضل بانيه العظيم، ومؤطر أمجاده، مولانا الملك الحسن الثاني نصره الله.

إن مبادرات جلالته الواسعة، التي تحدث عنها، وعن آفاقها، كثيرون، لن تحيط بها أقلام البلغاء، ولا ألسنة الفصحاء، ولا روائع الشعراء، لأنه بما وهبه الله من جودة فكر، وقدرة على الإبداع، أصبح عطاؤه الثر من السعة، والقوة، والشمول، ضاربا في عنان الكمال، وجامعا شتى مجالات التنمية، التي برزت للعالم في مدى ثلاثين سنة، تربع فيها على عرش أسلافه الغر الميامين، لأن اسم جلالة الحسن الثاني نصره الله، يقترن دائما بالمواقف الشريفة.

فإذا تحدث فاقتبس من نطقه
ما شئت من غرر تجيء بمنتقى

إن الله تعالى ألانَ له اللغات، واللغة العربية الفصحى بالطبع في المقدمة، كما ألانَ لسيدنا داوود الحديد، فهو إذا أخذ يتكلم في أي موضوع، من الموضوعات العامة أو الخاصة، بهر، وأمتع، بأسلوبه الأخاذ، والعالم كله يعرف هذه الحقيقة، التي تدل على عمق ثقافته، وبالغ حكمته، واتساع أفقه، وحاضر بديهته، في جميع نواحي المعرفة، والبطولات النادرة، التي هي مفخرة العصر، وآية السمو البشري، والتكوين المثالي، والعمل النموذجي، الذي يتفضل الله به على من شاء من عباده، العباقرة الأفذاذ، الذين لا يجود بهم الزمان إلا نادرا، وفي مقدمتهم جلالة الحسن الثاني الذي هو مفخرة العبقرية العالمية. لقد تفضل فنشر على العالم الإسلامي، رسالة القرن الخالدة، التي ضمنها نصائحه الغالية، من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه سيدنا محمد ﷺ.

وعليه، فإذا وقفنا وقفة تأمل، مغمورة بعميق الإيمان، نتدبر رسالة ملكية أخرى، وجهها حفظه الله إلى العلماء، تلك الرسالة، التي حلل فيها بعمق، ما يهدف إليه الغزو الفكري، من مس بقيمنا الروحية وكياننا الأخلاقي، المستمد من تعاليم الإسلام، بما يود أن يوقعنا فيه من انحراف وشعوذة، فإننا نجده يقول فيها حفظه الله :

«إن شعورنا بعبء المسؤولية، الملقاة على عاتقنا كأمير للمومنين، وحامي حمى الملة والدين، يجعلنا حريصين أشد ما يكون الحرص، على وحدة صف هذه الأمة وحمايتها من الانحراف والشعوذة - ويؤكد - رعاه الله - على أن الغزو الأجنبي، لم يبق معتمدا على الأساطيل، والجيوش، بل أصبح يهدف إلى الاستيلاء على العقول. واسترقاق الأرواح بما يجيء به من قيم براقة المظهر، ملغومة المخبر».

وفي معرض نصيحته الغالية يروي الأثر القائل : (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا).

ويمضي - حفظه الله - في نصيحته الملكية السامية فيقول :

(معشر العلماء الأجلاء. أنتم ونحن معكم مسؤولون عن تقويم ما اعوج من أخلاق هذه الأمة،

ذلك بالرجوع إلى ما ورثناه، من صفاء في العقيدة، تمسك بكتاب الله، واقتداء بسنة رسوله سيدنا محمد ﷺ، ويتلو قول الله تعالى : ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾.

ويشيد بوحدة الدين، عن طريق وحدة المذهب المالكي وذلك بالالتفاف حول راية إمام دار الهجرة - رضي الله عنه - الذي كفانا شر الانقسام، ومحنة الجفاء والخصام، كما يشيد بوحدة الصف حول قضيتنا المصيرية : قضية صحرائنا المسترجعة، ويقول :

(لو لا وحدة صفنا لما كانت المسيرة الخضراء، ولما عادت إلى أهلها الصحراء).

وهكذا ينثر علينا درره الغالية، في شؤون ديننا، وأخلاقنا، ووحدة مذهبنا، وقضية صحرائنا، ملك العلماء وعالم الملوك : مولانا الحسن الثاني نصره الله وهو يخاطب علماء مملكته الملتفين حول عرشه، والمعجبين بحكمته.

ويطيب لي أن أختم هذه الكلمة، بدرر غالية لجلالته، جاءت في خطاب العرش، للذكرى الثانية والعشرين، لتربع جلالته على عرش أسلافه المنعمين، حيث قال حفظه الله :

(فظروف قيام العرش العلوي، لها خصوصيتها، التي جادت بها العناية الربانية، وأسبلت عليها ميسمها المنفرد الممتاز... وما قام عماد عرشنا بوسائل الضغط والإكراه، ولا تحت ظلال الرماح... وإنما قام عرشنا بعفو الضمائر، ومن إملاء النفوس، ووحي السرائر، فطربت له القلوب راضية، وامتلأت بالاعتزاز، وطفحت بالهناء والاطمئنان.

﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز**﴾.

فاس - الحاج أحمد ابن شقرون

عيد العرش.. آمال وأعمال

للأستاذ عبد السلام جبران المسفيوي
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بمراكش

إن عيد العرش، عيد الصمود والبناء والتشييد، من أقدس أعيادنا الوطنية التي نعتز بها أعظم اعتزاز. إذ الأعياد ضرورات حيوية وعادات اجتماعية تستعيد فيها الأجيال نشاطها، وتكتسب فيها راحتها، وتستلهم فيها عوامل النمو والارتقاء.

ولذا لا تشرق شمس طلعته دائما في اليوم الثالث من مارس كل عام، إلا وتملأ النفوس بهجة وسرورا وفرحا وحبورا، فيستبشر الشعب المغربي من أقصاه إلى أقصاه، وتلتقي فيه عواطف الشعب الوفي الشكور لملكه، وعواطف الملك المتفاني في الإخلاص لمصالح شعبه ولمصالح الإسلام والمسلمين. إذ هو في أوج قمة الدبلوماسية العالمية، فهو الطبيب الوحيد الذي يعالج ما استعصى من القضايا الإنسانية. وقد تجد فيه الأقلام بابا واسعا للقول، فينطلق الشعراء والكتاب للتسابق في بيان مزاياه، فيعبرون تعبيرا صادقا عن لواعج حبهم، وصدق ولائهم للعرش العلوي المجيد، وللجالس على أريكته صاحب المهابة والجلالة، رمز الوحدة المغربية، وملاذ تحقيق المصالح الإسلامية، جوهرة غالية، ويتيمة عقد الدولة الشريفة العلوية. يقال في حقه قول ابن الونان :

فبايعته الناس طرا دفعة
لم يكن فيها أحد بالأسبق

أدام الله نصره، وخلد في الصالحات ذكره.

وإن مظاهر الزينة المختلفة وأقواس النصر المتنوعة في سائر أنحاء المملكة، ليست إلا تعبيرا صادقا عن الحب المكين المتبادل بين الملك والشعب.

وهذا التجاوب العظيم، والتلاحم المتين، هو الضمانة الكبرى لمواصلة مسيرة العمران على الدوام، وتوالي الأيام.

وقد تعود الشعب باستمرار عند حلول عيد العرش، أن ينهض في سيره من جديد لتحقيق الآمال، وإنجاز صالح الأعمال في شتى الميادين من الناحية الاجتماعية، وتخطيط مناهج الحياة الطيبة

البشرية، مما يضمن له النجاح والفلاح، امتثالا لأمر الله في قوله:

﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون...﴾.

وكل نشاط من أنشطة فعل الخير التي يطرد معها الرقي والتقدم والازدهار، وكل عمل من الأعمال الإيجابية في الليل والنهار، مما يجلب المجد والفخار، فالإسلام يتلقاه بصدر رحب، ويتقبله ويذكره ويشكره.

﴿ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم﴾.

وقد قطع المغرب - ولله الحمد - في العهد الحسني الزاهر أشواطا شاسعة بعيدة المنال، مما جعله يتبوأ مركز الصدارة في مصاف الدول المتقدمة الراقية. وحقق للأحفاد ما هو أعظم مما حققه الأجداد، في جسامة المنجزات التي لا تحد ولا تحصى من مظاهر ومجالات، نقتصر على ذكر البعض منها، كقطرة من بحر، أو رشفة من قطر، مع مواكبة الحضارة المعاصرة.

من ذلك توجيهاته الرشيدة لتحقيق وحدة المسلمين، التي هي الركن الركين للحفاظ على عزة الإسلام والمسلمين. وقد نادى بها في كثير من غرر خطبه:

• ومنها:

جهاده الدؤوب لصيانة الوحدة الوطنية في جميع أجزائها.

• عقده للمناظرات الوطنية لإصلاح التعليم وإصلاح الفلاحة.

• اهتمامه بإصلاح الأسر، وإصلاح الشباب، جسميا وروحيا وعقيدة، وسلوكا ومعاملة.

• عنايته بالمركبات الرياضية على اختلاف أشكالها، لأن العقل السليم في الجسم السليم.

• أوامره لترسيخ الديمقراطية وتسييرها في سائر الأمور، وتدعيم السيادة الوطنية.

• رسالته العظيمة المليئة بالنصائح والحكم، وشرحها يقتضي حديثا طويلا، ومضمونها يصلح لكل زمان. وقد وجهها - حفظه الله - إلى سائر الأمم الإسلامية في مطلع القرن الخامس عشر الهجري، فهي مرجع مهم.

• إرشاداته لإنشاء التعاونيات في مختلف القطاعات.

• رعايته للقضاء في جميع أطواره، ليسير في جميع المحاكم سيرا مرضيا.

• عنايته بالتراث الإسلامي، والمساجد والزوايا، والرُّبُطِ، والمدارس العتيقة في جميع أطراف مملكته الشريفة.

• عنايته الكبرى في ميدان العلم والمعرفة وفنون الثقافة في منابعها السامية، ومناهلها الصافية، كإنشاء المجالس العلمية التي يرأس جلالته مجلسها الأعلى، وإحداث دار الحديث الحسنية، إضافة إلى جهوده الإقليمية والدولية التي استقطبت سائر الأبعاد والجهات، واستوعبت جميع الوسائل والطاقات، وغير ذلك... من المكاسب الحميدة والمفاخر الخالدة،

التي تعجز عن استقرائها الأقلام، ويقصر عن التعبير عنها اللسان.

وكل ذلك آية من آيات عبقريته الفذة التي يبرز فيها الإعجاب والإكبار في الآفاق والأقطار. حفظه الله بحفظه آناء الليل وأطراف النهار.

ولا يفوتنا أن نذكر بخطواته الميمونة داخل المغرب وخارجه، لأن خطواته الموفقة وإن كانت تخط في الأرض، فإن معانيها ومغازيها تخط في التاريخ المجيد على صفحات الوجود والخلود.

لذا نلخص القول : بأن مواقف جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله لا تحد بحدود المغرب الأقصى، ولكن تمتد إلى الإنسانية كلها. فهو نموذج عظيم وحيد دهره بين أبطال العروبة والإسلام. وما أحقه بقول القائل :

فـــإن تفـــق الأنـــــام وأنت منهم
فـــإن المســـك بعض دم الغـــزال

اللهم كن لجلالته وليا ونصيرا، ومعينا وظهيرا، واجعل كل أعماله وآماله خالصة لوجهك، وفي مصلحة هذا الشعب المغربي العزيز الأبي، الذي جعل له من عرش الآباء والأجداد عرشا جاثما فوق كل فؤاد، وأقر عينه بولي عهده صاحب السمو الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه صاحب السمو الأمير السعيد المولى الرشيد، وأصلح بقية الأسرة المالكة، وأدم شآبيب رحمتك على فقيد العروبة والإسلام، جلالة الملك المغفور له محمد الخامس، باعث النهضة ومحرر المغرب، وطيب اللهم ثراه، واجعل الجنة نُزُلَهُ ومأواه، مع الذين أنعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين، وحَسُنَ أولائك رفيقا، آمين.

مراكش : عبد السلام جبران

رَوْعَةُ الجَلاء

للشاعر أحمد عبد السلام البقالي

لهذه القصيدة قصة طريفة، فقد نشرت لأول مرة منذ ثلاثين سنة، في سنة 1961، اي في فجر العهد الحسني الزاهر.

وهي أول قصيدة قالها الشاعر البقالي في جلالة الملك الحسن الثاني، بعد أن تغنى بأمجاد والده المنعم، محمد الخامس، طيب الله ثراه، في بحر الخمسينات، وهو ما يزال فتى دون العشرين.

سجل الشاعر بهذه القصيدة أول منجزات الحسن الثاني العظيمة بعد توليه العرش مباشرة، وهي جلاء القوات المسلحة الفرنسية عن المغرب إلى غير رجعة.

وعنها نال الجائزة التي رصدتها الدولة يومذاك لهذا الحدث العظيم.

وفيها جمع الشاعر بين تخليد ذكرى الملك الراحل، وبين الفرحة بالملك الشاب المثقف الطموح.

وتحتوي القصيدة على عدد من النبوءات والإرهاصات تحققت كلها بفضل الله، في العهد الحسني المجيد.

لكل هذه الأسباب اختارت «دعوة الحق» إعادة نشرها بعد ثلاثين سنة مرت كلمح البصر.. مرت عامرة بمسيرات التحرير والتنوير، والجد والعمل، والطموح والأمل، والأمن والسلام، والهناء والرخاء، والتقدم والارتقاء، في ظل خلافة أمير المومنين الحسن الثاني حفظه الله، وأدام عزه وعلاه.

ننشرها في هذه المناسبة السعيدة بكل ما تحمله من معاني الحب والوفاء، والبقاء على العهد، والاعتراف بالجميل، والاستزادة من الفضل.

جَلاَ اللَيلُ عَنْ أَرْضِي وَوَلَّتْ غَيَاهِبُهْ
وَشَابَتْ مَعَ الفَجْرِ الوَلِيدِ ذَوَائِبُهْ

وَرَفْرَفَ فِي آفَاقِنَا عَلَمُ الضُّحَى
بِنَصْرٍ بَدَتْ لِلْعَالَمِينَ مَوَاكِبُهْ

جَلاَ جَيْشُ الاِسْتِعْمَارِ عَنْ أَرْضِ مَغْرِبِي
وَعَنْ أُفْقِنَا الزَّاهِي تَلاَشَتْ سَحَائِبُهْ

فَزَغْرَدَتِ الأَمْلاَكُ بِالفَجْرِ فَرْحَةً
مَشَارِقُهُ وَضَّاحَةٌ وَمَغَارِبُهْ

وَطَافَ السَّمَاوَاتِ العُلاَ وَمْضُ نُورِهِ
فَلَمْ يَبْقَ لَيْلٌ لَمْ تَوَارَ كَوَاكِبُهْ

وَفِي الأَرْضِ شَعْبٌ مَالِئُ القَلْبِ غِبْطَةً
بَرَابِرُهُ جَذْلَانَةٌ وَأَعَارِبُهْ
أَصَابَتْهُ أَفْرَاحُ الجَلَاءِ بِنَشْوَةٍ
تَلَاشَتْ لَهَا أَحْزَانُهُ وَمَتَاعِبُه
مَلَتْ حَوْلَهُ الدُّنْيَا بِمَا رَحُبَتْ.. فَقَدْ
تَدَانَتْ أَمَانِيهِ، وَدَانَتْ رَغَائِبُه

* * *

وَفِي غَمْرَةِ الأَفْرَاحِ كَانَتْ جُمُوعُهُ
تَغَصُّ نَوَادِيهِ بِهَا وَمَحَارِبُه
لِذِكْرَى أَمِيرِ المُومِنِينَ «مُحَمَّدٍ»
أَبِي الشَّعْبِ، مَجْدُ الخَافِقَيْنِ يُوَاكِبُه
لِذِكْرَى إِمَامٍ حَقَّقَ اللهُ بِاسْمِهِ
مَطَالِبَ شَعْبٍ، حِينَ عَزَّتْ مَطَالِبُه
وَوَحَّدَ آمَالَ المَلَايِينِ حَوْلَهُ
فَلَمْ يَعْرِفِ المُحْتَلُّ كَيْفَ يُحَارِبُهْ
نَفَوْهُ، وَلَمَّا يَعْلَمُوا أَنَّ رُوحَهُ
تَقَمَّصَ شَعْبًا لَا تَلِينُ جَوَانِبُه
فَعَادَ بِالِاسْتِقْلَالِ مِنْ عُقْرِ سِجْنِهِ
وَأَيُّ انْتِصَارٍ لَا تُؤَدَّى ضَرَائِبُه

وَفي الشَّرْقِ لَمَّا زَارَهُ كَانَ بَلْسَماً
تَدَاوَتْ بِهِ آلامُهُ وَمَصَائِبُهْ
بَكَتْهُ شُعُوبُ الأَرْضِ يَوْمَ رَحِيلِهِ
وَكُلُّ النَّوَادِي عَطَّرَتْهَا مَنَاقِبُهْ
سَقَى اللهُ قَبْراً ضَمَّ طِيبَ رُفَاتِهِ
وَقَلْباً إِذَا مَا الشَّعْبُ نَادَى يُجَاوِبُهْ

* * *

وَبِالحَسَنِ الثَّانِي وَرِيثِ مُحَمَّدٍ
وَسِبْطٍ تَجَلَّتْ في صِبَاهُ مَوَاهِبُهْ
تَفَاءَلَ هَذَا الشَّعْبُ يَوْمَ اعْتِلاَئِهِ
عَلَى عَرْشِ أَجْدَادٍ تَسَامَتْ مَرَاتِبُهْ
فَتىً أَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ حُبَّ شَعْبِهِ
وَمِنْ وَالِدٍ بَرٍّ أَتَتْهُ تَجَارِبُهْ
تُرَشِّحُهُ لِلْمَجْدِ كُلُّ دَقِيقَةٍ
وَلِلْمَجْدِ إِرْهَاصٌ وَسِرٌّ يُصَاحِبُهْ
وَهَلْ دُونَ تَحْقِيقِ الجَلاَءِ بِلاَ دَمٍ،
وَلاَ أَدْمُعٍ ، مَجْدٌ بِهِ فَازَ طَالِبُهْ ؟!
جَلاَءٌ لِلاِسْتِعْمَارِ لاَ رَجْعَ بَعْدَهُ
تَبَاكَتْ أَفَاعِيهِ ، وَنَاحَتْ عَقَارِبُهْ

جلاءٌ حقيقيٌّ وإنْ ضجَّ حولَـه

نواعقُ منها السُّمُّ يقطرُ ذائبُه

بهِ دخلَ التّاريخَ كالفجرِ رائعاً

تحفُّ بهِ أقمارُه وكواكبُـه

* * *

وفي أرضنا جيشٌ بهِ يحتمي الحمى

وتحرسُ أركانَ البلادِ كتائبُه

بهِ الوطنُ العالي تشامخَ أنفُه

وبالأممِ الكبرى تساوتْ مناكبُه

ولولاه لم يرهبْ شبابنا عدوُّنا

ولا اندحرتْ ذؤبانُه وثعالبُه

* * *

وشعبٌ على أرضِ الجزائرِ ثائرٌ

يعزُّ علينا أنْ تضيعَ مكاسبُه

أتتْهُ المنايا كالحياتِ عوابساً

فأثخنَ فيها، وهو عزلٌ عصائبُه

فما زادَ الاستعمارُ إلاّ ضراوةً

تبوحُ بها أنيابُه ومخالبُه

سيمضي كما تمضي النوائبُ كلُّها

وتبقى على مرِّ الزمانِ مثالبُه

وَيجلو عَن افريقيا وَيبيضُّ وَجهَهَا
وَتاريخهَا بالنُّور يكتُبُ كَاتبُـه

* * *

فَيا مَلِكاً بَيْنَ الخلودِ وَبَيْنَـه
مَواعِـدُ.. هَذا مَوْعِدٌ أنْتَ ضارِبُه
أَعَدْتَ لِهَذا الشَّعْبِ عِزّاً وَمِنعَةً
وَمَكْرُمَةً قَدْ دَاسَها قَبْلُ غاصِبُه
وَقَدْ كانَ ذاكَ العارُ فَوقَ جَبينِهِ
تُعَذِّبُهُ وَسْطَ الشُّعوبِ رَواسِبُه
وَحرّيَةٍ لَمْ يَعرفِ الشَّرْقُ مِثلَها
وَلا الغَرْبِ، تَحْميهَا. وَظُلْمٌ تُحارِبُه
تَجاوَزْتَ أقْطَابَ السِّيَاسةِ غَيْرَةً
عَلَى السِّلْمِ لَمَّا زادَ في الأَرْضِ نادِبُه
وَشَيَّدْتَ في صَرْحِ الحِيادِ دِعامَةً
يَقُومُ عَلَيْهَا صُلْبُهُ وَتَرائِبُه
فَطارَتْ حَمامَاتُ السَّلامِ صَوادِحاً
إلى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ المُدَجَّجِ واقِبُه
تُبَشِّرُ أنْ قَدْ ماتَ "مارسُ"(١) وانْطَوَتْ
قَنابِلُهُ في لَحْدِهِ وَقَواضِبُه

* * *

(١) مارس: إله الحرب في أساطير اليونان

أقم دولة للدين والعلم والحجى
وللفن تزهو في ربانا مذاهبه
ففي زمن تغزو الصواريخ شهبه
وتدنو بسحر العلم منا كواكبه
سينتصر العقل الذي شع نوره
وبانت لعين الناظرين عجائبه
وظلل بأغصان السلام مرابعا
مضت ألف عام لم تجدها سحائبه
وهل يورق الزيتون والركض فوقه
وبالدم لا بالمزن تجري مساربه
فما حام فنان ولا هام شاعر
ولا انفتقت وسط الدخان مواهبه

* * *

بكفك سيف الله يابن نبيه
فقوم به من لان للبغي جانبه
وكن سمعه في أرضنا ولسانه
فأنت على هذي المحجة نائبه

* * *

الرباط - أحمد عبد السلام البقالي

خواطر عن العرش العلوي الشريف

الحسن الثاني
رائد الشعب ومجدد العرش

لفضيلة الشيخ محمد المكي الناصري
رئيس المجلس العلمي الإقليمي لمدينة الرباط وسلا
الأمين العام لرابطة علماء المغرب
عضو أكاديمية المملكة المغربية.

من ظـواهر تـاريـخ المغرب الفريـدة، أنـه لا توجد أسرة ملكية تمكنت من قيادة سفينة المغرب لعدة قرون بحكمـة ونجـاح مثل الأسرة العلويـة الشريفة، وبديهي أن مجال الحكم والقيادة الشعبية لا يخضع للصدفة والحظ زمنا طويلا، فهو بطبيعته مجال علمي يتحكم فيه الواقع أكثر مما يتحكم فيه الخيال، وتتحكم في موازين المصلحـة والفـائـدة والفعالية، أكثر مما تتحكم فيـه المشاعر والعواطف والعوامل الغـامضة، والأقدار الإلهيـة نفسها أقـدار حكيمة ولها سنن ثابتة لا تتخلف، ﴿**سنة الله التي قد خلت من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلا**﴾ الفتح 23.

وقد كانت رسـالـة العرش العلوي ولا تـزال تنحصر في تحقيق أهداف أربعة رئيسية :

1) وحدة الشعب

2) تحرير التراب

3) سيادة الدولة

4) الحفاظ على المقدسات

ومن حسن حظ المغرب أن الله تعالى وهب له في هذا العهد، المليء بالاضطرابات والمفاجآت في العالم، ملكاً مقتدرا فريدا من نوعه، في مستوى الأحداث العالمية من جهة، وفي مستوى طموحات شعبه من جهة ثانية، هو جلالة الملك الحسن الثاني، مفخرة الملوك العلويين الأشراف.

لقد اعتلى الحسن الثاني عرش المغرب منذ 38 سنة، وهو مزود برصيد وطني وسياسي عظيم، علاوة على رصيده الثقافي الجامع، وذلك بعد أن مارس لذة الكفاح، وذاق طعم التضحية، وعالج المسؤوليات الجسام وهو لا يزال في فجر الشباب، وليا للعهد وأميرا للأطلس، وتخرج على يد والده محمد الخامس محرر المغرب العظيم، وما كاد يجلس على عرش أجـداده المنعمين حتى كرس جهوده لمعالجة المسائل الوطنية والقومية الكبرى :

المسألة الأولى : تأسيس الملكية الدستورية، وإعلان الدستور المغربي سنة 1962، مع الاحتفاظ فيه باختصاصات «أمير المومنين» المقررة في نظام الحكم الإسلامي، وقد تبع ذلك إدخال بعض التعديلات على النص الأول للدستور في الناحية الشكلية، مما أوحت به التجربة والممارسة، ودعت إليه المصلحة.

المسألة الثانية : استكمال الوحدة الترابية لمجموع المغرب، وقد بدأ جلالته العمل من أجلها في عهد والده المنعم خلال سنة 1957 وسنة 1958، وتوج ذلك العمل الضخم بالمسيرة الخضراء التي كانت ولا زالت في نظر الملاحظين المؤرخين هي «حدث القرن».

المسألة الثالثة : العمل المستمر على ترسيخ الوحدة القومية الكاملة لمجموع المواطنين المغاربة، والسعي للتخلص من رواسب الماضي، بما فيها من حساسيات تتمثل في النزعات القبلية، والنزوات الحضرية، وترويض المواطنين المغاربة أفراداً وجماعات على «التعايش» و«التمازج» فيما بينهم، داخل مؤسساتهم الجماعية، المحلية والجهوية، القروية والحضرية، وتوجيه الجميع «لخدمة المصلحة العليا» للوطن، التي يجب أن تكون هي القاسم المشترك بين الجميع.

المسألة الرابعة : العمل المتواصل على بناء المغرب الكبير، وصَهْر شعوبه في بَوْتَقة واحدة، اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا، وتسخير طاقاته ومواهبه لخير أبنائه وخير الإنسانية جمعاء، ومن ثمرات ذلك العمل إقامة «اتحاد دول المغرب العربي» الذي يسير كل يوم إلى الأمام بخطوات ثابتة.

المسألة الخامسة : تأكيد الانتماء العربي والإسلامي للمملكة المغربية، والحضور الدائم مع إخواننا العرب والمسلمين في خِضَمّ مشاكلهم، والانشغال معهم بهمومهم، والتطلع لتحقيق آمالهم، وبذل كل ما في المستطاع من العون لهم على تخطي العقبات التي تعترض طريقهم، في حالتي السلم والحرب، عملا بقوله تعالى : ﴿**إنما المومنون إخوة**﴾، وقوله ﷺ : «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

والذي ساعد الحسن الثاني على طرح هذه المسائل الكبرى، والتوفيق في معالجتها، ثلاث ظواهر بارزة في شخصيته وسلوكه :

- الظاهرة الأُولى : ظاهرة الاستيعاب والمعرفة التامة بمشاكل وطنه، والاطلاع الواسع على أحوال الأقطار المغربية المجاورة، والعالم العربي والإسلامي.
- والظاهرة الثانية : ظاهرة الوفاء بالعهود التي قطعها لشعبه ساعة اعتلائه على العرش :

1) وفاء بالعهود الدينية
2) وفاء بالعهود الوطنية
3) وفاء للعاملين المخلصين أحياء وأمواتا.

- والظاهرة الثالثة : تقديره للكفاءات والمواهب، وتسخيره لها في خدمة الشعب والعرش والعروبة والإسلام، سواء كانت تعمل تحت لواء الأحزاب أو تعمل مستقلة عنها، وفتح الباب في

جه ذوي النيات الحسنة والإرادات الصالحة، الذين يريدون خدمة وطنهم، ولو فرطت من بعضهم بعض الهفوات والفلتات.

وبفضل تفاني جلالته في خدمة شعبه، وتضحيته بوقته وراحته من أجله، أصبح رائدا للشعب، ومجددا للعرش، فجدد الثقة به، والإيمان بكفاءاته، والاقتناع بفعالية الدور الذي يقوم به، كما أحيى هيبته في القلوب، واحترامه في النفوس من لدن الجميع في الداخل والخارج.

تهانينا الخالصة لأمير المومنين الحسن الثاني، رائد الشعب ومجدد العرش في عيد «بيعته» المجيد، أعاد الله عليه وعلى شعبه الوفي أمثال هذا العيد، وهو يتمتع بالسلامة والعافية والعمر المديد.

الرباط ـ محمد المكي الناصري

لقد طفقنا منذ اعتلائنا عرش أجدادنا المنعمين، نأخذ بيدك شعبي العزيز، نحو الطريق المؤدي إلى علو شأنك ونباهة ذكرك، مرغبين باستمرار في استعمالك لأنجع الوسائل لبلوغ هذه الغاية المثلى، وكنت دائما نعم السامع المستجيب، ونعم الشعب المومن بأن السرى يحمد الصباح، وبأن الثمار الطيبة اللذيذة، لا تبلغ النضج والإدراك، إلا مع السعي الحميد، والجهد الجهيد، فسرنا على بركة الله تتضافر آمالنا، وتتناصر أعمالنا، وشرعنا نحقق الأهداف تلو الأهداف، ونبلغ من مقاصدنا المحددة المرسومة الغاية، ونمد من الأسباب ما هو كفيل لتمهيد السبيل لمستقبل وارف الظلال، زاهر بالغدو والآصال.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.
الذي ألقاه يوم 23 ربيع الأول 1398هـ / موافق 3 مارس 1978م.
بمدينة الرباط.
بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لجلوس جلالته على عرش أسلافه المنعمين.



مَولاي ياحسَن المكارم من بَنى
دارًا مُعـزّزة الجَـناب وعَـمّرا

ياسِبْط طـه يـاضيَاء ربوعـنا
إسلَم فإنّك سبْط أفضِل من سَرى

هـذه جهودك في الدّيـار مُضيئة
ما أبهجَ الجُهدَ السّخيّ مـنوّرا

العرش العلوي المجيد

جمع لشمل شعب وصون لكيان دولة وحفظ لدين أمة

للدكتور إدريس العلوي العبدلاوي
عميد جامعة القرويين

تتوالى الليالي وتمر الشهور في موكب الزمن السريع ليحل اليوم الجميل المرتقب، وكم نحن في اشتياق إليه، أشرق نوره على ربوع الوجود ورفرفت راياته البيضاء في أفق وطننا العزيز، فعمت الفرحة والبشرى في كل مكان. وتعانقت القلوب والأبدان، وانشرحت الصدور وتبسمت الشفاه مهنئة مرحبة أهلا بالعيد السعيد، عيد العرش المجيد، أقدس عيد في الوطن وأغنية خالدة لا يَفْتُرُ عن ذكرها لسان الزمن وما أجمل أن يشرق علينا هذا اليوم السعيد المتألق بالبهجة والحبور الساطع بالفرحة والسرور، الحافل بذكريات عظيمات متتاليات، يقبل علينا بعد انتظار طويل لمقدمه، وشوق عارم للقائه، يطل علينا بوجهه الوضاح الباسم، ونفحات محبته العميقة تعانق أرواحنا ووجداننا ممتزجة بنفحات قدسية اعترافا منا بما مَنَّ الله به علينا من خير عميم وما حبانا به من فضل كريم، إذ جعل ولاية أمرنا، وقيادة سفينة حياتنا بيد ربان يقظ أمين، ورائد عظيم ومفكر حكيم.

كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيدة، تدفق في شرايين الأمة دم جديد، يوحي بالعزم الصادق، والإرادة الصلبة للسباق في مرحلة أخرى من مراحل البناء والتشييد، ويحرك عربة تاريخنا المجيد صوب الازدهار والتطور والنماء.

كلما حلت ذكرى عيد العرش العظيمة، سطع في ربوع الوطن كوكب جديد يضيء النفوس بالأمل ويبعث الطمأنينة ببسمته، ويوحي بالبشر والسعادة في طلعته، فنستجمع قوانا وكلنا ثقة وعزم وإيمان وحزم واستمرار وتحدي لتذليل الصعاب، وتحقيق المستحيل.

كلما حلت ذكرى عيد العرش الخالدة، ذكرى جلوس مولانا أمير المؤمنين على عرش أسلافه المنعمين حل معها وعي بمرحلة جديدة من مراحل

كفاحنا المستمر تحت قيادةٍ زعيمةٍ شابةٍ متوقدةٍ قيادة جلالة الحسن الثاني العظيم، رائدنا المظفر، ورمز الفتوة والشباب الدائم والطموح والبناء والعزة لهذا الوطن.

كلما حلت ذكرى عيد العرش المجيدة، توحي بشكلها ومضمونها بلفظها ومفهومها، أن جلالة الحسن الثاني رمز للفتوة والشباب، وأن الشباب ليس مرحلة من مراحل العمر تتولّى وتُدبِرُ كلما قطع الإنسان أشواطا بعيدة في حياته، وتقدم به ركب الزمان ليصبح عاجزا متقاعسا، ولكن الشباب هو ذلك الطموح الدائم، والعزيمة الصلبة التي لا تلين والحماس المتقد في النفس والفكر لبلوغ أسمى الغايات، وتحقيق أبعد الأهداف والمنجزات.

في هذا اليوم بالذات، يوم ثالث مارس الربيعي الأخضر الزاهر الأنضر، المشرق بالبشرى، المعطر بأزكى النفحات والبسمات، الساطع بأحلى الآمال والأمنيات، المبشر بأجمل الأيام وحلول أغلى وأعز الذكريات، في هذا اليوم بالذات، يستحضر المغاربة قاطبة أروع وأخلد ذكرى من ذكريات تاريخهم الحافل بالأمجاد والمكرمات، الزاخر بالعطاءات والخيرات، ففي مثل هذا اليوم بويع جلالة الملك الحسن الثاني المحبوب، من لدن الأمة جمعاء ملكا على المغرب، معتليا بالتجلة والإكبار عرشه الخالد وعرش القلوب. فاختاره الشعب قائدا لمسيراته ورائدا لملاحمه وبطولاته، وساهرا على مقدساته وحرماته، وراعيا لسيادته وعزته وكرامته، وحافظا لمقوماته وأصالته وبذلك كله كان جلالته الرمز الحي والآية الباهرة، والمعجزة الخالدة التي تجسدت فيها عبقريات المغرب وبطولاته العظيمة في شتى مجالي الحياة وحقب التاريخ.

ولئن كان احتفال المغرب بذكرى تربع جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه الأبرار في مثل هذا اليوم من كل عام، يشخص دائما وعلى مر الحقب والأزمان عرى التلاحم الوثيق بين العرش والشعب ويعرب عن المحبة الصادقة، والولاء الدائم، والوفاء المستمر الذي يكنه شعب المغرب لعاهله العظيم جلالة الحسن الثاني الذي يمثل روح الشعب المغربي، لأنه حياته ونبض قلبه ووجوده وفيض وجدانه واستمراره ورمز عزته وكيانه. وما الاحتفال العظيم، والاعتزاز الكبير بهذه الذكرى الوطنية المجيدة الخالدة التي تأتي كل عام جديدة في مغزاها، جديدة فيما تسعى وتهدف إليه من مقاصد نبيلة، وغايات شريفة، ما هذا الاحتفال العظيم في الواقع إلا «تكريم وتتويج لحياة ملك عظيم عبقري يتفانى في محبة شعبه، ويوثره بالتضحية تلو الأخرى، وينزله من قلبه منزلة رفيعة يترجمها قول جلالته في إحدى خطبه : «إن العادة جرت بأن يقال إن الشعوب على دين ملوكها، وأنا أقول : إن ملك المغرب على دين شعبه».

إن الله سبحانه وتعالى حينما أراد لهذا الشعب العزة والكرامة، والوحدة والسيادة، والاطمئنان والأمان، والاستمرارية في الاستقرار والتقدم والازدهار، أنعم عليه بوجود هذا الملك العظيم جوهرة الدولة العلوية المنيفة، وسلالة الدوحة النبوية الشريفة، ومنحه الحكمة والتبصر، وصدق

منطق ورجاحة العقل، وأقدره سبحانه وتعالى على قيام بالرسالة، والاضطلاع بالأمانة، وتأدية مسؤولية، والنهوض بأعبائها، ضاربا حفظه الله في لك كله مثلا ينبض بالحياة في سبيل رقي شعبه، تقدم أمته وعزة وطنه، بحيث يمكن القول أن عمل لالته في هذا المجال مع ما يتسم به ذلك العمل ن تضحية وتفان وجهاد مخلص لبلوغ الغايات مأمولة هو عمل لا نعدو الحقيقة إذا قلنا أنه عمل ديم النظير على مستوى الزعامة والريادة وقيادة لأمم صوب أهدافها في عالمنا المعاصر.

وجدير بأمتنا وهي من طنجة إلى الكويرة تبارى في الإعراب عن مشاعر فرحتها وابتهاجها هذا الحدث التاريخي العظيم، أن تعتز أيما اعتزاز، تفتخر كامل الافتخار بهذه الذكرى المجيدة غالية، وما ترمز إليه من أمجاد وبطولات صنعها لوك الدولة العلوية الأماجد، وحافظ على أصالتها أبدع في تجديد معالمها جلالة الحسن الثاني سايرة لروح العصر، وما يتطلب تبعا لذلك بناء مغرب الحديث.

وهكذا أوجد جلالته بإيمانه الراسخ، وعبقريته فذة وتضحيته الصامدة، وعمله الصالح، وقيادته رشيدة شعبا جديدا ومغربا جديدا، هو شعب مغرب الحسن الثاني في عهده الفاخر الزاهر، كلاهما شاهد بنفسه عن سر تلك المحبة العميقة متبادلة، وذلك الرباط الوثيق الذي يجعله ملتحما لعرش، ومتعلقا به أقوى ما يكون التعلق والالتحام الوفاء، ومؤمنا به أشد ما يكون الإيمان.

وكيف لا نحتفل بهذه الذكرى التي تعد بحق تعبيرا صادقا على الحب والوفاء لقائد المسيرة وموحد التراب الوطني جلالة الملك الشهم الحسن الثاني، الجالس على عرش الأفئدة والقلوب. إن الاحتفال بهذه الذكرى المجيدة كلما شرفت دين في عنق الشعب الوفي، للعرش الوفي، الشعب الذي يقرر الخدمات المثلى والنهضات الفكرية والأدبية والعلمية والصحية والاقتصادية والسياسية الحكيمة التي تتوالى وتتصل حلقاتها بجهود هذا الملك المفدى رمز السيادة المغربية والسلطان القائد للشرف والسمو والعزة والكرامة».

كيف لا نحتفل بعيد العرش وبصاحب العرش.

وللعرش في المغرب قوة رسوخ، وتمكن في القلوب والعقول، ذلك أن المغاربة منذ أن وعوا الحياة السياسية، واهتدوا إلى نظام لكيانهم، اقتنعوا أن الملكية الدستورية هي الأصلح والأقوى والأبقى، وكانت ملكيتنا دستورية حتى قبل أن يظهر النظام الدستوري في العالم، لأن الإسلام ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم بشكل يجعل النظام السياسي متوازنا ومنضبطا، وقائما على أساس راسخ لا يتزعزع، فمنذ قرون عديدة وبالضبط منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، أدرك المغاربة أن النظام الملكي هو الملائم لطبيعتهم، والمناسب لمناخهم الاجتماعي والحضاري، والمتفق وأهواءهم وأمزجتهم وطبائعهم، والمستجيب لرغباتهم ومطامحهم وآمالهم، لذلك وجد شعبنا في الملكية ذاتيته، واطمأن إلى صلاحية الاختيار، واستقامة الطريق، ونجاعة النظام

وقوته وقدرته على تحقيق تطلعاتهم في الحياة الحرة الكريمة.

للعرش قوة رسوخ وتمكن من القلوب والعقول فالمغاربة آمنوا وأدركوا ووعوا وتعاطفوا وتجاوبوا وانسجموا مع النظام الملكي من عهد الأدارسة، ومرورا بالمرابطين والموحدين والمرينيين والسعديين والوطاسيين، وانتهاء بعهد الدولة العلوية التي مضى اليوم على إنشائها زهاء ثلاثة قرون ونصف القرن، وقد سعى الشعب إليها وشجعها وأقامها هو بنفسه نظاما وكيانا له.

العرش في المغرب عقيدة واتجاه، ويقين والتزام، وتعاقد اجتماعي موصول الأسباب، راسخ الجذور، ضارب في أعماق الواقع، لقد تعلق المغاربة بالعرش تعلقا روحيا ووجدانيا وفكريا، وجاءت البيعة الشعبية الشاملة لهذا العرش لتثبت حقيقة النظام وطبيعة العلاقة بينه وبين الشعب. هذه القاعدة المتميزة المطبوعة بطابع البقاء والاستمرار والتواصل تجعل الملكية المغربية نظاما عزيز المنال بل عديمه على الإطلاق، لذلك كانت ملكية المغرب نسيج وحدها بخصوصياتها ومميزاتها وانفرادها بين أنظمة الحكم في العالم كله».

«فتاريخ بلادنا عبارة عن أسرة حاكمة تنسجم مع الشعب وتتقدم لقيادته، والدفاع عن الدين وعن الوطن وحماية استقلالهما، وما دام الملك والأسرة قائمين بواجبهما، سائرين في صفوف الشعب لتحقيق أهدافه، والذب عن كيانه، فإن الشعب يخلص لهما ويخوض معهما كل المعارك التي يخوضونها، ذلك ما كان عليه حالنا منذ العصور الأولى للتاريخ، ويكفي أن نستحضر الدول الإسلامية الواحدة بعد الأخرى لنعلم صحة ما نقول».

ويعطي جلالة الملك لرابطة البيعة بعدها الديني فيقول : «إن روابطنا وأسس تعاملنا ليست تلك الأسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة، بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبني على أعز ما هو في أنفسنا، وأقدس ما في أرواحنا وهو الإيمان بالله وبرسوله».

وهكذا، فكلنا نعيش بيعتنا لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني بارك الله في عمره، فعلينا أن نبقى أوفياء للعهد بصدق. وأن نشد من أزره ونلتف من حوله وننصر حكمه بما أوتينا من قوة وجهد، فإطاعته ونصرته من إطاعة الله ورسوله ونصرتها. وذلك لأنه حامي الوطن والدين، ورافع لواء الإسلام والمدافع الأمين عن حقوق العرب والمسلمين، فهو ينهج نهج جده رسول الله ﷺ في سياسته الداخلية والخارجية في مبادئ واضحة مبنية على الحق والعدل والسلام.

تعانق فينا العرش والشعب دائما
على البر والتقوى ومعجزة العصر
إذا ذكر المجد الأصيل بأهله
فنحن بفضل العرش أجدر بالذكر
كفاني اعتزازا بالمليك ومجده
فقد رفع الله العزيز به قدري
مدحتك حبا في علاك مبايعا
على الصدق والإخلاص في السر والجهر

تتجدد أيامنا وأمانينا وتستعيد شبابها وفتوتها كلما هل علينا عيد العرش المجيد، فيتجدد معها الماضي السعيد بكل مفاخره وأمجاده، وهو يتردد على الشفاه في الملتقيات والمنتديات، وتتجدد معها آمال الحاضر والمستقبل بكل تطلعات أجيالنا ورغباته، تتجدد أصالتنا الخالدة فيما يجد من عمران وثقافة وفن، وفيما يتوطد من علائق وروابط بداخل بلادنا أو بخارجها. بالأفراد أو بالجماعات إنسانية كانت أم اجتماعية أصلها ثابت وفرعها في السماء. كلما هل علينا عيد العرش المجيد، تجددت آمال الغد الباسم، وارتسمت من جديد خضراء يانعة، تفوح فتوة وأصالة، تعطر الآفاق، وتحمل في ثناياها عطر الخير والماء والعطاء.

في مثل هذا العيد، تحققت مشاريع ومشاريع وأصبحت أكاليل يزهو بها مجدنا الشامخ.

في مثل هذا العيد، سطرت الأقلام بمداد الفخار والصدق أنبل المواقف وأروع الطبولات التي شهدها مغرب الشباب، مغرب الأصالة والتجديد، مغرب الديمقراطية والوطنية الحقة.

في مثل هذا العيد السعيد، وفي مثل هذا اليوم المشهود من تاريخ المغاربة تقف جميعا وقفة وفاء وولاء، وقفة إجلال وإكبار للأدوار والمهام الجسيمة التي اضطلع وما فتئ يضطلع بها جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله على مستويات عديدة، تتمثل فيها العبقرية الفذة التي أوتيها جلالته، والتي هي في الواقع، نتاج وكفاح متواصل، وثقافة عميقة وذكاء متوقد، وجهاد مستمر، وصبر دؤوب على مواجهة المحن والملمات بإيمان كبير، وثقة في الله، وتمسك عميق بالمسؤولية وواجبات الأمانة وحقوق الرسالة.

ذلك أنه عندما تبدو بشائر طلائع الذكرى تلوح تقتضي بوادرها المشرقة من الفكر الوطني أن يغوص في أعماق التاريخ المغربي سابرا أغواره، مكتشفا أسراره ودرره، وأن يتجول بالخصوص في أطوار تاريخ العرش العلوي المجيد منذ النشأة، ومرورا بكل المعارك والمواقف والأحداث والوقائع التي عاشها المغرب في ظلال هذا العرش المكافح الذي ليس كالعروش لأنه ينفرد بالعبقرية المبدعة، وبالنضالية المثالية وبالاستمرارية في الجهاد المقدس من أجل بناء أمجاد الشخصية المغربية.

ولأنه ميثاق ديني وروحي وعقائدي، ولأنه قائم على رباط البيعة والولاء بين الملك والشعب في علاقة محبة صوفية وروحية، صنعت معارك الاستقلال والتحرر والتشييد والبناء، وصنعت عطاءات الخير والبركات.

ولأنه شعار الاستمرار والقوة والتحدي والصمود، ورمز العمل المتواصل من أجل إقرار العدل والحق وخدمة مصالح الرعية والبلاد.

وإذا ما ذكر الذاكرون اسم هذا العرش العلوي المجيد واسم هذا البلد العريق المتميز بشخصيته الأصيلة، وقيمه المثلى، وحضارته الغنية، وتحدياته الحكيمة، ذكروا مرآة الشخصية المغربية المجسد للفكر والسلوك المغربيين، الحريص على استمرار الأصالة المغربية في شتى المناحي جلالة الحسن الثاني المحفوظ بالسبع المثاني، فلقد عمل حفظه

الله منذ توليه قيادة هذه الأمة على خدمة الشعب ورعاية حقوق المواطنين صغيرهم وكبيرهم، محافظا على المكاسب القومية، معاهدا على بذل أقصى جهده لتحقيق تقدم هذه الأمة وازدهارها، وما يفتأ جلالته في كل مناسبة يجدد العهد، ويذكي الطموح، ويوقد العزائم والرغبات، ويحث على ضرورة التماسك والتلاحم من أجل الاستمرار في البناء، بناء المغرب الموحد، وكسب الرهان في كل ميدان والتزم جلالته بالعهد الذي أعطاه، وأفنى الشعب روحه وطاقاته في خدمة المساعي الحميدة التي خطط لها مليكه المفدى. فكان التلاحم بين العرش والشعب صورة من صور الأصالة المغربية، وإذا كان هذا الاحتفال العظيم بالعرش يأتي كل ذكرى عيد العرش قويا جديدا رائعا، فإنما هو في الحقيقة احتفال وتمجيد بصاحب العرش جلالة الملك الحسن الثاني المجدد حفظه الله ونصره الذي أسدى لهذه الأمة كل خير في دينها ودنياها، وبوأها مقاما كريما بين الأمم والشعوب. وتمجيد للتاريخ الحافل بالمفاخر والمكارم، تاريخ دولة ملوكنا العلويين الأشاوس الأماجد الذين بذلوا الجهود المضنية في سبيل تحقيق وحدة البلاد والحفاظ على سيادتها، وتجديد ما رث من حبل الدين، وحماية الكيان وضمان الاستقرار والأمان.

ولقد كتب الله للعرش العلوي المجيد الرسوخ والتمكين والاستقرار والاستمرار، لأنه عرش قائم على أساس البيعة، والبيعة ميثاق ديني وروحي وعقائدي. لذلك كان من مقومات هذا العرش التمسك بالكتاب والسنة، ومن أهداف رسالته الخالدة المحافظة على الشريعة الإسلامية وتثبيت دعائمها، ونشر تعاليمها وقيمها السامية على مر الحقب والعصور.

ويكفي دليلا على ذلك عناية ملوك الدولة العلوية ورجالاتها بالكتاب والسنة تعلما وتعليما وعملا، حيث لم يكتب لدولة من دول المغرب غيرها من طول العمر وإذعان أهل المغرب وتعلقهم وإخلاصهم مثل ما كتب لها.

إن الدارس المتعمق للتاريخ المغربي، ليجد أنه بفضل ما آتاه الله من قيادة حكيمة رشيدة في شتى ميادين الحضارة والعمران، وما حباه الله به من نعمة العلم والعلماء الأفذاذ المبرزين، استطاع أن يحافظ على ثقافة وطنية أصيلة راسخة الجذور والمقومات، وأمكنه بحكم ماله من حصانة ذاتية مستمدة من هذه الأصالة أن يجابه شتى التحديات الفكرية الأجنبية التي واجهته على مر العصور، وأن يؤكد ذاتيته في معترك الثقافات والحضارات المختلفة، وأن يبرز شخصيته على هذا الصعيد، ناصعة الملامح غنية بدلالاتها وما تنم عنه من إيحاءات خلاقة مبدعة، وهكذا واستمرارا لتأكيد قيمة الشخصية المغربية وتعميق أصالتها يقف التاريخ المغربي وقفة إجلال وإكبار أمام عظمة الدولة العلوية الشريفة، التي يحمل اليوم مشعلها الساطع، ويجسم مجدها الرائع، ويحقق أملها الواسع جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأطال عمره سليل دوحتها العلوية العالية، وأن من جميل مآثرات هذه الدولة العظيمة وكريم مفاخرها ما دأب عليه حفظه

الله، ودأب عليه أجداده من بذل محمود العناية بالثقافة والعلم، وما سار عليه من نهج رشيد في إذكاء شعلة الفكر وإغناء رصيده، وما أولاه حفظه الله من موصول الحدب والرعاية لأهل العلم وأعلام المعرفة، شحذا لهممهم على الإسهام في إغناء الثقافة بالجيد المفيد من الأعمال واستنداءا لمواهبهم وقرائحهم كي لاتني عن موصول العطاء في هذا المضمار. وهكذا نجد أن عناية جلالته حفظه الله بالثقافة والفكر في شتى حقول المعرفة ليست محصورة في ما تحقق من بناء الجامعات والمعاهد العليا والمدارس المتخصصة، والكليات المختلفة المنتشرة في أنحاء المملكة التي تهتم بتدريس مختلف العلوم والفنون، من آداب وقانون، وطب، وهندسة، وغيرها من العلوم بل إن اهتمامه حفظه الله كأمير للمؤمنين وقائد مسلم، ترتكز بالدرجة الأولى على تعميق الثقافة الإسلامية الأصيلة، والعمل على تطبيق أهدافها ومقاصدها النبيلة، إيمانا منه حفظه الله إيمان المؤمن الصادق بصلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان، وأهليتها للقيادة والهيمنة على جميع مرافق الحياة.

وإن هذا البلد المتشرف بقيادة جلالته حفظه الله، المستظل بسلطانه الذي يتغنى به الرائح والغادي، والشاعر والطائر الشادي، بلد الصلحاء الزاهدين والعلماء العارفين، بلد العلم والأدب والمعرفة والفنون، البلد الذي يزخر بالمنشآت العلمية والجامعات الكبرى على اختلاف منابعها ومشاربها، البلد الذي يحتضن في مقدمة هذه الجامعات، جامعة القرويين التاريخية العريقة الأصيلة، التي دوى اسمها عبر القرون، حافلا بالأمجاد والمفاخر، وكلما تحرك اللسان لينطق به، ذاب الشعور في نشوة الفخر والاعتزاز، القرويين ذلك الجسر الشامخ الذي ربط بين الثقافتين المغربية والشرقية، ومهد السبيل لحركة فكرية ما تزال إشعاعاتها تنير عقول الباحثين والمفكرين المعاصرين.

العرش كلمة رائعة عظيمة خالدة، فهو رباط مقدس بين الحب والقلب، وعروة وثقى بين الملك والشعب، هو رمز العمل المتواصل الجاد، والتضحية والتفاني الدؤوب والجهاد، من أجل إقرار العدل، ونصرة الحق وخدمة مصالح الرعية والبلاد، وهو شعار الاستمرار والقوة والتحدي والصمود، وهو عنوان الحرية والكرامة والأصالة لهذا الوطن العربي المسلم.

والعرش، به نعتز ونفتخر ونسعد، فلولاه ما خفقت قلوبنا ولا فرحت ولا سرت، ولا اتقدت نفوسنا حماسا، ولا رفرفت في دنيا السعادة والبشائر أرواحنا، ولا تطلعت إلى آفاق المستقبل المشرق السعيد آمالنا وأمانينا، ولا هفت إلى البناء الشامخ والمجد الباذخ والعطاء المتدفق الدائم عقولنا وأفكارنا وجهودنا.

إن العرش المغربي إصرار على التحدي تلو إصرار، من أجل الثبات على المبدأ السليم وحتمية الاختيار، وهو نفس دائم متجدد للصيرورة النضالية، لاستمرارية الرباط المقدس، في علاقة محبة صوفية روحية بين الملك والشعب، صنعت معارك الاستقلال والتحرر والتشييد، وصنعت عطاءات الخير والبركات.

إن العرش المغربي ضمان للوحدة والسلم والأمن والتلاحم ومهد للكفاح وبؤرة للملاحم.

إن العرش المغربي يجسد أماني وأحلام المواطنين جميعا، ويقف في الصف الأول قائدا ومرشدا وهاديا ومدافعا عن حقوق الوطن والمواطنين، وساعيا إلى خيرهم وسعادتهم.

وللعرش ذكرى عزيزة غالية، وللعرش عيد فريد مجيد يأتي كل سنة مشرقا بأمل جديد، حافلا بالبشائر والمنى، متطلعا نحو الغد القريب، والمستقبل البعيد السعيد.

إيه أيها العيد السعيد، يا أجمل الأعياد في حياتنا ويا سر سعادتنا ورمز سيادتنا ووحدتنا، هو ذا يومك الربيعي الباسم قد أشرق، فأشرق معه تاريخ الماضي الحافل يروي للحاضر المقيم مآثر البناة الخالدين. فيبعث الشوق في قلب المستقبل الآتي يخلد أكثر وأكثر، فأية فرحة تغمر القلوب، وأية نسمة تعانق الأرواح، وأية بسمة تسطرها المسرة على الشفاه، أجمل وأغلى من ذكرى عزيزة. وأية ذكرى أعز وأخلد من ذكرى هذا اليوم الأغر المشرق الزاهر المتألق في صفحات تاريخنا المجيد. ذكرى خالدة تتعاقب خلفا عن سلف، وجيلا بعد جيل على مر العصور والأحقاب، تؤلف بين القلوب في حب وصفاء وتعلق وولاء، حب لا أقوى منه ولا أسمى، ورباط لا أمتن منه ولا أمكن، وإخلاص وتجاوب عميقان بفضلهما نحمي وحدتنا، ونرصص صفوفنا، ونحقق انتصارا بعد انتصار، محطمين جدار التخلف ومكسرين قيود العراقيل، حتى نشيد صرح حضارتنا الأصيلة في تحد وإصرار.

ذكرى عزيزة غالية، أزكى من الربيع وأنضر، وأرق من النسيم وأعطر.

تشرق اليوم أنوارها علينا طافحة بالمعاني والقيم الجليلة، يشدو بها التاريخ ويفتخر، ويهلل لمقدمها هذا الكون ويكبر، فما أروع الذكرى، وما أكبر الفرحة، وما أحلى ما يتغنى به اللسان ويشعر.

إنها ذكرى جلوس قائدنا الهمام على عرش أسلافه المنعمين، والتي تعتبر أغلى الذكريات وأعزها، وأثمن المناسبات وأجلها.

ولا غرو فهي ذكرى متأصلة في نفس كل مغربي وروحه منذ سنوات عديدة، تبرهن بحق وصدق عن التلاحم المتين بين الشعب والعرش المكين، وتعبر عن تجديد البيعة والولاء والاستمرار والإخلاص والوفاء.

وماذا يعني الاحتفال بعيد العرش السعيد ؟

كل ذلك يعني الاستمرارية، قمة وقاعدة، لصوغ حياة جديدة تهيمن على معالمها البشرية كل مظاهر العمل والتشييد والبناء، والتنمية والتقدم والارتقاء.

والاحتفال بذكرى عيد العرش المجيد، ليس بالحدث الوطني الذي يستغرقه زمان محدود، ولكنه في جوهره تأكيد لقوة ومكانة المغرب، ولأصالة اختياراته، وطموح آماله، وتقييم لحصيلة تلك الأشواط التي قطعتها المسيرة النضالية للمغرب، تلك المسيرة التي تختزل تاريخا متكاملا لمسيرة عرش وشعب تعاهدا على المحبة والوفاء والتضحية، وإن هذا المغزى العميق لمفهوم الاحتفال بعيد العرش

المجيد هو ما يستوحي نفسه من قول جلالة الملك نصره الله.

(إن عيدنا الوطني الذي نحتفل به اليوم، ليس عيد ذكرى جلوسنا على عرش أسلافنا المقدسين فحسب، وإنما هو عيد نحيي باحتفالنا له أصدق وأخلص تحية تلك القيم السامية الثابتة المستقرة في أعماق كياننا، ونخلد ذكريات وأمجاد تلاحقت على امتداد ماضينا، وتألقت صحفاتها في عرض تاريخنا الطويل).

ثلاثة قرون أو تزيد، تلك حصيلة الزمان من عمر العرش العلوي المجيد، عقود مضت، وأخرى آتية... والعروة الوثقى بإذن الله باقية، فهي سر التجاوب الروحي والتلقائي بين العرش والشعب، بين القاعدة والقمة. والتي تعطي الدليل الواضح على أن هذا العرش العظيم مطبوع بطابع الخلافة الإسلامية القائمة على رباط البيعة المقدس، ذلك الرباط الذي يعطي جلالة الملك بعده الديني فيقول :

(إن روابطنا وأسس تعاملنا ليست تلك الأسس المصطنعة التي خلقها التاريخ صدفة. بل هي قبل كل شيء ترابط وتعامل مبني على أعز ما هو في أنفسنا، وأقدس ما في أرواحنا وهو الإيمان بالله).

ولعل أغلب الناس يخطئون عندما يفهمون من عيد العرش مثلما يفهمون من مطلق الأعياد الجارية والمناسبات المتوالية، فعيد العرش يسمو على الذكريات كلها، وينطوي على المعاني بأسرها، وله معنى أدق وأعمق، ومرمى أجل وأبعد، كما أنه نسيج وحده، وفريد من نوعه، في صورة عديمة المثال على الإطلاق. ذلك أن علاقة العرش بالشعب في هذه الدولة المغربية التي تحكمها الملكية الدستورية كنظام سياسي إسلامي علاقة روحية ووجدانية وقلبية قبل أن تكون مجرد علاقة سياسية ونظامية، وإذا كان ما يعلق بالروح والقلب أدوم وأبقى، فإن طبيعة هذه العلاقة تعني الدوام والاستمرار والتجدد، ويكفي كدليل على ذلك صورتان فريدتان في التاريخ، ليس لهما نظير في أي حكم في العالم.

الأولى : عندما امتدتْ يد المستعمر الغاشمة إلى نفي جلالة الملك الراحل محمد الخامس طيب الله ثراه، حينما ارتضى النفي والإبعاد عن الوطن إيمانا بالعقيدة، وثباتا على المبدإ من أجل الدفاع عن حرمة هذا الوطن وكيانه، فقام الشعب المغربي كافة يضحي بروحه وماله، ويريق دم أبنائه كبارا وصغارا تعلقا بالعرش، واستماتة في حب ملكه الذي لا يرضى به بديلا، قام يكافح ويناضل بكل ما أوتي من قوة وسلاح في ثورة عارمة يطالب بإرجاع الملك الشرعي إلى عرشه، في صورة أذهلت المستعمر، وقهرت قواه، وأجبرته على الخضوع للحق.

وجاء اليوم الذي انزاح فيه ظلام العبودية، وعاد الملك حاملا في قلبه وبين كفيه بشرى الاستقلال والحرية.

أما الصورة الثانية : فهي عندما دعا جلالة الملك الحسن الثاني الشعب كله إلى القيام بمسيرة خضراء لاسترجاع الصحراء، تلك المعجزة الفريدة في التاريخ المغربي، ففرح الشعب قاطبة، وهب ملبيا طائعا عن طواعية وتلقائية في فرح واستبشار، سائرا

على الخطة الرشيدة التي رسمها جلالة الملك الملهم خطوة خطوة، وعندما تأكد جلالته أن المسيرة بلغت غايتها وحققت المراد منها، نادى شعبه بالتوقف والعودة من حيث أتى، فكانت أيضا الاستجابة الفورية في إطار من النظام والانتظام كما أرادها جلالة الملك نصره الله.

أليس في هذا ما يدعو إلى الاندهاش ويثير الإعجاب بعظمة هذا العرش ورسوخه والتي هي مستمدة من عظمة الجالس عليه، هذا الملك الملهم الذي اعتلى عرش القلوب، كما اعتلى عرش أسلافه المنعمين، تحرسه العناية الإلهية، وتمده بالعون والنصر والتوفيق، وبذلك السر الرباني الذي يجعل حكمه يمتاز بالقوة وتحقيق الغايات في نجاح مطرد ومدهش لصلاح الدين والدنيا. هكذا نرى أن العرش العلوي المجيد ليس نظاما سياسيا فحسب، ولكنه ميثاق ديني وروحي وعقائدي، ولولا هذا الالتحام الوثيق والدائم بين العرش والشعب، ذلك التلاحم الذي يستمد مقوماته من تضحيات العرش من أجل ضمان عزة وكرامة هذا البلد، ومن حب ووفاء وتعلق هذا الشعب بأهداب العرش والجالس عليه، لم يكن للمغرب أن يحتل هذه المكانة المتميزة بين الأمم والشعوب.

وها نحن اليوم وعلى مسيرة البناء والتوحيد والتشييد، وفي عهد جلالة الملك الحسن الثاني الزاهر، نجني ثمار هذا التلاحم، ونلمس عن كثب ما تحقق لهذا البلد على يديه الكريمتين الخيرتين من مكاسب، ونقيم حصيلة هذه النهضة وهذا الانبعاث على الصعيدين الداخلي والخارجي، ومن أجل هذا التقييم لحصيلة هذه المسيرة المباركة في تاريخنا المشرق، نحتفل بعيد العرش السعيد في ذكراه المجيدة الرائعة، ونرحب في حرارة واشتياق بمقدمها. نحتفل لنعبر عما نكنه لجلالة الحسن الثاني حامي الملة والدين، وضامن الديمقراطية، ومبدع عبقريتنا، وباعث حضارتنا، والذي لا تسمح الصفحات مهما تراكمت لإحصاء محاسنه على أمته المغربية وأخواتها في الشرق وفي إفريقيا، فما شئنا من إصلاحات، حقق ما لم نكن نحلم به، وما شئنا من رفاهية رفلنا في حللها، وما كنا نعيش فيه من جهل فاش وضآلة في التعليم عالجه بالمعاهد المختلفة، والجامعات العديدة، وما كان يتهددنا من مخاطر الطبيعة، دافعة عنا ببناء السدود وإصلاح الأراضي، كما جلب الصنائع، وأقام المصانع، وأنشأ المختبرات، وسلط الدراسات على خيرات البلاد، واكتشف مُدّخراتها. ففي أقل من ربع قرن صارت القرى مدنا، وصارت المدن جنات غَنّاءَ يحلو بها المقام ويطيب، وتشرق عليها شمس السعادة التي لا تغيب.

يقول جلالة الملك محمد الخامس رضي الله عنه في الوصية الأبوية الخالدة التي وجهها لابنه البار جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله :

«...فكن يا ولدي خير خلف لخير سلف، وليكن عملك لوطنك ومحافظتك على استقلاله ووحدته أمرا يقتضيه منك شرف المسؤولية، وتفرضه عليك تقاليد الأسرة في آن واحد».

ويقول جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأبقاه : «إن الإسلام دين ترتكز فيه الحياة كلها على مبدأ المسؤولية وهي في مفهومه فردية وجماعية، فما من أحد منا إلا وهو يتحمل حظا منها يضيق أو يتسع بقدر ما يوضع بين يديه، ويتصرف فيه من مرافق خاصة أو عامة، وأن مراقبة الله والشعور بالمسؤولية أمام خلقه لحافز كبير على أداء الحقوق والأمانات إلى أهلها».

من وحي هذه المعاني السامية التي تنطق بإيمان راسخ عميق قويم يوضحه قول سديد يستمد سداده من نبع الإسلام الصافي ويسنده عمل متواصل دؤوب، لا على هذه الأرض الطيبة التي أكرمها الله بوجوده، بل على سائر المَوَاطِنِ التي يوجد بها الإسلام.

تتبلور تلك الشخصية العظيمة المتكاملة التي وهبها الله كل مزايا الفضل والنبل، وحباها بجايا التوفيق والرشد وعلمها بإحسان منه وتوفيق حسن القيادة والريادة، وخصّها بغزارة العلم، وقوة الإدراك، وبعد النظر وحدّة الفطنة وسَعَةِ الأفق، وصفاء الملكة، وسداد التوجيه، ومتعها بكل الصفات الحميدة والخصال النبيلة، ما جعلها مؤهلة مقتدرة لتحمل أعباء المسؤولية، بكامل القوة والصبر وأداء الأمانة بصدق وإخلاص. هذه الشخصية العظيمة الفذة التي بهرت العيون، وأدهشت الأنظار، وملأت القلوب هيبة وروعة. هي شخصية جلالة الملك العظيم الحسن الثاني القائد الحكيم، الذي خبرته الأمة فدلت التجربة على أنه ربان ماهر، وملك ملهم، وخليفة مؤمن وحاكم عادل. رجل من آل بيت رسول الله ﷺ مستمسك بسنته ومعتصم بحبل الله ورسالته، سائر على نهجه ورشده. أجمعت الأُمة على حبه وتقديره والطاعة له والانقياد لرأيه، لأنه مصدر سعادتها وباعث نهضتها وسر رقيها وهنائها، وهو في تفكير دائم في شؤونها ليحقق لها العزة والقوة، ولتسير على نظام اجتماعي يستند إلى دينها وتقاليدها.

ولقد اختار الله لهذا الوطن المغربي العزيز مكانا فريدا من نوعه، لا من حيث موقعه الجغرافي، ولا من حيث طبيعته الفتانة الجميلة، ولا من حيث أرضه الطيبة المعطاء التي تعتبر مصدر ثروة هائلة ومورد رزق عظيم، كما اختار له ملكا عظيما طَبَّقَتْ شهرته الآفاق، وأصبح عالميا من عظماء هذا العصر لما يمتاز به من حكمة وحنكة ودراية واهتمام بوطنه وأمته، وبمشاكل الأُمة العربية والإسلامية بل وبمشاكل العالم أجمع، وبذلك اعتبر بحق عالم الملوك وملك العلماء. كيف لا، وجلالته دام له العز والتمكين كان وزيرا لوالده الكريم وشريكا له في جهاده. «فقد نشأ نشأة طيبة مباركة، وكان قرة عين لوالده، وكان محل عنايته وحسن تربيته وتنشئته، وكان يؤهله لحمل أعباء الخلافة بعده ويتوسم فيه أن يكون خير خلف. وقد استجاب الله دعاءه وبلغه مناه، فأدرك جلالة الحسن الثاني من العلوم والأعمال الجليلة وحسن السياسة، والتغلغل في المشاكل وصدق العزم وقوة الإرادة، وهو لا يزال في طور الشباب أطال الله بقاءه، وأدام عزه وارتقاءه، ما أبهر العقول وقرت به عيون الأصدقاء، وشرق به الأعداء».

وكان المثل الأعلى لما يتوسم فيه والده طيب الله ثراه مثالا حيا لتلك الوصية الأبوية التاريخية الخالدة، وما تضمنته من مواعظ وتوجيهات تفيض بالروحانيات وبحب الوطن استعرض فقرات منها تقول : «...فاحرص يا ولدي على تتميم رسالة أسلافك والمحافظة على الأمانة التي من أجلها دعوا إلى الملك، وتبوأوا أريكة السلطان، وكن من الشعب وإلى الشعب يسعك ما يسعه، ويضيق عنك ما يضيق عنه. ولا تضن عليه بمجهود، وآثره على قرابتك الوشيجة، وبطانتك المقربة...».

إنها بالفعل وصية للذكرى وللتاريخ من ملك صالح إلى ابن صالح.

وهكذا فإن تمسك جلالة الملك بوصايا والده وسيره على أثر أجداده، وتشبثه بالمبادئ السامية، والمثل العليا، والقيم الأخلاقية الوطنية والروحية، جعل منه وهو القائد الملهم أروع تجسيد لحياة المغرب الجديد في تاريخه الحديث. تتسم بالاستمرار في البذل والعطاء، وبالجدية في الفكر والعمل، وبالوضوح في الرؤية والهدف، وبالشجاعة في الموقف والقرار من أجل بناء مغرب قوي وديمقراطي وموحد. فكان عهده الزاهر أرقى العهود، وعصره المتفتح أجمل العصور.

واليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى العظيمة التي أشرقت علينا أنوارها السنية، الذكرى الخالدة لتتويج صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني نصره الله تمجيدا له وللتاريخ الحافل بالمفاخر، تاريخ دولة ملوكنا العلويين الأماجد الذين بذلوا الجهود المضنية في سبيل تحقيق وحدة البلاد والحفاظ على سيادتها، وتجديد ما رَثَّ من حبل الدين، وحماية الكيان، فلا غرو إذا كان هذا الشعب المغربي الواعي مَديناً لهذه الأسرة العلوية بفضل لا ينسى طوال التاريخ، ومعترفا بالجميل للعرش العلوي المنيف. ولا عجب إذا خرج اليوم بأسره معبرا عن فرحته بحماس متقد، وسرور دافق، ولا غرو إذا ألقى هذا الشعب المغربي مقاليد أموره في يد ملك أصطفاه الله من رجال القيادة للتحرير والتعبير، يريد لأبناء شعبه أن يعيشوا في هذا البلد الأمين وفي ظلال العرش المكين برغد العيش وبالوحدة مطمئنين منعمين.

اليوم ونحن نحتفل بخير الأعياد الوطنية في تاريخنا عيد العرش المجيد الذي يخلد هذه السنة ذكرى تربع عاهل البلاد علىّ عرش أسلافه المنعمين. عيد العرش لهذه السنة هو نَفَسٌ نضالي جديد تتجاوب أوتار المشاعر حوله لتؤلف أغنية واحدة، منسقة الكلمات، عذبة النغمات، عنوانها التحام العرش والشعب في ظل نور الحسن الثاني العلوي الوهاج المتألق.

إن ذكرى عيد العرش الخالد التي نقيم اليوم احتفالاتها ونحيي أمجادها، لتكريم لأنفسنا واكتمال لمعنى وجودنا كأمة وشعب يعرف الأصح من طرق تمكينه مما يريد، كما أنها بجلالها وعظمتها تجعلنا نقف وقفة تدبر وتأمل، نرى من خلالها ذلكم الهرم التاريخي الشامخ لنهضتنا المباركة الذي يقف صامدا في وجه الزمن، ولا تزيده الأيام إلا متينا وخلودا، يقول بصوته العالي وبكل فخر واعتزاز : الدولة

العلوية المجيدة فريدة التاريخ، والحسن الثاني جوهرة غالية تتألق في عقدها الثمين، وصفوة من صفوة مختارة من سلالة الأكرمين.

يـــا سليـل الأشراف من خير جـــد
يـــا عـزيـزا أنت الحبيب الـوحيـد

إن ذكرى عيد العرش المجيد التي نحتفل بها اليوم وفي حلتها الجديدة إنما نحتفل فيها بعرش طالما أسدى لهذه الأمة كل خير، وحقق لها آمالها، وبوأها مقاما كريما بين الأمم والشعوب أصبحت معه حرة الإرادة، مطلقة السيادة. يقول جلالة الملك حفظه الله : «إذا كان سلفنا الصالح قد قاموا بالدور الحضاري الذي ألقاه الإسلام على عواتقهم أحسن قيام حسبما أدركوه وتصوروه، وعلى النحو الرائع الذي أبدعوه وابتكروه، فإن ذلك يدفعنا إلى مواصلة نفس الدور لكن على نحو جديد، ونمط فريد يتناسب مع معطيات هذا العصر».

فعلى أساس هـذا المنطق السليم، ومن هـذا المنطلق الواضح، يتبين للباحث الدارس لمراحل حياة الحسن الثاني حفظه الله منذ نشأته وتطوره، إلى مرحلة اعتلائه عرش أسلافه الميامين، وتحمله مسؤولية الحكم كأمير للمؤمنين، يتبين الخط المستقيم والنهج الواضح الذي تابع السير فيه، والذي اختطه قادة المغرب وملوكه منذ البدء، وأحياه وجدد معالمه أجداده الكرام منذ مولاي إسماعيل إلى محمد الخامس رحمهم الله ونور ضرائحهم، متحليا بكريم أخلاقهم، متقمصا حميد خصالهم. «إذ جمع بين عزة إسماعيل وقوته، وتفتح محمد الثالث وعبقريته، وإصلاح الحسن الأول وهمته، وجهاد محمد الخامس وتبصره وحكمته». فجمع بذلك المجد من أطرافه وكان وحيد عصره وفريد زمانه، فلا غرو إذا رأينا مغربنا العزيز مغرب التحدي في عهد الحسن الثاني العزيز وعلى امتداد مسيرته الطويلة الرائعة التي فاقت كل تحليل وإحصاء ووصف، قد حقق المعجزات، وتخطى العقبات، وأخذ طريقه نحو ازدهار أبدي يستمد ضمانه من مقوماته الروحية والأخلاقية والوطنية التي يحمي مصالحها ويرعى شؤونها جلالة الملك الحسن الثاني الرائد الملهم حفظه الله ورعاه، والذي يحرص كل الحرص على أن تكون الإنجازات نافعة مثمرة في المجال العمراني والصناعي، والفلاحي، والصحي، والتعليمي، وفي الحياة الاجتماعية كلها، مهما تنوعت وتفرعت. وأكثر من هذا وأكبر منه الحرص الشديد على سلامة الوطن وأمنه، والدفاع عن حوزته وحماية ترابه، ويكفينا فخرا واعتزازا أن يكون من روائع جلالته تلك المعجزة التي فاقت أحداث التاريخ لتفسح المجال لحدث القرن وحديث الأجيال، إنها المسيرة الخضراء الحسنية السلمية التي كان إبداعها إلهاما من الله وتوفيقا لجلالته، خصه به جلت قدرته ليكون دليلا على أنه الملك المختار، والزعيم المقتدر، والقائد المنتصر، الذي صدق فيه قوله تعالى : **﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم﴾**.

فـــأنّى جلت بفكرك، وقرأت وتعمقت في صفحات تاريخ الحسن الثاني الحافل الزاخر، وأنّى سمعت بأذنيك، وأنّى تنقلت بعينيك في ربوع هذا الوطن الغالي، وطن الحسن الثاني وأنّى سرحت

بتأملك بعيدا أو قريبا، ماضيا أو حاضرا إلا ورأيت ما يثلج صدرك، ويسر قلبك، ويطمئن نفسك، ويبعث فيك الثقة الكاملة والأمل المشرق لغد آت ولناظره قريب. والذي نرجو من الله أن يكون أجمل وأسعد بفضله تعالى، وبوجود روح هذا الوطن وقلبه جلالة الحسن الثاني حفظه الله وأعز ملكه. فله في كل مجال روعة إبداع لا تحاكى ولا تجارى، فهو السياسي البارع، والخطيب اللامع، والمفكر المبدع، والفقيه العالم الألمعي، والمسلم من الطراز المتفتح. يجمع بين شرف الماضي ومجد الحاضر، وصرامة الحكام وسماحة الإسلام... ولعل أبرز معلمة في مسيرة جلالته حفظه الله هذا التوافق المحكم بين التشبث بالعقيدة الإسلامية والتمسك بالكتاب والسنة، وبين الأخذ بأحدث أساليب الحكم والإدارة والتسيير، والاستفادة من كل ما يستند على العلم والتكنولوجيا مما من شأنه أن يثري نهضتنا العلمية والاقتصادية ويرفع مقامنا كدولة ذات حضارة ومجد ورسالة ودور بالغ الأهمية في الإشعاع والتنوير.

إن جلالة الملك الحسن الثاني بتواضعه الجميل، تواضع محمدي نبوي خالص، وصفاء سريرة هاشمية طيبة، وذكائه الألمعي واستعداده الفكري، ومعرفته الواسعة، يتبوأ مقام العالم المتمكن، والمفكر الأمين الرصين، الذي يربأ ولا يعبأ بسفاسف المعاني ويعدل ولا ينزل عن علياء المعالي.

وكفى شاهدا على ذلك دروسه الدينية القيمة المحكمة التي كان لها الصدى الكبير في جميع المحافل والأبهاء، سواء في الداخل أو الخارج، والتي جمع فيها جلالته بين سمو العلم وجلال العلماء، ونزاهة المصلحين الذين أوتوا الحكمة وفصل الخطاب.

إن المستمع إلى الأحاديث الدينية الجامعة لجلالته وخطبه وتوجيهاته في المؤتمرات والندوات واللقاءات ومختلف المناسبات، يؤمن أن الله قد أكرمنا بالاستماع إلى ملك عالم، والتلمذة على عالم ملك، ونتصور أن ابن وحفيد رسول الله يشرح حديث جده رسول الله ﷺ ولا نملك إلا أن نقول : والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

ألا فليهدأ بال الحيارى، فإن الله أكرمنا بقائد ملهم ماهر، ولتقر عين رسول الله ﷺ في برزخه الشريف، فإن من أحفاده ملكا عالما، وحاكما عادلا ووراءه شعب يستجيب ويطيع، يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

لقد كان جلالة الملك الحسن الثاني وزيرا لوالده المنعم، وشريكا له في جهاده، ولا أريد بالوزير هنا الاصطلاح السياسي، وإنما أريد به المعنى الذي جاء في كتاب الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام في قوله في دعائه :

﴿واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي، أشدد به أزري وأشركه في أمري، كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾.

إن الفضل في كل هذا يرجع بالإضافة إلى ما وهبه الله من نبوغ الفكر وعبقرية جبليّة، وقريحة سمحة، وحافظة قوية وبصيرة نيرة، وذوق سليم، وعذوبة المنطق، وحب التجديد والابتكار يرجع إلى والده العظيم مولانا محمد الخامس قدس الله روحه الذي علمّه فأحسن التعليم ورباه فأجاد التربية، ودرّبه على الفضيلة والمروءة، وعلى العفة والطهارة، وعلى الجود والكرامة، وعلى الحزم والسهر على حقوق الله.

فاللهم ارحم مولانا محمد الخامس على ما علّم وربى وأدّب وهذّب، وعلى أنه ترك لنا هذه الدرة الفريدة في عقد ملكنا الثمين. اللهم ارحمه على ما جاهد لتحرير هذه الأمة وإيقاظها من غفلتها، وإقالتها من عثرتها، وما تحمل من الشدائد وتجشم من الصعاب في سبيلها وسبيل مقوماتها.

إن المتتبع لحياة مغربنا السياسية والاجتماعية والملاحظ لنهضتنا المباركة، وتقدمنا المستمر، متيقن أن حسن قيادة جلالته ورجاحة عقله، ورباطة جأشه، وقوة صوده وصدق طويته، هي السر كل السر فيما نحققه من معجزات في شتى المناسبات، وما نتغلب عليه من صعاب ونتخطاه من عقبات. فقد حَوّلَ الظلام نورا، والخوف أمنا واطمئنانا واليأس ثقة وأملا.

إنه الملك الملهم الذي تربع على عرش القلوب كما تربع على عرش المغرب بالصدق والإخلاص والتضحية فاستحق أن يكون الزعيم الظافر، والقائد المسلم المنتصر، إذا دعا لُبِّيتْ دعوته، وإذا خاطب عانق خطابه القلوب والوجدان قبل أن تتلقاه الآذان.

إن عرش جلالته نجم علوي، يرف في سماء بلادنا سنا وسناء، وقلوبنا أبدا به خافقات تراه ذخرا ونورا ورجاء، فله منا ما امتد العمر، وطالت السنين، أكبر الحب والإخلاص والوفاء، فجلالته من سلالة الدوحة النبوية الشريفة، وقطب من أقطاب الدولة العلوية المنيفة، فهو شعار حياتنا وعنوان سعادتنا، بوجوده نستظل، وبه نعتز ونفتخر، ونسود وننتصر، ونظفر ونتحرر، ونحقق أحلامنا وأمانينا، ونسير في ركب التحرير ظافرين، وبرباط الوحدة مستمسكين منتصرين ولكل مظاهر النهضة والعمران بانين محققين.

على أننا في كل مناسبة سعيدة، وذكرى عظيمة وفي كل وقت وحين، نضرع إلى الله سبحانه وتعالى وجل وعلا أن يحفظه لنا، ويديم أفراحه علينا، ويَمِدّ في عمره لصالح الشعوب العربية والإسلامية والإنسانية جمعاء، ولصالح أمتنا وشعبنا حتى نضيف في عهده الزاهر أمجادا إلى أمجاد، ونعيش في ظله الوارف أعيادا في أعياد، ونكون بعون الله دوما في طليعة الشعوب التي لا تعرف سوى المسيرة إلى الأمام، بحب فيه وطيد، وعزم بهمته شديد.

وليقرّ الله سبحانه وتعالى عين جلالته وأعيننا بولي عهد مملكتنا السعيدة، صاحب السمو الملكي الأمير الأمجد سيدي محمد، وصنوه الأسعد مولاي رشيد الأرشد، وبكافة الأمراء الكرام دام عزهم وعلاهم.

هنيئا لمولانا بهذا العيد السعيد، وأدامه الله هلال كل عيد، تحفظه عناية الله، وتحرسه رعايته

ليبقى ذخرا لأمته الوفية، يصون أمجادها ويرعى نهضتها، ويقود خطواتها في سبيل التطور والازدهار وأعانه الله على المضي في مسيرته الموفقة، وأبقى شجرته العلوية وارفة الظلال، وسلسلته الذهبية موصولة الحلقات عبر القرون والأجيال. هذا العرش الذي إذا ذكر التاريخ في المغرب فهو الذي سطر روائعه وملاحمه بأحرف ذهبية ناصعة، وإذا ذكرت الديمقراطية في المغرب فهو الذي أرسى دعائمها على أسس متينة ثابتة، وإذا ذكرت الوطنية في المغرب فهو الذي حمل لواءها ومشعلها.

اللهم احفظ العرش العلوي المجيد، هذا العرش الذي جمع الله به شمل شعب، وصان به كيان دولة، وحفظ به دين أمة.

اللهم احفظ الآصرة الواصلة بين الملك والشعب واجعلها اللهم قوية لا تنحل ولا تنفصل، اللهم اجعل أمتنا متمسكة بكتابك المبين، وسنة رسولك ونبيك الأمين وثبت الإيمان في قلوبنا وقلوب المسلمين أجمعين، ولا تحرمنا من فضل الخشية ونعمة اليقين.

اللهم احفظ ديننا الذي هو حصننا الحصين، وملاذنا الركين، ومكّن في قلوبنا الاستمساك بكتاب الله العزيز وسنة نبيه، فما ضل من استمسك بهما ولاتاه من استنار بنورهما وسار على هديهما، مصداقا لقوله تعالى : ﴿**ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم**﴾.

(صدق الله العظيم).

مراكش - الدكتور ادريس العلوي العبدلاوي



عيد العرش

مكسب شرعي إسلامي

للأستاذ محمد العلوي الهاشمي
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالبيضاء

لقد كان العالم الإسلامي يعيش حياته انطلاقا من مبادئ دينه وعلى أسس عقيدته، فأسس المسلمون تاريخا خاصا بهم، وبنوا حضارة شامخة، أنارت العالم كله، وهي لا تزال قادرة على إنارته وهدايته، وإذا تركنا جانبا ـ الآن ـ ما رافق وعلق بهذا التاريخ من سلبيات من وجهة النظر الشرعي، فإن المسلمين بقوا محافظين على ذاتيتهم، وبقوا لمدة قرون يعيشون على مبادئهم وأسسهم ومعاييرهم المستقاة من الكتاب والسنة.

ولكن العالم الإسلامي ـ ولأسباب ـ عَدَتْ عليه عوادي الزمن ـ وتلك سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ـ ليكون عرضة لسيطرة غربية وهجمة غوغائية على يد الاستعمار، وهكذا استعمر العالم الإسلامي كله تقريبا من طرف قوى ظالمة وغاشمة.

وقد استطاع هذا الدخيل أن يحدث خلخلة كبيرة في البنيات المختلفة لحياة المسلمين، فلم يرحل هذا الاستعمار حتى غير كثيرا من معالم حياة المسلمين على كافة المستويات. ومن جملة المستويات التي مارس عليها الاستعمار تغييره نمط الحكم، فبعد أن كان المسلمون يؤسسون هذا النمط على ضوء ما قرره العلماء، وعلماء الأحكام السلطانية، استقاء من هدي الكتاب والسنة، وما عليه أهل السنة والجماعة، صاروا يؤسسون هذه الأنظمة على أنماط وأشكال جاء بها الاستعمار وعلمها، فألغيت الأعراف الإسلامية من هذا المجال، مما أعطانا في العالم الإسلامي صورا مختلفة من أنظمة الحكم هي أقرب إلى الأنظمة الغربية والشرقية منها إلى الإسلام.

ولكن قطرا مسلما حماه الله بفضله تعالى أولا، ثم بمحافظته على نظام البيعة في الحكم ووحدة العقيدة والمذهب، وذلك هو بلدنا المغرب.

فكلنا يعلم أن هذا البلد الأمين، ومنذ أن أنعم الله عليه بنعمة الإسلام وهو يسير في نظام حكمه

على ما قرره علماء الشرع، وأقصد بذلك تأمير أمير المؤمنين المتوفر على الشروط المقررة التي من عناصرها البيعة.

ولقد حاول الاستعمار - فعلا - أن يمارس لعبته هنا في المغرب، وفي هذا المجال، ولكن الله تعالى أبطل غلّه، وأفشل خطته، وذلك بفضل الله، وبسبب الإرادة المتعاضدة والمتماسكة والمتوافقة للراعي والرعية.

وهكذا بقي المغرب - والحمد لله - بلدا شبه وحيد في المحافظة على طريقة نظام الحكم المؤسسة على الشرع.

ولذلك فإن هذه المناسبة، مناسبة عيد العرش المجيد، التي هي في الواقع مناسبة تذكارية لعقد البيعة لأمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله وسدد خطاه، أو إن شئنا هي مناسبة شرعية نُحْيي من خلالها سنة من سنن المسلمين في بناء نظامهم السياسي، وخاصة في عناصره الأساسية والعليا.

ومن هنا نرى أن إحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها يمثل :

1) إحياء لتقليد إسلامي استطاع الاستعمار محوه وإزالته في معظم - إن لم نقل - في كل أقطار العالم الإسلامي.

2) إننا نحن أهل العلم أولى الناس بإحياء هذه الذكرى والاحتفاء بها، لما تمثله من تجسيد لمعلم من معالم الأمة الإسلامية في نظامها السياسي.

3) علينا أن نحمد الله تعالى أن هيأ لنا في المغرب، وأبقى لنا إمارة المؤمنين بشروطها المعروفة، في شخص أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني، وكلنا يعلم ما ورد في هذا الموضوع، ومن باب التذكير نذكر ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده وابن سعد في الطبقات، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال : «من مات ولا بيعة عليه، مات ميتة جاهلية».

وما رواه أبو داوود الطيالسي في مسنده عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، ومن نزع يدا من طاعة، جاء يوم القيامة لا حجة له».

وقد أخبرنا من يُوثَقُ به، أن إخوانا لنا من المسلمين في بعض الأقطار قدموا بيعتهم لأمير المؤمنين جلالة الملك السلطان، أولا : لمعرفتهم بما ورد في الموضوع من أحاديث وأحكام، وثانيا : لأنهم وجدوا أن أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني هو أمير استوفى ما ورد، وما قرر من شروط وأوصاف فبايعوه.

4) إنه علينا أن ندرك كل الإدراك، أن هذا مكسب عظيم، وفي هذا الوقت بالذات، وعلينا أن نحافظ عليه وأن نحرسه وأن ندافع عنه، لما في ذلك من ربح عظيم للإسلام والمسلمين.

روى الإمام أحمد عن أبي بكرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله عز وجل في الدنيا أهانه الله يوم القيامة».

وإننا لنرجو أن نكون بهذه الكلمة، وبهذه المناسبة، مناسبة عيد العرش المجيد، قد حققنا بعض التكريم لجلالة الملك أمير المؤمنين.

وإننا لنسأل الله تعالى أن يجعل هذه الذكرى الوطنية، ذكرى يدرك منها الجميع ما تعنيه وما تمثله من تقليد ورسم إسلامي شرعي، تعاهدت من خلاله الرعيّة أمام راعيها على الطاعة في مرضاة الله تعالى لنصرة الإسلام وحمايته وصيانة بيضته، والتعاون على جعل هذا البلد بلدا مؤمنا، وبلدا حصنا لدين الله، والتعاون على الوفاء بما عاهد عليه آباؤنا وأجدادنا الله سبحانه من رفع راية الإسلام في ربوع هذا الجزء من أجزاء العالم الإسلامي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها : **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾.**

كما نسأله تعالى أن يعين أمير المؤمنين مولانا الحسن الثاني على هذا العبء العظيم الذي أكرمه الله وشرفه به، ألا وهو إمارة المؤمنين في هذا الجزء من العالم الإسلامي، وأن يجعله ذخرا للإسلام والمسلمين، وأن يصلح ذريته وأولاده، وأن يجعلهم على دربه ودرب أسلافه الكرام، وخصوصا ولي عهده الكريم الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه الأمير السعيد مولاي رشيد.

البيضاء ـ محمد العلوي الهاشمي





أيُّها العَاهلُ المُفدّى تحَايا
لكَ في عيد عرشكَ الوضّــاء
كلُّ نفس تراكَ أسمى مُنـاهـا
تتملّى في بهجـة ورُوا ء
فـلكَ الفوزُ والعـنايةُ دومًا
ولكَ النّصرُ في مَزيدِ ارتقاء

قبسات من الفكر الحسني وإشعاعه

للدكتور حمداتي شبيهنا ماء العينين

لكل الأمم مناسبات تعتز بها، فينتظرون حلولها بلهف وشوق، لأنها تترجم صدق المشاعر حول التعلق بالآمال الباسمة للمتقبل فتعكس صورة ناصعة، تعرض أمام ذكريات الأجيال، ما خلد الآباء والأجداد من منجزات تبعث على الفخر والاعتزاز.

ومن خلال هذا المنظور الذي يمتزج فيه صدق العاطفة مع ثوابت التاريخ، ظلت المناسبات والذكريات تعد رموزا لأشياء ووقائع كثيرة، ترتبط بوجدان كل دولة وشعب، وتبعث فيه مزيدا من الحماس، وكثيرا من التشجيع، إذ من خلالها تقع محاسبة النفوس ومقارنة الحاضر بالمستقبل، مع وضع الارتسامات المشجعة لرسم خطط المستقبل الباسم، ومن خلال هذه المعطيات أصبح الاحتفال بالذكريات دليلا أساسيا على تقدم الدول وعراقتها في الحضارة، ورسوخ قدمها في القيم المثلى.

وبقدر تعلق الدول والشعوب بذكرياتهم الوطنية، ومناسباتهم السنوية بقدر ما يقرأ الخلف أمجاد السلف، وترسخ في أذهانه، أصالة بلده، فيشتد تعلقه بقيم وطنه، ويتحكم فيه التشبث بالمقدسات، والتغني بالتراث، واتخاذه نبراسا مشجعا للعمل على إدراك أبعد الآمال وأضخم المكاسب.

وانطلاقا من كل تلك الروافد وغيرها، أتى تخليدنا نحن الشعب المغربي لعيد العرش، مجسدا لكل آمالنا وتعلقنا بالمستقبل الأفضل، لما يستجلى فيه من خطط شاملة يوجه إليها خطاب العرش السامي، مع الاستعراض المستفيض لذلك السجل الحافل بالمجهود العظيم الذي لا يعرف التقاعس ولا التوقف، قصد إسعاد المواطن، وإنزال المجتمع بحبوحة الرخاء والأمن والازدهار. وقبل هذا التذكير بمسيرة نضالية ميزت العرش المغربي عن جميع مؤسسات الحكم في العالم عبر التاريخ، يأتي عيد العرش مذكرا بجهاد يثبت أن المسيرة كانت عظيمة، والتضحية جسيمة، والنتائج هائلة، تهم جميع أساليب الحياة ومتطلباتها، من تحرير الأرض والإنسان وبنائهما حضاريا وعمرانيا وفكريا، إلى توحيد الوطن، والإسهام الفعال في توجيه مجرى السياسة

العالمية بحنكة وذكاء وخبرة ودهاء، جنى المغرب من خلالها، أكثر من إمكانياته.

ومن هنا تجلت مناسبة الاحتفال بعيد العرش، عيد اعتلاء أمير المومنين عرش أسلافه على نمط أكبر من الكلام، وأعظم من الإحاطة، وأقدس من كل شيء، فسجل منجزات الملك الحسن يشكل نسيجا من العطاءات الفكرية، والاقتصادية والعمرانية، والثقافية، والنضالية تترجم حضارة أمة، وبناء شعب، وتحدي كل رواسب الجهل والفقر والتخلف. فلقد وجد جلالته شعبه يخطو في طريق البناء والإصلاح والتوحيد، وهو لم يمر على استقلاله سوى ما يناهز خمس سنوات، اجتهد فيها أبو الحرية جلالة المغفور له محمد الخامس، وكافح ووجه وخطط، لكن المخلفات التي كان ينوء بها كاهل الأمة من الضخامة بحيث لا يمكن أن تقتلعها المدة الوجيزة، التي مرت على الاستقلال السياسي الذي هو كل ما أدرك المغرب آنذاك. وبقدر ما كان الطموح جسيما، والهمم كبيرة وتواقة، فإن المعوقات كانت كثيرة ومتنوعة، فبالنظر إلى ضخامتها كاد القنوط يتسرب إلى النفوس، لولا الأمل العظيم المعقود على الملك الشاب المخلص ذي المواهب والمدارك المتنوعة. لقد بقي هذا الأمل مبددا لكل ما يقتم سماء المستقبل من مخاوف، يكرسها تواجد القواعد الأجنبية في كثير من المدن المغربية، والاحتلال السافر الجاثم على أكثر من نقطة، إذ لابد من إجراءات كفيلة بإجلاء قوات العدو الذي كان يحتل بلادنا، إضافة إلى وضع خطط استعجالية لإنماء وطن عالي الهمم، ولكنه لا يملك لتحقيقها سوى العزائم، والإرادات الطيبة.

فالاستعمار - وكما نعلم جميعا - خرج عن بلادنا، وهي تفتقر لكل شيء، المدرسة، المستشفى، الطريق، المطار البنايات، استكمال الوحدة، وحتى الماء، كل الضروريات، خرج المستعمر عن بلادنا، وهي في أشد الحاجة إليها. إضافة إلى الأطر الوطنية.

وقد قلنا في مقال سابق، أن الكل كان ينتظر ترتيب تلك الحاجيات الكثيرة تحت أولويات يتمكن من تحقيقها بالترتيب الواحدة تلو الأخرى، برغم ما يستغرق ذلك من وقت، وما ينجم عن انتظار المتطلبات الضرورية من مشاكل، وأمام محدودية الموارد، وتعقيد الأوضاع الدولية المحيطة بنا في فترة تميزت بالتقلبات والمواجهات والتآمر، استطاع الملك العظيم أن يتواكب تجهيز الأرض وتكوين الإنسان، واسترجاع الأطراف، والقيام بالواجب داخل المحيط الدولي، ليصبح بفضل حكمته وحنكته عطاء المغرب أكبر حجما من عمر استقلاله، وحتى أصبح ما كان منتظرا إدراكه في نهاية القرن، يعد من منجزات السبعينات وفي نظر كل المحللين، فإن الأمر لا يخلو من خوارق ليست في متناول الجميع، ذللتها عبقرية صاحبها الإلهام والتوفيق.

هذه حقائق تبهر عظمة نتائجها ويفخر شعبنا بقائده، الذي مكنه من تحقيقها، ولكن يبقى أعظم منها تلك الحكمة، التي طبعت تصرفات حكيم القرن العشرين، فجلالة الحسن الثاني تتجلى حكمته وبعد نظره، وتحليه بالقيم الحضارية العالية، عندما تدلهم الأمور وتتعقد الأشياء، ويحين الانفجار، هنا

تبرز رزانته، وتتفتق عبقريته، وتلوح بارقة الأمل في أبعاد أفقه، عرفنا هاته المميزات فيه وعرفها غيرنا كما أدركناها نحن، فكم من مرة، يساق هذا الجناح من الأمة العربية الإسلامية، إلى فخ الانزلاق في متاهة المواجهات الدامية المحطمة للأنفس والأموال والقيم والآمال، ولم يبق بيننا وبين ساعة انطلاق مسيرة الدمار والمواجهة، إلا تلك اللحظة التي تتوقف في كل دول العالم على إعطاء الأوامر النهائية من القائد، بعد استكمال كل الاجراءات، وكم شعر الكثيرون من أبناء هذا الوطن، المعروف بحبه للسلم مع تشبثه بالحقوق، كم شعر الكثيرون منا بالدهشة عندما نجد ملكنا الهمام الشجاع وقد نزع فتيل الحرب، بوضع خطة للإنماء والازدهار لمنطقة المغرب العربي، صائغا من خلالها مبررات اختيار الحوار، والتروي حتى تنضج أفكار الجميع، ويدركوا بعد نظره، وسلامة نيته، وصرامة عزمه على أن يدفع السيئة بالحسنة، حتى يصبح العدو وليا حميما، لا أظن أني في حاجة إلى ضرب أمثلة حية، لتوضيح هذا الواقع الذي طبع سياسة جلالة الملك الهمام الحسن الثاني منذ اعتلائه عرش أسلافه المنعمين، ونحن نشاهد نفس المبادئ تتكرر، والمناسبات تتعاقب لترجمتها لكل أبناء البشرية.

وفي كل سنة، تبرزُ معلمة من بين المنجزات الضخمة التي تعتبر مأثرة السنة، ونبراسها الوهاج ضمن لائحة المنجزات، العظيمة والشاملة، فيغني الحديث عنها عن استعراض غيرها وهذه السنة بالذات، تميزت بتكوين المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان.

ولتوضيح أُهميته كإنجاز وطني وديمقراطي رائع، نتعرض إليه من خلال ما يلي :

1 ـ تحليل للخطاب المؤسس.

2 ـ المعالم البارزة في ظهير تأسيسه.

3 ـ اختصاصاته.

4 ـ الدور الذي يلعبه لتنمية الحرية والديمقراطية ببلادنا.

التوجيهات المولوية من خلال خطاب تأسيس المجلس:

امتاز هذا الخطاب بالموضوعية والشمولية، والاكتفاء بتحليل موضوعه دون مقدمات، ولا جمل اعتراضية.

فمن حيث الحرية، ذكر بطبيعة حياة المغاربة من عهد المولى إدريس حتى اليوم، إذا أوضح أن المغاربة من ذلك التاريخ ونفوسهم تواقة إلى أن يحتلوا المكانة المرموقة في مصاف الدول الراقية، في ضوء هدي الكتاب والسنة، وهذه تذكرة بالمبادئ الثابتة والمقدسة، إذ كل مستجد في حركة مسار الدولة الدائم، لا يمكن العمل به وقبوله، إلا إذا كان منسجما مع كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، ومن خلال هذا المبدأ، بقي المغرب محافظا على هويته، متميزا بحسن إسلامه، ووحدة مذهبه، مما كفل التعاون المستمر والمثمر لأبنائه.

وفي نفس الخطاب، أشار جلالته إلى أن الجلسة المنعقدة 8 مايو 1990، والتي ألقى فيها هذا الخطاب، ليست جلسة لخلق دولة القانون، ولكنها لاستكمال دولة القانون، بمعنى أن المغرب لم يكن يعمل في فراغ قانوني، بل يرجع تنظيم مؤسساته

إلى مدد موغلة في القدم، فخلال مدة الحماية سنت البلاد جملة من القوانين العصرية تتسم بالدقة وحسن التنظيم والحداثة التي يتطلبها العصر، ومع ذلك فإنها مأخوذة في جلها من نصوص الشريعة الإسلامية.

وعندما انتزع المغرب استقلاله بفضل جهاد الملك والشعب، انصرفت الجهود، لتشييد دولة المؤسسات الديمقراطية، وما لبثت تلك الجهود إلا مدة وجيزة، حتى جعل الملك العبقري بلاده من أول دول العالم الثالث تتمتع بدستور عصري مرن ، ،اق وطموح، ضمن فصل السلط، وحرية التعبير، والتنقل، والتكسب، والمسكن، والطموح، والاختيار في ظل تعددية وطنية، يعمل فيها الكل لإسعاد الوطن، كل حسب مواهبه وميولاته واختياراته، لكن بوطنية صادقة ونية حسنة.

أما الشطر الثاني من خطاب 8 مايو 1990، فقد خصصه حفظه الله للنص على تكوين المجلس وطبيعة تركيبه، ومهمته، والأسباب التي دعت إلى تكوينه، ثم بين حفظه الله المقدسات، التي يجب أن تصان حرمتها، وترعى قداستها، وتحفظ هيبتها، تلك المقدسات التي تتلخص في أن الإسلام دين المغرب، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يقبل أي عمل من شأنه أن يمس من هذا الأصل الذي به قوتنا، ومنه كياننا، وعليه مسيرتنا، ولرعايته ونشره جهادنا، أما الأصل الثاني، فهو وحدة الوطن من طنجة إلى لكويرة، فكل من حاول المس بهذا المبدأ، سيجد نفسه محاربا ومواجها من طرف جميع المغاربة، أريقت دماؤهم حفاظا عليه، ومضى السلف وهو مدافع عليه، وها هو الخلف يكافح ويجاهد في سبيل الحفاظ عليه، فكل محاولة للنيل من تلك الوحدة، فهي هدم لكياننا ونسف لحضارتنا، واقتلاع، لجذورنا. والأصل الثالث،وهو الملكية الدستورية، فهي جزء من إيماننا، ورمز لوحدتنا، وملهم لابتكارتنا، وموجه لطموحاتنا، وقيادة حكيمة لكل نضالاتنا. فمن أراد المس بهذه الأصول الثلاثة، فهو الذي وصفه الخطاب المولوي السامي المشار إليه، بقوله : «فإن من مس بأحد هذه المقدسات، لا يمكن أن يعتبر عمله إنسانيا، بل قام بعمل تخريبي، وجريمة نكراء».

وهذا الشعار الخالد تحميه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، فالله قال : ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه**﴾ وقال الرسول ﷺ : «من مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية». والأحاديث كثيرة في هذا المعنى «وحب الوطن من الإيمان». وقد قاتل النبي ﷺ الكفار والمشركين من أجل خلق الدولة الإسلامية الموحدة، وقاتل الخلفاء والصحابة بعده من أجل توسيع رقعتها، والحفاظ على وحدتها. وما حرب أبي بكر لأهل الردة، إلا عمل من أجل الحفاظ على وحدة دولة الإسلام، فكل من رام المس بهذه المقدسات، فلا يمكن أن يحسب إلا مجرما مخربا، لا يمكن أن يدخل في لائحة من يدافع عليهم من خلال حقوق الإنسان.

أما الظهير المؤسس للمجلس الاستشاري لحقوق الإنسان، فقد اشتمل على ديباجة تعتبر مذكرة إيضاحية مصاغة صياغة ممتازة، بينت أن

المغرب دائما دولة قانون، تشهد على ذلك المحاكم القضائية لكل الاختصاصات المنتشرة في جميع ربوع البلاد، علما بأن المغرب، ظل يرعى حقوق الإنسان من خلال نصوص الكتاب والسنة وآراء الفقهاء، وتقاليد المغرب وأعرافه المستمدة من صلب اختيارات الشريعة الغراء، ثم تتابعت مواد الظهير بعد ذلك، وهي تسعة، تهم ما يلي :

المادة الأولى : تجعل المجلس يباشر أعماله بجانب صاحب الجلالة، ليساعد جلالته في جميع القضايا التي تهم حقوق الإنسان، وفي هذا أجل قيمة لهذا المجلس، الذي جعلت مهمته تابعة مباشرة للجناب الشريف، وبذلك يحظى باستقلال كامل عن كل المرافق والوزارات، فتزداد أهميته، وترفع مكانته، ويضمن استقلاله.

أما **المادة الثانية :** فتجعل رئاسة المجلس لرئيس المجلس الأعلى للقضاء بصفته أسمى مؤسسة قضائية في الدولة، وتعين تبعا لذلك، الأعضاء الذين يتم تعيينهم بواسطة مناصبهم، بقطع النظر عن شخصياتهم. بما فيهم أربعة من الوزراء، وهم العدل، والشؤون الخارجية والتعاون، والداخلية، الأوقاف والشؤون الإسلامية. ومن طبيعة اختصاصاتهم، يبرز تداخل مهامهم بصفة دائمة بحقوق الإنسان.

ثم نصت على ممثل عن كل هيئة سياسية، ونقابية، والجمعيات المهتمة بحقوق الإنسان، والنقابات، والمحامين، والقضاة، والأساتذة الجامعيين، والأطباء. وشخصيات يراعى في اختيارهم ما يتمتعون به من كفاءة في مجال حقوق الإنسان، وما يتحلون به من نزاهة واستقامة.

وبهذا يكون المجلس يتكون من ثلاث فئات، الأولى : تهم النشاط العام للدولة، والثانية : تعنى بالشرائح الاجتماعية والسياسية والقانونية، والثالثة : تراعي الكفاءة والاستقامة والنزاهة، ليكمل بذلك تمثيل مختلف طبقات الشعب في هذا المجلس، الذي ركب من أجل العمل على صيانة حقوق الإنسان.

أما **المادة الثالثة :** فتحدد مسطرة تعيين أعضاء المجلس، ومدة ممارستهم لمهامهم.

وتنص المادة الرابعة : على أن المجلس يسير أعماله أمينٌ عامٌ.

أما بقية المواد : فقد اهتمت بكيفية عقد الجلسات، ونشر المداولات، والعلاقات مع الجهات القضائية، والمجموعات التي يمكن أن تنبثق عن المجلس بتعليمات سامية، وغير ذلك من الإجراءات التنظيمية.

إن هذا المجلس، أعطى بعدا حضاريا وقانونيا للديمقراطية الحسنية، التي تنعم بها بلادنا في ظل تطور متنام، واستقرار ملموس ولله الحمد، مما لا شك أن أعداءنا يحسدوننا عليه، ويسيل لعابهم على الوصول إلى مثله.

فإذا ما قام أعضاء المجلس بواجبهم الذي حلله خطاب جلالة الملك في حفل تأسيس المجلس، وحسب الاختصاصات التي خولها لهم الظهير، فإنه لم يبق مسجون بدون مبرر، ولم يختلط بعد الآن على الناس في الداخل والخارج سجين القانون المذنب، الذي لم تستطع الإنسانية في مختلف جهات

المعمور إفراغ سجونها منه، مع أولئك الذين تعتدي عليهم بعض الجهات، وفي كثير من جهات العالم، فتعرضهم لسجون، إما تكون شططا بالنسبة لذنبهم، وإما لا تلائم طبيعة تصرفاتهم.

إن هذا المكسب الذي توج به أمير المؤمنين أعماله الجسيمة لصالح الإنسانية خلال هذه السنة، سنة مرور ثلاثين سنة على اعتلائه عرش أسلافه المنعمين، يستحق التنويه والتقدير والإعجاب، وأيضا لقد حمّل جلالته أعضاء المجلس، وبالمناشدة من أمير المومنين، كل مسؤولية تهم حقوق الإنسان في هذا البلد، فكل كَبْتٍ للحرية أوحد منها، أو تصرف خارج دائرة سلطة القانون، أصبحوا مطالبين بلفت الانتباه إليه، ورفع رأيهم في شأنه لأمير المومنين الأب الرحيم، والموجه الكفء، الملك العادل، سبط الرسول الأعظم، الذي حبا الله به هذا البلد في هاته الفترة، التي أصبح فيها الزمان عقيما من أمثاله، فهو الذي ينطبق عليه قول الشاعر :

«حلف الزمان لَيَاتِيَنَّ بمثله
حَنِثَتْ يَمِينُكَ يا زمان فَكَفِّرِ»

فاللهم أدم جلالته لصالح الأعمال، ولجسيم المنجزات، ينزل شعبه هامة المجد، ويمد الإنسانية بصائب الرأي، وغزير العلم، وحكيم التفكير، مقرور العين بولي عهده، وسائر أفراد أسرته، إنك حميد مجيد.

الرباط ـ د. حمداتي شبيهنا ماء العينين



ثلاثون سنة من
الجهاد الأكبر
لرائد التحديات وصانع المسيرات
جلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله

للأستاذ مقدم بوزيان
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالناظور

عندما يتعلق الأمر بالحديث عن عظماء التاريخ، وجلالة الملك الحسن الثاني في قمة هؤلاء العباقرة العظماء الخالدين، الذين تغنى بهم التاريخ، فإن أول شيء يتبادر إلى الذهن بادئ ذي بدء - وقبل سرد بعض مواقفهم ومنجزاتهم - تلك الحقيقة التاريخية الهامة التي يقرها المنطق والتي أكدها الإسلام وهي أن للعظماء عمرين اثنين : عمرا واقعيا وحقيقيا ومعاشا، وعمرا مجازيا ومعنويا يبقى خالدا في ذاكرة التاريخ.

فانطلاقا من هذه الحقيقة الدينية والمنطقية التي تمنح عظماء التاريخ عمرين اثنين كما أسلفنا، وانطلاقا أيضا من هذه المناسبة العظيمة، مناسبة الذكرى الثلاثين لعيد العرش المجيد، عيد الولاء والوفاء لأمير المومنين، رمز السيادة والوحدة الوطنية، وعيد ذكرى جلوس جلالته على عرش أسلافه المنعمين، الذين استجابوا لنداء الله والوطن، وخاضوا المعامع والمعارك في كل ميدان، فلم تنكس لهم راية، ولم ينهزم لهم جيش، أرى أن أقل شيء أشارك به سيدنا المنصور بالله في ذكراه الخالدة هذه، عقب مشاركتي العاطفية والوجدانية التي لا حدود لها، هو الحديث قدر الإمكان، عن منجزات جلالته في إطار الجهاد الأكبر طيلة ثلاثين سنة، منذ أن تقلد مسؤولية العرش وفاءً والتزاماً بأداء الأمانة خير أداء، هذا الجهاد الذي يتطلبه ميثاق البيعة، المتجسم في الآية الكريمة : **﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله﴾**.

نعم، إن الذي يتتبع ويستقرئ حياة أمير المومنين منذ أن شب إلى الآن، ليدرك بعمق أنه فعلا من عظماء التاريخ الذين مُنِحُوا عمرا مزدوجا،

سواء تعلق الأمر بحياته وأعماله وتضحياته إبان الحركة الوطنية بجانب والده الكريم، وهو المُعبَّر عنه بالجهاد الأصغر اقتباساً من المأثور عن جده المصطفى ﷺ وذلك قبل أن يتقلد جلالته مسؤولية العرش، أو تعلق الأمر بمنجزاته بعد وفاة والده المنعم، وبعد أن تقلد مسؤولية العرش سنة إحدى وستين وتسعمائة وألف،وهو المُعَبَّر عنه بالجهاد الأكبر.

والحديث في هذا وذاك، حديث طويل وطويل جدا، وقد سجله التاريخ بمداد الفخر والاعتزاز في صفحات الأعمال الخالدة، لتنضاف إلى المعجزة المغربية.

وحسبنا هنا، ونحن نعيش صدى عيد العرش المجيد، أن نلم ولو إلمامة خفيفة ببعض المواقف التي تخلد الأعمال الكبيرة لجلالة الحسن الثاني حفظه الله، والتي هي حصيلة جهاد ثلاثين سنة من 1961 إلى 1991.

ذلك أن أهم ميزة يتميز به عهد جلالته من الستينات إلى الوقت الحاضر، هو أنه عهد البناء والتشييد والمنجزات، بعد عهد التأسيس الذي قاده والده المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه وهو بجانبه يتدرب على تحمل المسؤولية.

ومن المعلوم تاريخيا في إطار السياسة العمرانية لدولة ما، هو أن عهد البناء يعتبر أشق وأصعب مرحلة من مراحل عمر الدولة في علم التاريخ والاجتماع؛ وهنا يكمن بيت القصيد بخصوص عبء المسؤولية الملقاة على كاهل جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره. فكلنا نعلم أن الأجل المحتوم لم يمهل المغفور له محمداً الخامس طيب الله ثراه حتى يتمم وينفذ ما كان قد خططه وصممه من أسس البناء والعمران، سياسيا ووطنيا وديموقراطيا واقتصاديا وروحيا، بل إن يد المنون اختطفته بغتة، فبكاه الشعب بكاء مرا، ثم وجد عزاءه الأكبر في وارث سره جلالة الملك الحسن الثاني، الذي حل محل والده، ليواصل البناء، وينفذ المخطط، فكان خير خلف لخير سلف (وكان الشبل من ذلك الأسد)، فكان عهده عهد بناء وعمران في مختلف المجالات الدينية والسياسية والوطنية والديموقراطية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والعلمية، ويمكن إجمال ذلك في ميدانين رئيسيين هما : الميدان الروحي والإنساني، والميدان المادي والاجتماعي.

ففي الميدان الروحي : حافظ جلالته لشعبه على شخصيته الإسلامية، ومقوماته الحضارية العربية، وأصالته العريقة، فأنشأ جلالته مؤسسات للمحافظة على كتاب الله وسنة رسوله. ويتمثل ذلك في التعليم الأولي، والتعليم الأصيل، ودار الحديث الحسنية، وإحياء التراث الإسلامي، والمحافظة على وحدة المذهب، وإنشاء المجالس العلمية، وإحياء الكراسي العلمية والجامعية، وبناء المساجد وفي قمتها المعلمة الإسلامية مسجد الحسن الثاني في الدار البيضاء، وتعميم التوعية الدينية التي يأمر بها كتاب الله وسنة رسوله.

كل هذا، من أجل المحافظة على القيم والمثل والأخلاق الإسلامية الفاضلة، والهوية المغربية

الأصيلة النابعة من نظام ملكي دستوري ديموقراطي، متفتح على الحضارة الإنسانية الحديثة، والتطور التكنولوجي المعاصر.

كما أن جهاد جلالته في هذا المجال الروحي المثالي، جعله ينهض نهضة صحيحة في وجه الأطماع الأجنبية بخصوص وحدتنا الترابية والوطنية، علما من جلالته أن الوطن سياج لحفظ العقيدة والأصالة.

فكانت المسيرة الخضراء لاسترجاع الصحراء، وكانت المسيرات القرآنية، وكانت المسيرة الديموقراطية لإرساء أسس الشورى النيابية، والعدالة الاجتماعية، وتأسيس المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان لصيانة كرامة الفرد المغربي في ظل القانون وتعاليم الإسلام، وكان المجلس الوطني للشباب والمستقبل الذي يهتم بإسعاد رعاياه من شباب هذه الأمة.

وفي مجال جهاد جلالته أيضا، حاول دائما أن يجمع شمل الأمة العربية والإسلامية، وذلك بعقد عدة مؤتمرات للقمم العربية والإسلامية على أرض المغرب تحت رئاسة جلالته، وكذلك دعا إلى ذلك خارج الوطن المغربي، كما أن جلالته قد وفقه الله إلى تحقيق ذلك الحلم الذي طالما راود شعوب المغرب العربي الكبير، ألا وهو (اتحاد المغرب العربي).

أما في الميدان المادي والاجتماعي : فإن عمل جلالته من أجل الازدهار الاقتصادي، يتمثل في الدرجة الأولى في بناء السدود للنهوض بالفلاحة والزراعة، وفي التصنيع والحركة التجارية داخليا وخارجيا.

ومن أجل جهاد جلالته في مختلف هذه المجالات العمرانية والحضارية، ومن أجل تضحياته لإسعاد رعاياه الأوفياء، ومن أجل محافظة جلالته على المقدسات الدينية والوطنية، ومن أجل صيانته لعهد البيعة الذي يعني الحفاظ على الدين ورعاية مصالح الرعية... من أجل جهاد جلالته الأكبر هذا طيلة ثلاثين سنة، وفاء بالأمانة، والتزاما بالمسؤولية، نرى أن الشعب المغربي المتمثل في رعايا جلالته، يكن له كل حب وتقدير، وولاء واحترام، وطاعة وامتثال، امتثالا لأمر الله عز وجل في قوله سبحانه : ﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾.

لذا، فاحتفالنا بهذه الذكرى العزيزة، هو احتفال بالنضال والنصر، واحتفال بالقيم والأصالة، واحتفال بالحرية والديموقراطية، واحتفال بالظفر والثورة ضد كل أشكال التخلف، التي قادها سيدنا المنصور بالله في ظرف ثلاثين سنة، التي كانت حافلة بجلائل الأعمال، وصور التحدي الشامخ، والنضال والصمود، والمآثر والانتصارات، الشيء الذي جعل مغربنا الحبيب في شخص أمير المومنين، يحتل وزنه اللائق، ومكانته الرفيعة المرموقة، في مجال القيم والمثل العليا والأخوة الدولية.

وبفضل هذا الجهاد الأكبر الذي أعلنه قائدنا الملهم، وعلمه لشعبه الوفي، اقتداء بجده المصطفى ﷺ، أصبح مغربنا والحمد لله شامخ الرأس، موطد الأركان، عالي البنيان، لا تؤثر فيه الزوابع ولا معاول الأعداء، وأصبح فخورا باستقلاله وبجهاده المقدس في معركة البناء والتشييد، وفي

معركة التنمية والازدهار، ومقومات الحضارة الإنسانية والمعالم الإسلامية، التي تشيد هنا وهناك داخل المغرب وخارجه.

جعل الله أيام مغربنا كلها أعيادا خالدة، ومواسم باسمة ناضرة، سائلا الله العلي القدير أن يطيل عمر مولانا الإمام، ويديم له النصر والتأييد، ويقر عينه بولي عهده الأمير المحبوب سيدي محمد، وصنوه السعيد المولى الرشيد، وباقي أفراد الأسرة الملكية الشريفة، إنه على ذلك قدير، وبالإجابة جدير.

الناظور - مقدم بوزيان

وعرش بلادك - شعبي العزيز - شانه وشان تاجها سيان لا يختلفان، فهذا العرش العريق الثابت على تبدل الظروف والأزمان، لا يحمله غير القلوب، ولا يحرص عليه ويحميه بعد الله سوى ما يكتنز في رحاب وجدان الأمة المغربية من أعماق المحبة، وذخائر الوفاء والولاء، وإذا كانت البلاد تستمد مآثرها وأمجادها من عرشها الذي أضاء وما زال يضيء بحمد الله فصول تاريخها، فإن هذا العرش قوي مكين بما أمده الله به من قوة، وبما أودعه الله وغرسه في قلوب الشعب من حب مقصور على العرش لا يتناقص ولا يتضاءل.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.
الذي ألقاه يوم الإثنين 21 جمادى الثانية 1406هـ / موافق 3 مارس 1986م
بمدينة مراكش.
بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين لعيد العرش المجيد.

في التاريخ الدولي للمغرب:

رسالة هامة من السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة

في بداية القرن الثاني عشر الهجري - (أواخر القرن السابع عشر الميلادي)

للدكتور عبد الهادي التازي
مدير المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط
عضو أكاديمية المملكة المغربية.

بالرغم مما يواخذ به المغرب من تفريطه أحيانا في سجلات تراثه القديم، فإن الخزانة المغربية تحتضن عددا من الوثائق الهامة التي تترجم عمّا كان يتمتع به هذا المغرب من مركز دولي مرموق منذ أن تقلّد رسالته التاريخية...

وإنه بالإشارة إلى ما أوردنا بعضه في موسوعتنا للتاريخ الدبلوماسي للمغرب، نذكر أننا في بداية المجلد التاسع الذي يؤرخ للدولة العلوية الحاكمة وجدنا أنفسنا أمام منجم - إذا صح التعبير - منجم ثري مهم اضطررنا معه لفتح آفاق أخرى أمام القارئ نلتقي معه فيها مع عدد كبير من «الملاحق» التي نجعلها تذييلا للموسوعة...

وهكذا فإلى جانب رسالة حملها السيد الحاج علي الذيب تتحدث عن الصلات المشرقية المغربية أيام السلطان مولاي الرشيد، وتتحدث كذلك عن الأمير زيد المرحوم بكرم الله... إلى جانب ذلك، نجد عددا من الملاحق اخترنا منها هذه الرسالة الهامة التي بعث بها السلطان مولاي إسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة في بداية القرن الثاني عشر الهجري أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وهي تؤكد على نحو عدد من الوثائق المشابهة، أن المملكة المغربية ظلّت غير معترفة بالوجود التركي في الإيالات الإسلامية التي استولت عليها...

ولابد أن نشير في البداية إلى الظروف التي كانت وراء إرسال هذا الخطاب... فإننا نعلم أن حكم مكة والمدينة كان بيد من كانوا يعرفون تحت اسم

«أشراف الحجاز» الذين كثروا جدًا وكثرت نتيجة لذلك مشاكلهم ومتاعبهم !

لقد تولى شرافة مكة عام 651 = 1253 رجل يعد من مشاهير الأشراف وصلحائهم هو أبو نمي الأول الذي طالت مدة شرافته نحو خمسين عاما بعد أن خلف ثلاثين ولدا كلهم كان يطمح للشرافة، الأمر الذي نرى آثاره في الصراع الذي كان يلهبه أيضا وقوف مصر إلى جانب دون الآخر الذي تسنده بغداد مثلا، وهو ما وصلتنا نحن في المغرب أصداؤه وآثاره عندما وفد على السلطان أبي يعقوب يوسف ثاني ملوك بني مرين، بعض أولئك الأشراف، وعلى رأسهم لبيدة بن أبي نمي يطلبون عون بلادنا بل ويقدمون بيعتهم للعاهل المغربي على ما ذكرناه في المجلد السابع من «التاريخ الدبلوماسي للمغرب»...

وفي عام 931 = 1525 تولى شرافة مكة أبو نمي الثاني الذي نال حظوة كبيرة لدى السلطان العثماني سليمان القانوني، وقد دامت شرافته بمكة مدة تزيد على الستين عاما... ويعتبر أبو نمي هذا المؤسس الحقيقي للشرافة وهو جد الأسرة التي ظلت مُحتفظة بالشرافة إلى أن استولى آل سعود على الحكم...

ومن المهم أن نعرف أن النزاع بين الصفويين (الفرس) وبين العثمانيين (الأتراك) الذي حدث في العراق منذ القرن العاشر الهجري كان له أثره في الحجاز، ففي موسم الحج من عام (1042 = 1632) ورد إلى مكة أمر من السلطان العثماني في اسطانبول يمنع العجم (الفرس) من الحج والزيارة !

وكان الذي يتولى شرافة مكة في ذلك الحين زيد بن محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي الثاني الذي أعلن تحوله من المذهب الزيدي إلى المذهب السني : لمذهب الإمام أبي حنيفة، وقد انتشرت بين سكان مكة إشاعات ضد الفرس والشيعة وصدق بعض الناس تلك الشائعات كما هي العادة عند استفحال التعصب الطائفي لديهم وتعرضت البلاد لسلسلة من القلاقل والفتن...

وفي خضم تلك الظلامات والاضطرابات كنا نشهد عددا من الانقلابات والثورات التي تذهب ببعض الأمراء وتفضي بهم إلى الهجرة ومغادرة الأوطان حيث يتجرعون مرارة الغربة والحرمان وذلة الإيواء عند الآخرين...

وقد كان من أولئك الذي تعرضوا للامتحان الشريف سعد بن زيد بن محسن... (1052 ـ 1116 ـ 1642 ـ 1705).

وقد ولد هذا الشريف في مكة ووليها بعد وفاة أبيه سنة 1077 = 1666 ـ 1667، وكان أشرك معه في الإمارة أخاه أحمد سنة 1080 = 1683 ـ 1684، ولم يلبث أن شبت بين الأخوين وبين الأشراف الآخرين فتن على نحو ما اعتاد الأشراف عليه ! وفي هذه الأثناء بلغهما أن أمراء الحج ينوون القبض عليهما في منى...

وهنا قصد الأميران بلاد الروم (تركيا) سنة 1082 = 1671 ـ 1672، ووليا هناك أعمالا، ثم تمكن أحمد بن زيد سنة 1095 ـ 1683 ـ 1684، من العودة إلى مكة قبل أخيه سعد فولي إمارتها إلى أن

وفي عام 1099 = 1688 فاستولى على الحكم ابن عمه الشريف أحمد بن غالب بن محمود بن مسعود بن الحسن بن أبي نمي في نفس السنــــة، ولم يلبث أن وقع بينه وبين الأشراف من أبناء زيد بن محسن خلاف، انتهى بتغلب هؤلاء عليه فاعتزل الإمارة سنة 1101 = 1689 ـ 1690، وهاجر إلى اليمن ثم إلى بلاد الروم...

تلك نظرة خاطفة عن الجو المحموم الذي كانت تعيشه تلك البقاع المقدسة التي هي مهوى الأفئدة : أفئدة المسلمين والمؤمنين في كل مكان...

وإذا ما أضفنا إلى هذه اللقطات المقلقة، والمنافسات والمواجهات الملتهبة بين الأشراف وما يقوم به الأتراك الذين يخلو لهم الجو نتيجة لتلك الاصطدامات، فيستغلون مواسم الحج لاستنزاف المؤمنين واستغلالهم والتضييق بهم مما ورد وصفه عند الوزير المغربي الإسحاقي الذي رافق ركب الأميرة خناثة بنت بكار زوجة السلطان مولاي اسماعيل عام 1143 = 1731.

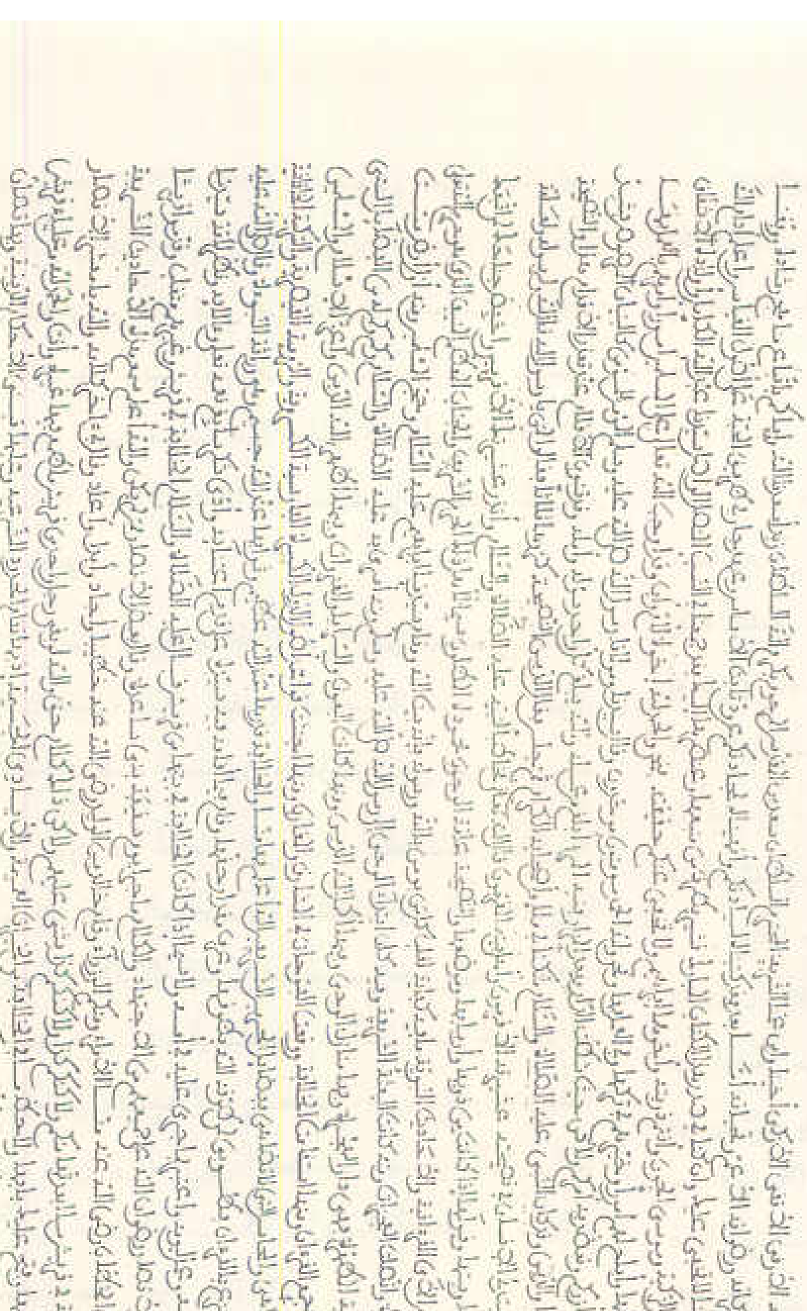
فقد تحدث الإسحاقي عن امتهان الولاة الأتراك للحجاج وإذلالهم عند ورودهم وصدورهم، والاستحواذ على أموالهم وأمتعتهم وقبض الخراج منهم عن يد وهم صاغرون ! قال : وقد شاهدناهم وكلّوا على مماكسة الحجاج على أحمالهم يهوديا من اليهود..! وقبض من الناس مرتين.. وربما احتاج - لعنه الله - إلى كشف بعض الخيام بل إلى الحرم لاستخراج ما عسى أن يكون قد غاب من الأحمال التي يثبت أعدادها في ديوان المكوس...

ويكفيهم مهانة وقلة ديانة - يقول الإسحاقي - اتخاذهم بيت الله الحرام سببا للمعيشة الحرام بما يتساقطون عليه ويتهافتون عليه عند ولاتهم وأكابر مجرميهم من طلب التولية على الأعمال المكسية التي يزعمون أنها قوام كسوة الكعبة المرضية».

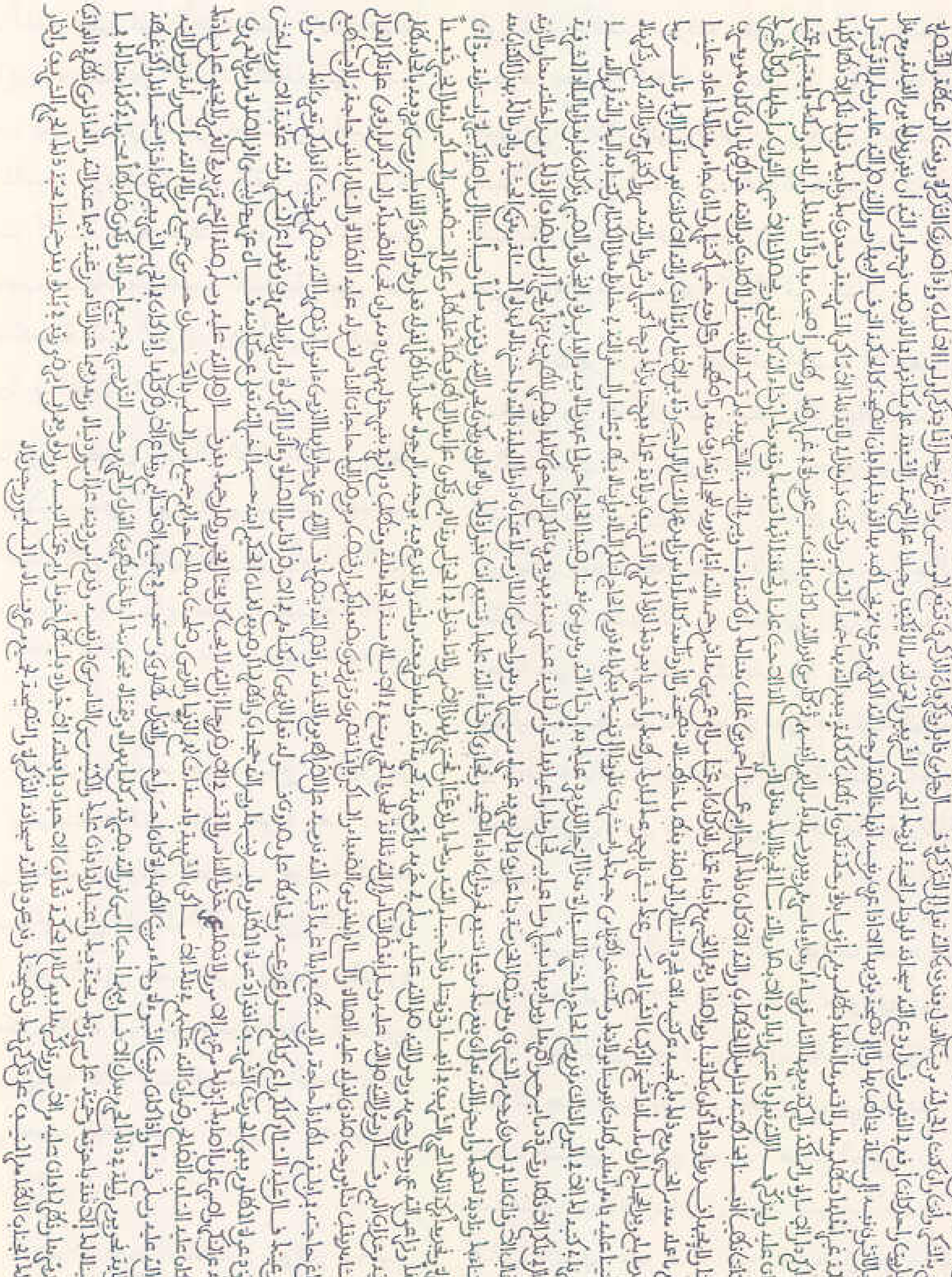
أكثر من هذا حكى الإسحاقي عن منع الأتراك للمغاربة من الماء، وقد بلغ الحدّ إلى أن الإسحاقي، وقد أشفق على صبي يلتوي من العطش أن يطلب له شربة ماء في مقابلة دينار ذهبي... وكان كل هذا وراء تزكيته قولة من قال من علماء المغرب والأندلس : بسقوط الحج عن أهل المغرب، إلى آخر مذكرات الإسحاقي.

وهنا جاء موعد سعد بن زيد فعاد سنة 1103 - 1691 ـ 1692، حيث ولي إمارة مكة قبل أن يقصى عن الحكم مرة أخرى عام 1105 = 1693 ـ 1694، فوليها الشريف عبد الله بن هاشم، فقاتله سعد وظفر به عام 1106 = 1695، واستقر في الإمارة ثم نزل عنها لابنه سعيد عام (1113 = 1701 ـ 1702)، فثار الأشراف على سعيد فقاتلهم في المحصب، إلى أن طعن ثلاث طعنات، مات في أعقابها بالعابدية عام 1052 = 1642.

تلك نظرة خاطفة عن التنافس المستعر بين الأشراف في بلاد الحجاز... وهو ما يفسر لنا تعبيرا ورد في رسالة سابقة من مولاي مَحمد بن مولاي الشريف (الملك محمد الأول في الدولة العلوية)، هذا التعبير هو قوله : «...وأقسم بالله العظيم ونسب النبي الكريم وبالزمزم والحطيم إن لم تنتهوا عند حدكم لأغمدن فيكم سيف جدكم..!».



جانب من النسخة الخاصة للرسالة التي تحدثنا عنها في هذا المقال، وقد تض
عن نسخة أخرى هي كذلك مبتورة الأطراف. ولننظر مع هذا رسالة إسماع



الخزانة العامة، لكنها مبتورة في الأول والآخر، وقد نقلها المؤرخ ابن زيدان
لة توجد في الخزانة الحسنية بالرباط.

لقد أخذنا فكرة عن الأجواء التي كانت تعيشها تلك البقاع... وعرفنا عن الظروف القلقة التي عاشها الأمير سعد بن زيد في إمارته الأولى وإمارته الثانية والثالثة... ولا شك أننا سنقرأ من بين تلك السطور ما كانت عليه مواقف بعض الأمراء الذين كانوا أصحاب حاجة، وصاحب الحاجة أعمى كما تقول الحكمة المأثورة، وهم أكثر من عمى لا يسمعون ولا يتكلمون..!

وهنا نورد مضمون «الرسالة العاجلة» التي بعثها السلطان مولاي إسماعيل إلى الأمير سعد بن زيد فور وصول الأخبار إلى العاهل المغربي بواسطة الشيخ الحسين أمير ركب الحاج المغربي لعام 1102 ـ 1103 = 1691 ـ 1692 والذي سيعوضه علي جسوس...

لقد كان في جملة ما حمله الشيخ الحسين من بُشْريات بالنسبة لمولاي إسماعيل عودة سعد ـ وهو عزيز على السلطان مولاي إسماعيل ـ عودته لشرافة مكة، لقد أدخل ذلك الخبر سرورا كبيرا على السلطان، الأمر الذي جعله يقرر إرسال **سفارة عاجلة** خلال ثلاثة أيام من وصول الوفد المغربي، تحمل معها رسالة هامة تستهدف تقديم النصح للأمير سعد حتى يعرف موضع قدمه، وحتى لا يتعرض مرة أخرى لما تعرض له..!

ومن المهم أن نجد السلطان مولاي إسماعيل يقوم في هذه الرسالة بتقديم السفير الذي اختاره لهذه المهمة، والذي لم يكن غير الحاج أحمد... الذي يعرف البلاد المشرقية كثير المعرفة نتيجة لتجوله في تلكم الأقطار، وتردده سفيرا عليها، وساعيا بين تجارها نحوا من ثمانية عشر عاما... عرف فيها تلك النواحي، واعتاد على طرقها برا وبحرا... يضاف إلى هذا أن الحاج أحمد هذا من الملازمين للأعتاب الشريفة... ولذلك فهو رجل ثقة، وسند فيما يبلغه من معلومات، وما يتلقاه كذلك من أخبار...

ويظهر من «الرسالة العاجلة» أن العاهل المغربي ولو أنه كان على صلة بالشريف أحمد بن غالب الذي كان متربعا على الحكم قبيل عودة الشريف سعد بن زيد... إلا أنه أي مولاي إسماعيل، لم يكن يشعر بتجاوب مع الأمير أحمد ابن غالب، فلقد كان ركب الحاج المغربي يتردد كما هي العادة على ذلك المقام الشريف بما يصحبه معه من هدايا سنية سخية، توزع على مختلف طبقات الأشراف هناك... ابتداء من أهل الينبوع، أجداد إسماعيل، إلى أهل بدر، إلى أشراف مكة وأشراف المدينة.

وفي إحدى المرات السالفة، عندما قصد تلك البقاع عام 1101 = 1689 الأمير مولاي المعتصم نجل السلطان مولاي إسماعيل رفقة الأميرة ست الملك يصحبهما أبو علي الحسن اليوسي، حدث أن وقعت أُلفة بين مولاي عمر بن هاشم العلوي ابن عم السلطان مولاي إسماعيل وبين الشريف أحمد بن غالب، الذي اغتنم هذه الفرصة ليُحمِّلَ مولاي عمر عددا من الرسائل للعاهل المغربي الذي كان يتقبل هذه الخطابات ويجيب عنها، ولكن أجوبته تقتصر على ردّ السلام وليس أكثر من رد السلام، أي إنها

بلغة العصر الحديث رسائل بروتوكولية لا تشعر فيها بما تشعره وأنت تقرأ رسالة مولاي إسماعيل للأمير سعد من صراحة في القول، وصدق في النصح، وتطوع مخلص في إغناء الأمير بما اعتبره السلطان مولاي إسماعيل ضروريا لحفاظ سعد على مركزه في الحرمين الشريفين...

وبكل ما عهدناه في السلطان مولاي إسماعيل من جرأة وصلابة في التعبير عن رأيه، نجده يذكر بوضوح بأن الولاية على الحرمين الشريفين ليست كالولاية على البقاع الأُخرى... إن للمكان حرمةً لا تعدلها حرمة، ولذلك فإن للمَتولّي على ذلك المكان أن يعرف بالدرجة الأُولى موضع قدميه..!

لقد استهل العاهل المغربي رسالته الهامة بالتذكير بما يجمع أُسرته بأسرة شريف مكة من لُحمَة النسب الغالية... وهو الأمر الذي يبرر توجه السلطان للأمير بهذا الخطاب، يضاف إلى هذه الآصرة... مبدأ أقره الإسلام، ونادى به في كل المناسبات، ألا وهو ضرورة مؤازرة المؤمن للمؤمن...

ويظهر من الرسالة أن مولاي إسماعيل إذ يتأسف على بعد الشقة بين المشرق والمغرب، وهي تَحوُلُ دون تقديم العون المادي للحفاظ على الاستقرار في تلك البقاع، إلا أنه مع ذلك سيكتفي بالمساهمة في تقديم النصح وهو أضعف الإيمان...

ولا يفوت العاهل المغربي وهو يمهد لمخاطبة أخيه وعزيزه، أن يذكره بما كان تعرض له عندما عزل عن الحكم وغُرِّبَ عن البلاد، فإن الإنسان بحاجة إلى أن لا ينسيه البذخ والرفاه ما عرفه بالأمس من ذل وحرمان، وخاصة بين قوم لا يعرفون لغته، وهم فوق هذا وذاك، لا ينظرون للعرب بنظرة تبعث على الارتياح.... ومن غير أن يشعر مولاي إسماعيل بأي حرج قال للأمير زيد : إنه إذا كان التناصح واجبا بين المسلمين، فهو لمن ولي تلكم الديار أولى وأجدر، وكأنه يقول له : إنها بيت الجميع، ومن الواجب الأكيد على ذلك الجميع أن يساهم بما يستطيع في تقويم ذلك البيت... وضمان الاستقرار والاستمرار له، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبسعة خاطر، ورغبة في الإسهاب والإطناب، ذكر السلطان مولاي إسماعيل أحد عشر مبررا، تجعل المدينة تحتل كذلك مرتبة جليلة عند المسلمين، فهي دار الهجرة، وبها منازل الوحي، وفيها أكمل الله الدين، وفيها كانت البعوث والسرايا والغزوات لإعلاء كلمة المسلمين، ومنها أظهر الله الدين وأعز الإسلام، وفيها قبضت روح النبي الأمين، وفيها روضته، وبها جُمِعَ القرآن الكريم، ومنها استقامت الخلافة، وانطلقت الفتوحات في المشارق والمغارب، ومنها اجْتُثَّتْ قواعد الدول الكبيرة الفارسية الكسروية والرومية القيصرية والتركية الخاقانية والديلمية والحبشية والبربرية...

وتتخلص الرسالة لأهمية الخلافة في قاموس الإسلام... وهنا يشير إلى أن جعل الخلافة في قريش ـ يعني أن ترجى آيات الشكر والامتنان لله على ذلك... ولن يكون هناك تعبير صادق عن الشكر إلا بأن يكون الحكام في مستوى الولاية...

أي إنهم يقومون بحماية مصالح الناس، ومنع مفاسد الفجار، وإعلان كلمة الجهاد، وإنصاف المظلوم من الظالم...

وهو يستدل بهذا البيت لتأييد أطروحته :

لـولا الخـلافـة لم تـأمن لنـا سبـل
وكـان أضعفنـا نهبـا لأقـوانـا !!

وبعد أن يركز على دور الحاكم في إقامة العدالة الحقيقية بين الناس، يؤكد مرة أخرى على فكرة «أن من أنعم الله عليه بولاية الحرمين الشريفين، واجب على كل من يحبه، أن يهنئه وأن يقدم له النصح...

ويخشى السلطان مولاي إسماعيل من أنه ربما كان قد بالغ في النّصح، فَيُذَكِّرُ الأمير بأنه إذا كانت التذكرة والتبصرة من أهل بيت واحد، كانت أوقع في النفوس، سيما وقد أودع الله في قلوبنا من المحبة لذينك الحرمين الشريفين ما لا يُكَيَّف، وجبلنا على الشفقة بسكانهما ما لا يوصف. ويتمنى مولاي إسماعيل ـ من خلال كلماته ـ أن لا يكون الأمير من أولئك الذين يستكبرون عن سماع الموعظة، فهو يردد قول النبي ﷺ : «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها، فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم» !

وهنا يذكر مولاي إسماعيل أمير مكة بهذه الكلمات :

«...وقد كنتَ قبل هذا في ولاية تلك الأماكن الشريفة... ثم كان من قَدَرِ الله ما كان، فأقمت سنين عديدة في غير أرضك ووطنك، وأصبحت مفارقا لأهلك وأولادك وسكنك، فليعتبر ابن عمنا بما فات عليه... ووالله ما أنجزنا إليك هذه الرسالة إلا حيث علمنا وتحققنا أنها تنفعك وتقع منك إن شاء الله كل موقع، ولو كان غيرك ما كانت تطيب أنفسنا بمخاطبته بمثل هذا الخطاب...». وبعد هذا، يسوق الخطاب الإسماعيلي طائفة من المبادئ :

«...ولا تأخذك في الحق لومة لائم، وكن على أهل الباطل فظا غليظا، وعلى المستضعفين والمساكين وأهل الخير شفيقا رفيقا، وتراعي الله عز وجل وحرمته وحرم رسول الله، وأي حرمة كحرمة أمته وأهل شريعته وملته. لا تدع في الحرم بوجه من الوجوه ملحدا... وأن تحب الضعفاء والمساكين الواردين على تلكم المعالم والمشاهد بقلب شائق وحب صادق...

ويقدم مولاي إسماعيل نصيحة قد تكون محل استغراب من الذين لا يمارسون الحكم ولكنها منهم مبدأ من المبادئ الأساسية، قال :

وأنصح إليك أن تنصب من يوصل إليك حاجات الناس لقوله ﷺ : «أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها، ثبت الله قدميه على الصراط يوم القيامة...».

ويستمر مولاي إسماعيل يخاطب سعد : «وانصر الله ينصرك... وأعرف أنك مسؤول عن رعيتك...».

وفي معرض التأكيد عليه بتجنب الاغترار والغرور، يطلب إليه أن يحافظ على مصدوق الآية الشريفة : ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا**

الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر...﴾ واتق دعوة المظلوم... وانظر لما وصى به لقمان الحكيم ابنه... وصل رحمك...

ومن المهم أن نجد العاهل المغربي يعود مرة أخرى للتذكير بأهمية مركز الحرمين على صعيد العالم الإسلامي، ومن أجل ذلك عظمت مسؤولية الولاة على الحرمين... «...ولا يخفى على سيادتك - يقول مولاي إسماعيل لسعد بن زيد - ما كان عليه السلف الصالح في تلك الأماكن الشريفة، فاستقامت لهم الدنيا والدين، وصلحت بصلاح أحوالهم أمور جميع المسلمين، فالعدل - يؤكد مولاي إسماعيل - حسن من جميع من ولاّه الله، وإذا كان من بيت النبوة كان أحسن وأحسن، والعدل مطلوب ومستحسن في جميع الأقاليم وبقاع الأرض كلها، وهو في الحرمين الشريفين أشد استحسانا وأكثر غبطة..!!

إن ولاية يوم وليلة في ذلك الحرم يعدل الإنسان فيهما، أحب إلى من نور الله بصيرته، من كل ما يهواه ويتمناه، فنحب منك أن تأخذ بطريق العدل والحزم وحسن التدبير في جميع أحوالك، وتكون ضابطا محتزما في كل ما هنالك، والكيس من دان نفسه، وفي كلام الحكمة : «تعاقب الأحفاد بما فعلته الأجداد» فلينظر أخونا وابن عمنا لنفسه وولده، ويعمل بما يرضي ربه في بلده، وقد حملتنا محبة ذلك الحرم الشريف على تذكرتك ونصيحتك، وقد عودنا الله سبحانه التذكرة والنصيحة لجميع من عرفناه من المسلمين ووجدناه...».

تلك هي الرسالة المستعجلة التي استحقت من السلطان مولاي إسماعيل أن يخصص لها سفيرا على حدة، ولا ينتظر بها موسما جديدا أو مناسبة لاحقة، وهي تتحدث بنفسها عن الاهتمام الكبير الذي يوليه المغرب لقضايا المشرق في كل زمان، وهي أي الرسالة في حاجة ماسة لدراسة أشمل وأكمل لرجالها واحدا بعد الآخر، وفي حاجة لتخريج أحاديثها وإبراز عناصرها، وأخيرا الحديث المفصل عن أبعادها وما تعنيه الأفكار التي تتضمنها.

الرباط - عبد الهادي التازي

المغرب

القلعة الحصينة لمقاومة الزحف الصليبي

منذ أواخر القرن العاشر الهجري

للأستاذ مولاي مصطفى بن أحمد العلوي
رئيس المجلس العلمي الإقليمي بمكناس
ورئيس رابطة علماء المغرب والسنغال

في أواخر القرن العاشر الهجري أنهت الصليبية الحاقدة ما بقي من الوجود الإسلامي على أرض الأندلس بعد أن ظل يسودها ثمانية قرون، وتركت حضارة الإسلام بصمات رائعة على أرضها لا يزال أثرها إلى اليوم شاهدا على ذلك.

ولم يقف الصليبيون عند ذلك، ولم يكتفوا بإنهاء الوجود الإسلامي على أرض الأندلس، وإنما مدوا أيديهم إلى شواطئ المغرب، يحاولون تحقيق ما يمليه الحقد الصليبي ضد الإسلام والعروبة في هاته الأرض المجاورة، والتي لا يفصلها عن الأندلس إلا مضيق جبل طارق الذي لا يزال يحتفظ باسم القائد العظيم طارق بن زياد... قائد الفاتحين الذين نشروا الإسلام بالجزيرة الإيبيرية، وأسسوا دولة الإسلام والعروبة في الأندلس وحضارتها التي دامت ثمانية قرون.

وهكذا امتدت يد الصليبيين الأسبان والبرتغال والفرنسيين إلى الشواطئ المغربية، وكأنهم يأخذون بالثأر وينتقمون من طارق وجيوشه وما خلفوه لعدة قرون، ومنه يظهر الحقد الصليبي الأعمى وعلى مر القرون والأجيال.

فعندما بدأ الضعف يسري في نظام الدولة السعدية، وظهر نزاع بين أمرائها، سنحت الفرصة للصليبيين فاحتلوا بعض الثغور الشاطئية المجاورة، بدءا من طنجة ومليلية والعرائش وأصيلة وحجر باديس في شمال المغرب، ثم مدوا أيديهم إلى الجنوب بدءا من المهدية وسلا وأنفا والجديدة وأزمور وآسفي وحصن فونتي بالسوس.

غير أن ملوك المغرب وقادته لم يتركوا الصليبين يستقرون في الثغور التي يحتلونها، فقد كانوا بالمرصاد لكل من يحاول أن ينتقص من

سيادتهم أو يعتدي على أي جزء من مملكتهم، بدءا من أحمد المنصور السعدي الذي أخذ الزمام بعد المعركة الكبرى بوادي المخازن التي وقعت في أواخر جمادى الأولى من عام 986 هـ الموافق لشهر غشت سنة 1578 م، والتي قتل فيها ثلاثة ملوك : أبو مروان بن الشيخ السعدي الذي كان يقود الجيش المغربي دفاعا عن مملكته ووطنه، وسباستيان طاغية البرتغال الذي كان يقود الجيش الصليبي الحاقد، ومحمد بن عبد الله السعدي المسلوخ الذي أعطى الفرصة للصليبيين حيث استنجد بهم ضد عمه أبي مروان بن الشيخ السعدي، ولعل أثر هاته المعركة التي انهزم فيها الصليبيون زادت حقدهم اشتعالا، فقد زاد مكرهم بمن بقي من المسلمين في غرناطة مما أجبر هؤلاء على أن يهاجروا جميعا إلى أرض المغرب بتاريخ 1016 هـ حيث تفرقوا على مدنه، ولازال أبناؤهم يحتفظ بعضهم بنسبهم إلى اليوم.

وعندما قامت الدولة العلوية أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وتم لهم جمع كلمة الأمة المغربية، والتي كانت قد توزعتها الأهواء، وشهوات الولاة أواخر عهد الأشراف السعديين، عندما تم ذلك لأبناء المولى الشريف : محمد والرشيد وإسماعيل على هذا الترتيب، التفتوا إلى الثغور التي كانت الصليبية قد احتلت بعضها، فتحررت المهدية سنة 1092، وطنجة سنة 1095 هـ، والعرائش سنة 1101، وأصيلا 1102 هـ.

ثم عاد الصليبيون إلى العرائش وسلا فتم تحريرهما في سنتي 1179/78 هـ.

وأخيرا، تصدى للثغور التي كانت محل غزو من الصليبيين الملك العالم سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل، فقام بتنظيم حراسة تلك الثغور سنة 1200 هـ، فجهز لكل ثغر من تلك الثغور جيشا يحرسها ويحفظها. ويقيها من غزو الصليبيين، وبذلك استقر الأمر، ويئس خصوم الإسلام من تنفيذ ما عزموا عليه قبل حادثة وادي المخازن التي تمت أواخر القرن العاشر وما واكبها، وتم بعدها إفشال كل محاولة لغزو شواطئ البلاد.

ومن تلك الأحداث، نسجل بطولة الجندي المغربي وحكمة رؤسائه وملوكه، فقد ظل العرش المغربي منذ أسسه المولى إدريس أثناء القرن الثاني للهجرة يتعاقب عليه أمراء وملوك من مختلف الأسر المغربية : أدارسة ومرابطين وموحدين ومرينيين وسعديين وعلويين. والميزة التي امتاز بها الجميع هي الحفاظ على شرف العرش وحرمة الوطن وسيادته ووحدته دون أن يكون تابعا لجهة ما، كيفما كانت سلطتها وقوتها من العباسيين إلى العثمانيين.

وحتى عندما ضعف أمر الخلافة العثمانية التي كان نفوذها منبسطا على أجزاء المغرب العربي : طرابلس وتونس والجزائر فقد ظل المغرب محتفظا بحدوده وسيادته ووحدته، بفضل حزم ملوكه وشجاعة أبنائه إلى أن احتلت الصليبية الحاقدة ولاية الجزائر في سنة 1830م، وصرح قائدهم قائلا : (الآن انتصر الصليب على الهلال) ظنا منه أن الصليبية سوف تفعل في المغرب العربي ما فعلته بالأندلس، ثم

احتلت تونس سنة 1881م باسم الحماية، وبدأ حصار المغرب من شرقه وصحرائه من لدن دول الصليب : فرنسا وإسبانيا والمنافسون لهما : ألمانيا، وإنجلترا، وإيطاليا، وتم الاتفاق بين هؤلاء على التدخل في أمر المغرب بشكل أو بآخر، وذلك في معاهدات ثنائية تمت في سنوات 996/94 هـ، وبدأ الغزو الفرنسي للمغرب بأسباب مصطنعة، فاحتل قرية عين صالح والتي كانت في الحدود بين المغرب وولاية الجزائر سنة 1901، وعليها قائد مغربي اسمه المهدي يحمل ظهير تعيينه من الحسن الأول رحمه الله، ووقعت أحداث أخرى شبيهة على الحدود الشرقية، وذلك ما حمل المولى الحسن الأول رحمه الله على الكثير من الرحلات في أرجاء مملكته حتى قيل في شأنه (كان عرشه على ظهر فرسه) إلى أن أدركته الوفاة في إحدى رحلاته رحمة الله عليه وفي ظروف مشبوهة، وذلك سنة 1311 هـ وبذلك أمكن لخصوم المغرب يومئذ أن يستغلوا فرص ما تم يومئذ، مما سمح لهم أن يزيدوا مد نفوذهم باسم دفاعهم عن أمن الحدود، وبذلك استمر عدوانهم إلى أن اضطر الملك الثاني (بعد وفاة الحسن العظيم رحمه الله)، المولى عبد الحفيظ إلى أن يوقع عقد الحماية مع فرنسا وإسبانيا، وذلك حفاظا على شخصية الدولة تحت حماية الدولتين الحاميتين فرنسا وإسبانيا بدعوى مساعدة المملكة على الاستقرار وإعادة التنظيم على شكل عصري حسبما يوجد في شعوب أخرى مجاورة، خصوصا تونس التي تعاقدت مع فرنسا على الحماية عام 1881م. ولم يستمر عبد الحفيظ رحمه الله إلا قليلا حتى اضطر إلى التنازل عن العرش، بسبب المخالفات التي ارتكبها رجال الحماية، ومعاملتهم للشعب المغربي. ورشح أخاه المولى يوسف رحمه الله ليخلفه على العرش، وذلك في ظروف الحرب العالمية الأولى. ورغم سماحته وتنازلاته فإنه لم يدم إلا قليلا حتى توفي رحمه الله، وفي ظروف مشبوهة أيضا كما وقع بوالده الحسن الأول رحمه الله.

وهنالك اختار الله لهذا العرش مرة أخرى من يعمل على فك إساره الملك الشاب محمد بن يوسف رحمه الله وذلك بمساعدة رجال شعبه الأبطال جزاهم الله أحسن الجزاء. رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا.

فالمغرب موطن الرجال الشجعان الأبرار. أذاق المحتلين تحت ستار الحماية مر العذاب، فقد ظلوا يحاربون لإخضاعه لنفوذهم باسم الحماية في مناطق. وباسم الاحتلال في مناطق أخرى، حيث قسموه إلى عدة مناطق : فمنطقة الوسط باسم الحماية الفرنسية. ومنطقة الشمال باسم الحماية الإسبانية، واستثنوا من هاته المنطقة مدينة طنجة، وذلك بإيعاز من إنجلترا الواقعة في جبل طارق تحرس المضيق، وحتى لا تنافسها دولة قوية في حراسته مثل فرنسا. فأقرت طنجة مدينة دولية، وتلك منطقة الجنوب المغربي في موازاة جزر الكناري التي تحكمها إسبانيا أعطيت اسم الحماية تبعا للشمال.

وهناك مناطق الجهة الشرقية التي احتلها الفرنسيون من شرقي المغرب وأضافوها إلى الجزائر، ظنا منهم أنهم سيخلدون فيها إلى الأبد، وفعلا فقد ظلوا في الشقيقة أطول مدة مائة وستين عاما، ثم طردوا منها بفضل الوعي واليقظة الإسلامية، التي بثها في الشعب علماؤه المسلمون، أمثال ابن باديس والإبراهيمي وأمثالهم رحمة الله عليهم، وبأصالتهم في الفكر الإسلامي والعقيدة الإسلامية، وبتضامن جيرانهم وإخوانهم بالمغرب العربي ومساعدتهم لهم في الكفاح، وكذلك كان وجود الصليبين في المغرب محنة لهم وعذابا، فقد قضوا في إخضاع الأجزاء المختصة بهم أزيد من ثلاثين سنة، كان أبطال المغرب الأشاوس يقاومون الاحتلال منطقة منطقة وقبيلة قبيلة، وقد تركوا في مختلف الأقاليم كثيرا من النصب التذكارية، وسجلوا فيما كتبوه عن أعمالهم سجلات مليئة بأسماء ضباطهم وجنودهم الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل فتح تلك الأقاليم وإخضاعها لحكمهم، ولم ينته غزوهم للأقاليم إلا سنة 1934 عندما قاموا بمعارك الأطلس الصغير وجبل بوغافر.

إذن، فلم يهدأ لهم حال بعد نهاية المعارك المسلحة إلا نحو 22 سنة تقريبا من 1934 إلى 1956، وحتى هاته الفترة لم تكن خالية من مناوءة نظام الحماية، فمن سنة 1930 التي صدر فيها الظهير البربري، برزت أعمال المقاومة السياسية عندما قامت جماهير الشعب المغربي بالتظاهر وقراءة اللطيف المعروف «اللهم يالطيف نسألك اللطف فيما جرت به المقادير، لا تفرق بيننا وبين إخواننا البرابر»، لأن القصد من هذا الظهير هو التفريق بين القبائل العربية والقبائل البربرية التي صدر الظهير باحتكامهم للعرف بدل الشريعة في بعض قضايا منازعاتهم كميراث البنت في والدها، وبعض المسائل الأخرى، ومنذ ذلك التاريخ بدأ العلماء الشباب المثقف ينظمون أنفسهم في خلايا انتهت إلى تأسيس الحزب الوطني والحركة القومية بزعامة الأستاذين علال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني رحمهما الله، وذلك عام 1936 م.

ومن الرموز التي تستحق الذكر في هذا المقام، التقاء صنفي رجال القاومة :

- المقاومون الأولون لدخول الاستعمار المقنع بالحماية، والذين دامت مقاومتهم من 1900 إلى 1934 وفي جميع أجزاء الوطن العزيز.

- والسياسيون الذين زرعوا بذور المقاومة التي برزت عندما اعتدى المستعمرون على رمز السيادة جلالة الملك محمد الخامس وأسرته في الخمسينات.

فقد التقى الصنف الثاني ببعض رجال الصنف الأول في سجون الاستعمار بإقليم الراشدية وكلميمة، ففي الراشدية جيء ببعض أبناء مدغرة من الذين درسوا في جامعة القرويين وانخرطوا في الحزب الوطني، وشاركوا في التعليم الحر، وأسسوا مدارس حرة، وأحضروا إلى السجن وقيدوا بقيود حديدية

سبق أن قيد بها بعض رجال مقاومة دخول الاستعمار لأقاليم الجنوب، وعلى سبيل المثال أذكر منهم السادة : محمد بن عبد الله الهاشمي، ومحمد بن العربي العابدي، وأخوه أحمد رحمه الله، وأحمد بن المهدي، ومصطفى بن أحمد، وكلهم من خريجي جامعة القرويين، ومن الحزب الوطني يومئذ، وقد حكم عليهم بسنة سجنا قضوها في سجن «كلميمة» الذي وجدوا فيه إخوانهم من رجال القرويين أمثال الهاشمي الفلالي، وإبراهيم الكتاني رحمه الله، وعبد العزيز بن إدريس رحمه الله، ورشيد الدرقاوي، وعبد الهادي الشرايبي رحمه الله، وعلي العراقي، وأحمد بن الحاج، ومولاي محمد بن هاشم رحمه الله، ومولاي علي الإدريسي، وغيرهم وآخرون. وعندما وصل أولئك إلى كلميمة وجدوا جنازة الأستاذ الشهيد محمد القري الذي مات تحت عذاب الضابط عيار، وكان آخرون على وشك الاستشهاد مثل المجاهد الهاشمي الفلاح حفظه الله.

وعندما نقل الإخوة أهل فاس إلى سجن عين علي ومومن، نقل المدغريون إلى السجن المحلي بكلميمة لقضاء بقية السنة، وبها وجدوا رجلا اسمه مولاي عسو مقيدا بالحديد، وهو من رجال المقاومة الأولى، لأنه كان في جيش الزعيم زايد احماد، ولما أنهى مدة سجنه وأطلق سراحه، قيد بذلك القيد رجل من مدغرة هو أحمد بن التهامي من جراء أنه طلب من أحد المسجونين العاديين شراء ورقة وظرف وطابع بريد ليكاتب أهله، ليرسلوا له ما يقيم به أوده نظرا لهزال ما يقدم للمساجين من طعام.

وهكذا يظهر جليا أن المقاومة بالمغرب لم تنقطع ولو سنة ولا شهرا ولا يوما، وذلك نظرا لما في قلوب المغاربة من عزة وإيمان بالقيم الإسلامية، وشعورا بخطورة الخضوع لحكم أجنبي صليبي يعمل على مسخ أمة أصيلة مومنة بعقيدتها، ومنهج دينها الحنيف.

ومرت الأيام بأحداثها، وقامت الحرب العالمية الثانية 1939 1945، وما كادت تنتهي حتى تقدمت نخبة من شباب المغرب المثقف بعريضة المطالبة بالاستقلال في 11 يناير 1944، ورفعت العريضة لجلالة الملك، وقد شارك في تحرير نصها رحمه الله، ورفعت نسخ منها للمقيم العام وممثلي بعض الدول مثل : إنجلترا وألمانيا وغيرهما من الدول التي كانت لها قنصليات بالمغرب يومئذ، ومما يجب ذكره هنا، أن الفرنسيين تريثوا في رد الفعل من 11 يناير إلى 29 منه، فكانت تلك الفترة خيرا لصالح القضية، ففي تلك الفترة أمضيت آلاف العرائض المؤيدة للمطالبة بالاستقلال، ويمكن القول بأن 70 ٪ من المغاربة أمضوا عرائض التأييد، وبالرغم من ذلك، فإن الفرنسيين قاموا بحملة قمع شرسة مست جميع المثقفين من الشباب والشيوخ.

ففكرة الإعلان بالمطالبة بالاستقلال، كانت مسبوقة بمؤتمر أنفا الذي عقده الحلفاء وحضره قادتهم : روزفلت، وتشرشيل، ودوكول، وحضره المغفور له محمد الخامس، الذي طلب منه تأييد المغاربة لحملة تحرير غربي أوربا من سلطات المحور يومئذ، وقرروا فيه حرية سائر الشعوب التي تشارك في حرب المحور وتحرير الشعوب من

سطوته، وفعلا شارك الجنود المغاربة في تلك الحروب مشاركة فعالة في تحرير فرنسا وألمانيا وغيرها، غير أن المستعمرين الفرنسيين بعد ذلك تنكروا لهاته الحقيقة، وقاموا بعد تحررهم من سلطات المحور بتشدد سلطاتهم في مستعمراتهم، خصوصا شمال إفريقيا بمجموعه، وعينوا على رأس سلطاتهم في المغرب جنرالات، وسجنوا ونفوا وشردوا الكثير من رجال الوطنية بالمغرب، وأظهروا من القوة والبطش ما لم يكن في الحسبان، غير أن ذلك لم يزد إلا في قوة يقين رجال الوطنية وعلى رأسهم جلالة محمد الخامس، الذي زار مدينة طنجة الدولية سنة 1947، واحتفل أهلها بملكهم الذي زارهم لأول مرة في ذلك العهد، وخطب فيهم، وأعلن أن المغرب جزء من الأمة العربية، وأنه يجب أن يصبح عضوا في الجامعة العربية، وذلك ما زاد في تصلب المستعمرين وغطرستهم. وفي سنة 1950 رحل جلالة الملك إلى فرنسا قصد التفاوض على ما فيه مصلحة أمته، غير أن تعنت المستعمرين جعل الرحلة فاشلة، ولما يئسوا من إخضاع محمد الخامس لإرادتهم، وقبول ما عرضوا عليه من إصلاحات في نطاق الحماية البغيضة، بدأوا في تخطيط خطتهم المجرمة، ومهدوا لها باعتقال كثير من رجال الوطنية، فنفوا وسجنوا وشردوا، وما وصلت سنة 1953، حتى شرعوا في عقد مؤتمرات إقليمية، يجمعون فيها عملاءهم، ويخطبون أمام جماهير الناس، واستعملوا بعض المتصوفة للطعن في سلوك العاهل الكريم زورا وبهتانا، وذلك ليستميلوا الجماهير الجاهلة في ظنهم. وما إن جاء شهر غشت، حتى اختاروا شخصا يخلف - في زعمهم - الملك على عرش أسلافه، وتجاهلوا ما قام به أولئك السلف من أعمال دفاعا عن بلادهم وعرشهم ودينهم. وقد كان هدفا للصليبيين مما سلف ذكره.

وفي 20 غشت طوقوا القصر الملكي بالقوة، وأخذوا العاهل الكريم وأسرته إلى المنفى، وظنوا أن ذلك عمل سيقبله الشعب مرغما كما قبل نفي زعماء الشباب قبل ذلك، ولم يعلموا أن الملك الصالح هو رمز السيادة والقيادة الإسلامية، والتي يضحي من أجلها كل أفراد الشعب بدون استثناء، ومما مهدوا به لعملهم الشنيع هذا، أنهم جمعوا كبار الشخصيات الوطنية ووضعوهم تحت حراسة مشددة في حصن بعيد عن الناس (اغبالو نكردوس)، ولم يعلموا أن فعلتهم النكراء سوف تدفع كل المغاربة صغارا وكبارا مثقفين وأميين أغنياء وفقراء. ولا بد أنهم آخذون بثأرهم ممن مسهم في أعز عزيز عليهم : ملكهم الشاب المناضل محمد الخامس.

فهذا رجل فقير بسيط عامل يقوم بأول عملية رائعة انتقاما من العميل الذي قبل أن ينصبه الأعداء على عرش يفديه الجميع بالأنفس. هذا علال بن عبد الله الشهيد، يعطي للأعداء درسا بليغا في فداء العرش والجالس عليه باختيار الشعب لا بفرضه من الخصوم، جاء إلى المشور، وهجم على صنيعة الاستعمار، حتى سقط هذا بفرسه على الأرض. واستشهد الفدائي علال رحمة الله عليه برصاص المستعمرين، وكان حدثا رائعا خلده الشهيد، وأشعر العدو بأن عمليتهم فاشلة من أساسها، لأنها جاءت ضد عقيدة الأمة وإيمانها بالحياة والحرية.

اما رمز الشرف والسيادة فقد نقل إلى مدعشقر، حيث بقي هناك سنتين وثلاثة أشهر، كما كان الأطفال يتغنون به تطلعا منهم لرجوع سيد البلاد منتصرا (عَامَيْنْ وَثَلاَثَة أَشْهُرْ، ابنْ يَوسَف رَاجَعْ بَالْفُوزْ).

وفعلا، ما حلت سنة 1955، حتى خضع المستعمرون لإرادة الله وإرادة الشعب المغربي البطل، ورجع العاهل الكريم إلى عرشه معززا مكرما، وهو يتلو قول الله العلي القدير : ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**﴾.

ولا بد من الإشارة إلى بعض أسباب هذا الانتصار للحق والمتمسكين به، فلم يمض إلا أسبوعان على الفعلة الشنعاء، حتى بدأت المقاومة بحوادث فردية هنا وهناك، وعجز العدو عن معرفة القائمين بها، فمثلا انفجرت قنبلة بالسوق المركزي بالدار البيضاء كان لها أثر مهول، أعقبتها قنبلة أخرى بالسكة الحديدية قرب العاصمة، واستمرت الأعمال كذلك، تعرض لها كثير من الخونة الجبناء الذين ساروا في ظل العدو، حتى أصبح الأمر أكبر من أن يحيط به رجال أمن الاستعمار وخبراؤه.

وأذكر أنني حضرت عدة حوادث عفوا وأنا في طريقي من مقر سكناي بدرب العفو إلى المدرسة الحسنية التي كنت أعمل بها معلما ومسؤولا، وآخر حدث شاهدته، إلقاء قنبلة يدوية على سيارة عسكرية بشارع بني مكيلد، فنزل من نجا منهم من اثرها إلى الارض، وشرعوا يضربون المارة برصاصهم، ولكن الله سلم، وفي نفس اللحظة، وقع انفجار بقنبلة في ملتقى طرق يعرف بـ (سبع شوانط) وكانت في حجم قنينة الغاز كان يجرها صاحبها وهو راكب دراجة نارية، فما كان منه وقد عرف وقت انفجارها، إلا أن قطع الحبل الذي يجرها به، وما إن التفت الناس إليها وقد نجا صاحبها حتى انفجرت وخلفت قتلى وجرحى كثيرين، كما تمت عملية أخرى في نفس الوقت في حي آخر، كان ذلك يوم 14 يوليوز 1955 وهو عيد الجمهورية الفرنسية.

هكذا قضى الحاكمون يومئذ أياما وشهورا في حيرة وقلق من جراء أعمال مقاومين تتم أعمالهم ولا من يعين الحكام على اكتشاف القائمين بها ولا المدبرين لصنعها، لأن الشعب كان في تضامن ووحدة أدهشت الخصوم. في هذا التاريخ انصاعوا للاستجابة لمطالب الشعب.

وقد كنت في ذلك اليوم عازما على السفر إلى طنجة، وبعد أسبوعين سافرت إلى مدريد، وهناك بشرني الأخ المرحوم المناضل الحاج أحمد بلافريج رحمه الله، بطلب الفرنسيين من الحزب تعيين لجنة من رجاله للتفاوض على أساس رجوع بطل الأمة محمد الخامس إلى عرشه والاستقلال.

وكان التفاوض. وعاد رمز السيادة وبطلها إلى عرشه، وسافرت الوفود إلى باريز لاستقبال الرجل العظيم وأسرته، وأخص بالذكر ولي عهده المحبوب جلالة الحسن الثاني الذي كانت صحف ماس نشرت

صوره في فترة نفيه ووالده، وعلقت عليها أنه العدو رقم : 1. ذلك أنهم كانوا يشعرون بمواقفه المعززة لوالده حفظه الله.

وأسجل هنا للتاريخ حدثا صغيرا، ولكنه رمز قوي، أرويه عن رجل كان من رواد القصر الملكي يومئذ، هو العلامة الشيخ أحمد التجاني رحمه الله، فقد كانت مفاوضة تجري بين القصر الملكي والإقامة العامة. وكان الواسطة فيها. هو المرحوم الشيخ الفقيه محمد المعمري رحمه الله، وجاء يحكي للملك ما حدثه به المقيم. وغلبه البكاء، لما شعر به من ضغط الجنرال في حديثه، فما كان من ولي العهد حفظه الله وكان واقفا يستمع إلى الشيخ يحدث والده جلالة الملك، فاستأذن والده وقال : (إئذن لي يا سيدي في أن أذهب لأحاور هؤلاء، أنا الذي لا أبكي). وأذن له.

رحم الله ملكنا ورمز وطنيتنا محمد الخامس، وحفظ وارث سره جلالة الحسن الثاني وأعزه ونصره، وأدامه حصنا حصينا لأمته وعرشه ووطنه، آمين.

الرباط ـ مولاي مصطفى بن أحمد العلوي



صور ومواقف من

مبادئ وأهداف الدولة العلوية

من خلال حياة محمد الخامس وسيرة الحسن الثاني

للأستاذ عبد الكريم التواتي

مبادئ وأهداف أمة ما تتجلى في الأعمال التي يقوم بها أبناؤها في مختلف أدوار حياتها. ويبلورها الموهوبون من هؤلاء الأبناء. فإذا أراد الله لها الخلود في عزة ومنعة سخر لها من يأخذ بيدها، ويؤمن بما في طاقاتها من مواهب وعبقريات، ووفقه لأفضل الأعمال وأنجع السبل، لتفجير ينابيع العظمة والقوة في شرايينها، وأمدها بفورة الإيمان بتلك الطاقات لتنطلق لبناء المحامد، وتشييد العظائم، ورفع أهرامات العزة والكرامة، وخلق شوامخ العبقريات وخوالد الإلهامات.

ومغربنا العزيز، مذ فطر الله الأرض والسماوات حباه بكثير من هذه العطاءات، وما بخل عليه بما يتوج هاماته بأبهى وأجل العظائم والمعجزات.

هذه واحدة... أما الثانية فهي أن المغرب عرف - وما يزال - بأنه بلد الاعتزاز بخدمة بنيه، وصيانة أراضيه، والاعتداد بنفسه، والإيمان بأنه ذو رسالة لا يمكن أن يتخلى عنها، أو يرضى بأن يخل بأماناتها، ومن ثمة عرف بالشجاعة النادرة، والعزيمة الصلبة، والإرادة القوية والرغبة الصادقة، لاحتلال الصدارة، وتحمل أعباء الحياة الحرة الكريمة بجدارة.

والدولة العلوية كالدول التي سبقتها، وتعاقبت على عرش هذه الأمة سجلت من المواقف الحاسمة، والبطولات النادرة، ما يجعلها في مقدمة دوله تلك.

وإذا كان تاريخ دول المغرب الطويل العريق في الأمجاد والبطولات لم يخل من عظماء أفذاذ صوروا آمال وأهداف هذه الأمة فيما تتحدث عنه آثارهم الخالدة الباقية، وفي مختلف أطوار هذا التاريخ، فإنه مما لا شك فيه أن تاريخ المغرب الحديث سيكون مدينا فيما حققه من عظمة وقوة ومجد، ومن حضارة وعمران، ورفاه وازدهار، لصاحبي الجلالة الملك الصالح المرحوم محمد الخامس، ولابنه وحافظ سره جلالة الحسن الثاني.

وإذا كنا قد أبحنا لأنفسنا أن نتناول - هنا - جانبا من جوانب هاتين الشخصيتين من حيث مواقفهما، ومجالات نشاطهما، ويعني ذلك استعراض تاريخ هذه الأمة في فترة من أخصب فتراتها أعمالا وأحداثا، ومشاكل ومواقف حاسمة، فإننا نعترف - بادئ بدء - بأننا في محاولتنا هذه لن نتمكن من الإحاطة بحقيقة ما قام به الرجلان، ولا بكامل ما حققاه لأمتهما، أو أنجزاه من أعمال إصلاحية وأدياه من خدمات جلى لهذا الوطن، بالأصالة، وللعرب والمسلمين عامة بالتبع، وللأفارقة بحكم موقع المملكة المغربية الجغرافي، وللعالم حين وقفا ذلك الموقف الشريف الصلب متحدين عنجهية الاستعمار ورعونة زبانيته المفسدين قائلين في إيمان وثبات : لا خضوع للاستعمار، ولا عاش الظلم ولا نهض من كبوته وحين هز ابن يوسف رحمه الله الضمير العالمي بتنازله عن عرشه في سبيل أفكاره ومبادئه، وحبه لوطنه، وإيمانه بنصر الله.. وهكذا نبه هذا الملك الجليل ذلك الضمير إلى أن في الدنيا من يستطيع أن يتحدى الظلم والظلمة، وأن إرادة الإنسان إذا آمن بقضيته لا يمكن أن تقهر أو تغلب لأنها من إرادة الله.

وبعد فقد كان سلخ محمد الخامس من عمره ثلاثا وثلاثين أو أربعا وثلاثين سنة يكافح ويناضل ويضحي في سبيل إبلاغ أمته ما كانت تصبو إليه من الحياة الحرة الكريمة، وربط - لذلك - مصيره بمصير شعبه دون أن تثنيه الخطوب، أو تفت في عضده الأهوال، أو تنال من عزيمته الصادقة الصلبة النوائب والزعازع، لقد كان صخرة قدت من فولاذ، وكانت لا تزيده المعاناة، وما يعترضه من صعوبات إلا إيمانا، وحنكة واقتدارا على مواجهتها بما يقتضيه الواجب، ويلزمه الواقع مهما كان جهما كالحا. وهكذا عاش يعطي المثل الحي والقوي للمؤمن المحتسب الصابر كلما تحداه الزمان، وفي كل مناسبة امتحنه فيها الاستعمار. وكان يثبت أنه صخرة لا تلين، وعزيمة لا تخور، وقوة لا تقهر، وصمود لا يغلب، وبالأخص عندما يتعلق الأمر بقضية مصيرية في دينه أو وطنه، أو بالمبادئ والأخلاق النبيلة التي ربي عليها، وقامت عليها الدولة العلوية الشريفة، التي أفرزته وأنجبته وكونت منه ذلك البطل المغوار، والقائد المحنك، والموجه الرشيد، والمثل الأسمى لكل ما هو شريف ونبيل.

فما من أحد يذكر محمد الخامس إلا ويتبادر إلى ذهنه ما أنجزه الملك المومن بأمته وربه من يوم (16) نوفمبر 1955 يوم عاد من منفاه مظفرا إلى يوم (26) فبراير 1961 يوم لحق بربه راضيا مرضيا عنه... وما يذكر أحد محمدا الخامس إلا ويستحضر أمامه تلك المواقف الحاسمة والبطولية التي تحدى فيها كل الصعاب، وأثبت أنه رجل الساعة غير مدافع ولا منازع... وأزمة فبراير 1951، عندما دعي إلى باريز للتفاوض مع الحكومة الفرنسية بعدما تأزمت علاقاته مع الإقامة العامة إلا أبسط دليل على ذلك، وقد كنت سجلت هذا الموقف في قصيدة شعرية وأشرت فيها إلى هذه الدعوة بقولي :

دعوك إلى باريز يرجون غاية
هي الموت لكن كنت للشعب وافيا

فقد دعته فرنسا بعد أن اشتدت الأزمة بين جلالته والإقامة العامة التي كان على رأسها ـ يومئذ ـ الجنرال (جوان) لاستدراجه لنوع من الليونة في موقفه، ومحاولة قبوله ما كانت تسمية فرنسا إصلاحات ومرحلة انتقالية، وقبوله التعامل مع هذا الجنرال المتغطرس ولكن ابن يوسف ـ بحنكته وصلابته وإيمانه بحق شعبه، وبما توجبه عليه قيادته لهذا الشعب من نضال مستميت أقنع الحكومة الفرنسية بإقالة مقيمها العام (جوان) واضطرت إلى استبداله بالجنرال (كيوم) الذي زاد الطين بلة في أزمة العلاقات، وفجرها، فكان أن تولى كبر أزمة غشت 1953 التي أسفرت عن القرار الفرنسي الجائر والقاضي بإقالة ابن يوسف عن العرش ونفيه هو وأسرته إلى كورسيكا فمدغشقر... وأرادوا به كيدا فجعلهم الله من الأخسرين.

فكان هذا النفي بداية إشعال الفتيل في بارود المقاومة الشعبية العارمة وكان نهاية مطاف الاستعمار... لا في المغرب وحده ولكن في كل إفريقيا، وشمالها العربي بالأخص، وكان نهاية المعركة الفاصلة بين عهد الحجر والحماية وعهد بزوغ الحرية والاستقلال، وكان كما قدره ابن يوسف الذي تقبله راضيا محتسبا ـ مما حققته الأحداث مصداقا لما قدره ـ فقد أراد الاستعمار أن يكون عرش بن يوسف عرشا على الشعب وأراده محمد الخامس أن يكون عرشا للشعب... فكانت حياته كلها رحمه الله تقوم على العطاء، فأعطى شعبه البطولة في أجل وأقدس معانيها، وأعطاه الوحدة في أجمل وأبهى صورها، فلم يعرف التاريخ ملكا من الملوك تجمعت حوله الأمة بكل طبقاتها وفئاتها مثل محمد الخامس... ثم قضى الله أمرا وكان في قضائه اللطف، وعاد محمد الخامس من منفاه يوم 18 نونبر 1955 يزف إلى شعبه بشرى انعتاق هذا الشعب من ربقة الاستعمار، في كلمات معبرة مركزة قوية لن تزال خالدة ترن في آذان الأمة المغربية إلى يوم الدين وتلك قوله : «لقد انتهى عهد الحجر والحماية وبزغ فجر الحرية والاستقلال».

وإذا نحن أردنا أن نتقصى مواقف محمد الخامس الحاسمة في مختلف الأنشطة والميادين فلن يسعنا مقال ولا كتاب، مما يجعلنا ننأى عن هذه المحاولة وعن ادعاء قدرتنا على الإحاطة بذلك، إلا أن ذلك لا يمنعنا من محاولة استعراض بعض معالم تلك الأنشطة وتلك الميادين، واستعراض خطرات من أبعادهما، انطلاقا مما امتازت به الدولة العلوية عبر تاريخها الحافل بالأمجاد من مواقف، وما سنته من أعراف وتقاليد، وخططته من غايات وأهداف، وما واجهت به ما اعترضها من مشاكل وصعاب... فقد برزت هذه الدولة في الميدان، والمغرب مشتت الشمل في الداخل بين زعماء محليين اقتسموا السلطة وتقاتلوا عليها حتى أوشك وجود الدولة على الاختفاء.

وكانت شواطئ المغرب محتلة، وكل هذا نتيجة تفريط بني مرين في أخريات عهودهم، حين ضعفوا عن مواجهة البرتغاليين... مما دفع ببعض الغيورين على الوطن والدين إلى التحرك لوقف النزيف، وإنقاذ البلاد مما قد يحيق بها من كارثة

كانت نُذُرٌ عديدة تتجمع في سمائها وتوشك أن تنقض على الجميع.

وفي هذا الظرف العصيب الموشك على تردي البلاد في حَمَإ الخلافات، وتفاقم تكالب الأجانب عليها، احتسب المولى علي الشريف نفسه، وقرر أن يهب حياته للدفاع عن الدين وحوزة الوطن، وقرر أن يخرج مجاهدا في سبيل الله، على أن لا يقتصر هذا الجهاد على خصوص الأراضي المغربية فحسب، ولكن أن يشمل كل مكان إسلامي يهدده الكفر بالسقوط بين يديه، فكان أن لبى نداء أمم الأندلس الإسلامية، حيث كان استنجد به أهل غرناطة بالخصوص بكتبهم وأشعارهم، وَاعِدِينَهُ بمبايعته كملك عليهم ملتزمين طاعته... ولم يبخل عليهم بما التمسوه وانتظروه من نصرة وإنجاد، فهب إلى هناك وأغار على الإفرنج، واسترد كثيرا من القلاع والمراكز، وخضد شوكتهم، وحد من طغيانهم إلى حين... ولم يفكر في استغلال نصره لإعلان نفسه ملكا، في وقت كان مثل ذلك الإعلان أبسط حقوق القواد العسكريين. ولا سيما إذا كان النصر يتوج هاماتهم، كما هو الشأن بالمولى علي الشريف، ولكنه رفض عرضهم، كما رفض عرضا مماثلا من أهل فاس، التي سبق أن عاش بين ظهرانيهم لمدة غير قصيرة، فقد كانوا وعدوه بتوليتهم له إن قبل ذلك.

إلا أنه إزاء الضغوط الأدبية التي والاها عليه أهل سجلماسة، والذين ذهبوا - رغبة فيه - إلى حد تحريره من معتقله، بالسوس لدى أبي الحسن السوسي الذي كان صديقا له، فأفسد ما بينهما أهل (تابوعصامت) إثر الحرب بين هؤلاء الذين استصرخوا بأهل الزاوية الدلائية وبين عائلة العلويين الذين استصرخوا بأبي الحسن السوسي هذا... وقد دفع ابنه المولى محمد مالا في افتدائه حيث بايعوه سنة 1056 هـ، ثم ثار بهم في سجلماسة، فانتزع درعة من يد أبي الحسن، مما دفع بأهل فاس أن عادوا لمكاتبته، مطالبين مجيئه إليهم، وهكذا قبل دعوتهم، وأتى إلى فاس التي دخلها أواخر جمادى الثانية سنة 1059 هـ فبايعه أهلها جميعهم، أهل فاس القديم وأهل فاس الجديد. وتم الأمر لهذه الدولة على يد المولى الرشيد الذي قام بعد المولى محمد المتوفى في شهر محرم سنة 1075، حيث اقتحم تازة، واسترد فاس من ابن الصغير الذي كانت الأندلس تحت يده، ومن الدرديري الذي كان يسيطر على فاس الجديد، وتم ذلك في ذي الحجة سنة 1076 هـ، ثم صفى الدلائيين، ثم الشبانة الذين انتزع منهم مراكش. وتوغل في السوس، إلى أن وافته منيته في ذي الحجة سنة 1082 هـ. حيث حل محله المولى اسماعيل، الذي يعتبر - بحق - الركيزة الأساسية لتقعيد وجود الدولة العلوية العظيمة.

فالملكية المغربية العلوية لم تفرض بالضغط أو القوة على هذا الوطن بقدر ما كانت تلبية لرغبة المواطنين أنفسهم، ومن ثمة فما كانت يوما ما في واد والشعب المغربي في واد، ولا كانت لها إرادة ما خارج ما يريده هذا الشعب ويسعى لتحقيقه، وإنما كانا أبدا في خندق واحد، أثناء الحروب والبأساء، وفي ذروة العرش أيام الرخاء والازدهار والنعماء، فانعكست إرادة الشعب في هذه الدولة وانعكست

هذه الدولة في إرادته. فكان الإيمان القوي بهذه الملكية العلوية القائمة على هدى من الله ورضوان. والهادفة لنشر ألوية الأمن والطمأنينة والسلام، والعاملة على إسعاد شعبها ببذل ما تتوفر عليه من جهود وطاقات، ولا تبخل عليه بتحمل التبعات وغالي التضحيات متى دعت مصلحة الوطن، وما تتطلبه المسؤوليات... فكانت هذه الملكية ملكية تقاسم شعبها آلامه وآماله، وتقود خطواته إلى الأمام لمصلحته، بحكمة وتبصر وحزم، ملتزمة حفظ مقدساته وأمجاده، وملتزمة الحفاظ على وحدته الترابية والقومية والروحية دون أن تطوح به في مغامرات غير مجدية، ولكنها تسوسه بحنو الأبوة، لتضمن له السلامة والاستقرار، والتقدم والازدهار.

ثم من خلال استنطاقنا للمراحل التاريخية التي قطعتها هذه الدولة ومن خلال موافقها من قضايا الكون والحياة والإنسان، ومما وقعته من أوفاق دولية ومعاهدات، نستطيع أن نستخلص المبادئ الأساسية والأهداف الكبرى التي توختها، أو التي روعيت بدقة، وتسلسل مستمر طيلة وجودها، من لدن قيامها على يد المولى علي الشريف إلى الجالس على عرشها حاليا ووريث محمد الخامس وباعث نهضتها وحامي حريتها واستقلالها، صاحب الجلالة الحسن الثاني... الذي بلور ويبلور تلك الأهداف ويبرز مضامينها فيما يتخذه جلالته من سياسات، وينهجه من علاقات، وبهذا ستعرف المنابع والقنوات التي استقى منها ويستقي ملوك هذه الدولة، وتعرف بالتالي الأسرار التي تحرك الحسن الثاني وحركت أباه وآباء أبيه من قبل.

وأول هذه الأهداف : الانتماء إلى العروبة والإسلام، ضمن انتماءاته القومية والدينية والإقليمية.

والثاني: النظام الداخلي، مما يضمن الأمن وتسيير المؤسسات الوطنية، بما تتطلبه من حزم وتبصر، ويضمن حماية الثغور والحدود، ووحدة التراب الوطني، في حدوده التاريخية والجغرافية الحقة.

ويمكن أن نقول : إن كل ذلك أجملته وجسمته زيارة محمد الخامس إلى طنجة سنة 1947، أول زيارة يقوم بها خارج النطاق الحديدي والسور الفولاذي اللذين كانت تضربهما حواليه الإدارتان : الفرنسية والإسبانية، طبق معاهدة الجزيرة، والنظام الدولي الذي كانت تخضع له طنجة أيامئذ. ففي تلك الزيارة التي أربكت الاستعمار، أعلن ابن يوسف أهدافا أربعة كانت بمثابة اللبنة الأولى في الأساس الذي قامت عليه الدولة العلوية الجديدة، الأساس الذي كان فيه محمد الخامس الحجر الأساس لمستقبلنا، وما ننتظر أن يحققه وارث سره، ونحن معه، أن يحققه لهذا الوطن الكريم.

لقد أعلن في خطبه ونشاطه هناك :

أولا : وحدة المغرب الأقصى : في حدوده التاريخية والجغرافية، وبالتالي وحدة المغرب العربي الكبير، عن طريق الدعوة إلى تمتيع شعوبه بحقوقها في الحرية والاستقلال، والمطالبة بتحرير الجزائر وتونس، وعن تقديم ولي عهده خطيبا مصقعا مفوها اهتزت العروبة بفصاحته وبيانه، واهتزت الدوائر الاستعمارية وعقولها هلعا من أصالة

أفكاره، وبعد نواياه ومقاصده، فأشعل عيونها بغضا، وصدورهم ملئت غيظا وحقدا... بقدر ما امتلأت قلوب الشعب المغربي بهجة وسرورا وحبورا، ونفوسهم افتخارا واعتزازا وإكبارا.

وفي ذات الوقت، قدم ابنته وفلذة كبده الأميرة الجليلة (للا عائشة) خطيبة بدورها، ثائرة على جامد التقاليد. وعائق العادات، داعية أختها الفتاة المغربية إلى نفض الغبار عنهن، والتطويح بالتقاليد التي جعلت نصف الأمة، أو أكثر من ذلك، شبه مشلول، وغير ذي غناء لمدة قرون من تاريخنا.

ثانيا : ودشن هناك سياسة الدعوة لتعميم التعليم، وجعله حقا مشاعا لكل سائر المغاربة، وشجع بالخصوص التعليم الحر ومدارسه التي كانت معاقل لإعداد الخلايا الحية التي كانت بذرة المقاومة الشعبية.

وأكد - ثالثا - عروبة المغرب وإسلامه.
وأكد - رابعا - انتماءه الإفريقي

ففيما يخص العروبة : قال ابن يوسف في رحلته الطنجية في خطاب 10 أبريل سنة 1947 (غني عن البيان أن المغرب دولة عربية، صلتها وثيقة بالشرق العربي، فمن الطبيعي أن يزداد هذا الاتصال متانة وقوة).

وفي خطاب العرش لسنة 1957 قال : (إن المغرب ينتمي إلى عالم العروبة والإسلام الرحب الفسيح، وهذا الانتماء يجعله شديد الاهتمام بما يجري فيه، متتبعا عن كثب تطور أحواله، مؤيدا قضاياه العادلة في المنظمات الأممية، كما أنه سيسعى لتقوية ما يصله به من أواصر معنوية ومادية، ترجع إلى قرون طويلة).

وقد جاء التأكيد على هذا الانتماء أيضا في خطابه الذي وجهه إلى مؤتمر الجامعة العربية المنعقد بالدار البيضاء، فاتح سبتمبر 1959، والذي تلاه عنه بالنيابة ولي عهده ليومئذ صاحب الجلالة الحسن الثاني، فقد قال فيه : (المغرب الذي لم يتردد في الانتظام في سلك الجامعة العربية بعد استقلاله، عازم على القيام بدوره الكامل في حضنها، بجانب أشقائه، أداء لواجب يفرضه انتماؤه للعروبة).

وانطلاقا من هذه الزاوية كان موقفه من قضية فلسطين والجزائر، فقد قال عن الجزائر في خطاب العرش لسنة 1957 : (ونريد أن نؤكد هنا موقفنا من قضية الجزائر الشقيقة التي هي بعض من كل هذا المغرب العربي، فنحن نؤيد دائما رغبتها في الحرية والاستقلال، ونعد هذا التأييد مما يدخل في التزاماتنا نحو ميثاق الأمم المتحدة، والمبادئ المتعلقة بحقوق الإنسان وحرية الشعوب في تقرير مصائرها، ونكرر رجاءنا في أن يهتدي المسؤولون إلى حل عادل سلمي يحقن الدماء، ويضمن المصالح العليا للطرفين، وبذلك تستعيد أقطار الشمال الإفريقي الثلاثة أمنها واطمئنانها، ويتأتى لها حينئذ أن تتعاون - طبقا لما تفرضه وحدتها التي أحكمتها الروابط التاريخية والجغرافية - من أجل استكمال نهضتها والقيام بدورها في إقرار السلم والاستقرار في هذا الجانب الهام من حوض البحر الأبيض المتوسط).

وقال عن قضية فلسطين - من جملة ما قاله - في 29 يناير 1960 : (نحييكم إخواننا اللاجئين ونجدد تأييدنا وتضامننا معكم، ونعلن لكم أن قضية فلسطين التي نعدها من قضايانا الوطنية، ستبقى في طليعة ما نهتم به من قضايا العروبة والإسلام).

وأكد هذه العروبة وتوج هذا التأكيد عندما قام بزيارته الرسمية إلى دول المشرق العربي. وقد سار ابنه ووارث سره صاحب الجلالة الحسن الثاني على نفس الدرب في هذا الانتماء العربي، ومن كلماته في الموضوع قوله :

(لم ننس في وقت من الأوقات أن المغرب جزء من العالم العربي، وأن بيننا روابط ماسة، يجب علينا في كل وقت وحين أن نعمل على تنميتها وتعزيزها).

وهذا الموقف من الحسن الثاني كان إحدى اللبنات الأولى التي وضعها نصب عينه منذ أن شرفه الله بعرش هذه الأمة، فقد جاء في خطاب الذكرى الأولى لاعتلائه العرش :

(وأن مما يدعم الكيان العربي ويعزز مكانته، ذلك الحدث السعيد الذي لاحت بشائره في سماء جناحنا، ونقصد به ميثاق أقطار المغرب العربي...).

على أن إيمان الحسن الثاني بعروبة المغرب لم يقف عند مجرد الكلام، أو ترديد الشعارات، وإنما جسمه بالفعل حين أرسل جيوشه الظافرة الغلابة إلى سيناء والجولان، غداة اعتداء إسرائيل خامس يونيه 1967، على الأراضي السورية والمصرية، وقال كلمته الخالدة، توديعا لهذه الجيوش : (إن قائدكم وملككم الساهر على حماية الدين لمتيقن أنكم ستبرهنون في هذه الظروف الدقيقة، كما برهنتم غير ما مرة عن رسوخ عزائمكم، وثبات أقدامكم، وحميد سجايكم، وجميل مزاياكم).

وقد أيد تلك المواقف - في هذه المناسبة - بما دعا إليه من تضامن العالم الإسلامي كله ضاربا المثل من نفسه حين فرض على شعبه اكتتابات مالية لإعداد العدة وضمان النصر، وما يزال - جلالته - إزاء القضية الفلسطينية، القضية المصيرية لكل العرب والمسلمين - يتحمل أعباءها وثقلها، ويكفي أن نذكر أنه منذ سنوات ما يزال الرئيس للمؤتمر الإسلامي، وللجنة تحرير القدس.

وأما الولاء للإسلام : فما نظن أننا في حاجة إلى سرد الأقوال، والإتيان بتصريحات الملوك والسلاطين العلويين في هذا المجال، ولكن للأمانة التاريخية نرى إثبات كلمات لمحمد الخامس رحمه الله ولابنه صاحب الجلالة الحسن الثاني، في الموضوع، إذ ما من خطبة يلقيها صاحب الجلالة الحسن الثاني، إلا وترد فيها الدعوة الحارة والملحاحة والتوجيه المدعم بالحجج والبراهين، والتأكيد على أن الإيمان بالإسلام عقيدة وسلوكا، هو وحده الكفيل بإبلاغ المغرب جميع ما يصبو إليه ويترجاه، ويحقق له العظمة والظهور والرخاء والازدهار... فمن كلمات محمد الخامس في ذكرى مرور أحد عشر قرنا على قيام جامعة القرويين : (إن أفضل ما استعمله الإنسان إقامة الدين الذي تصفو به السرائر، وتزكو به النفوس، وبه تقوم الدنيا التي يتعايش فيها الناس).

وقال - وهو يوجه الخطاب لمجلة (دعوة الحق) أول بداية صدورها - : (إن حرصنا على الاعتصام بحبل الدين، والتشبث بمبادئه، والسير على سننه، ليعد إحدى العوامل الأساسية في خروجنا من معركة الحرية ظافرين، وسيظل عاملا أساسيا في تحقيق أهدافنا المنشودة، كأمة تواقة إلى حياة راقية كريمة).

وجاء في الخطبة التي ألقاها محمد الخامس بمسجد تطوان الأعظم : أيها الناس أن شكر النعم يؤذن بدوامها، وكفرانها يؤذن بزوالها، وأن نعم الله علينا لا تحصى، ولا تعد ولا تستقصى، فقد هدانا للإسلام فتخلقنا بأخلاقه، ومهد لنا طريق الجهاد في سبيله فاعتززنا بسلوكه... ألا وإن الاستقلال لا يدوم إلا بصالح الأعمال، وأن العزة والكرامة لا تتمان إلا بالاستقامة والإيمان، وهاتان هما أسس الفضائل الإسلامية، وجماع الأخلاق القرآنية ﴿**إن الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾. دعوة الحق عدد 4 السنة الأولى ص 3 / 1957 - 1377 هـ.

ونفس الكلمات صدرت من الحسن الثاني موجهة لنفس المجلة وبنفس المناسبة فقد قال - حفظه الله - (والناظر في نهضة المغرب الحديثة يدرك أنها نهضة تهدف إلى إقامة مجتمع سليم على مثال ما دعت إليه تعاليم الإسلام النقية الطاهرة).

ومن كلماته الثابة في الموضوع : (إن الديانة الإسلامية خليقة بأن تكون أساسا للعمل في البناء، لأنها تنبني على فضيلة جماعية، تعود بالنفع على الجميع وعلى المجتمع. وأملي أن يبقى دائما هذا البلد الأمين، في طليعة الدول الإسلامية، التي تحمي تراث الإسلام، وتساير روح القرن العشرين. وأريد أن أوكد - شعبي العزيز - أن الديانة الإسلامية ليست ديانة عبادات فقط، ولكن هي في الأول والتالي ديانة للتعامل والمعاملات). دعوة الحق ص 101 العدد 3 السنة 14.

ويقول جلالته : (وإيماننا برسالة الإسلام. ربطت الدولة العلوية وجودها بقيام حركة علمية واسعة عرفت مسيرة متواصلة، عبر التاريخ. هذا التاريخ الذي يحدثنا عن كيف أن المولى الرشيد كان يحضر بنفسه مجلس العلامة أبي علي اليوسي تحفيا به وإكبارا للعلم... وسجل اليوسي هذا الحضور في رسالته إلى المولى إسماعيل فقال : (ثم جاء المولى الرشيد بن الشريف فأعلى للعلم مناره، وأوضح نهاره، وأكرم العلماء إكراما لم يعهد، وأعطاهم ما لم يعد، ولا سيما بمدينة فاس ففضح من قبله، وأتعب من بعده، ولو طالت مدته لجاءته علماء كل بلد).

يقول جلالته : فإذن كانت حركة الدعوة إلى الله والإسلام في تاريخ هذه الدولة تواكبها حركة علمية عرفت مسيرة ما انقطع حبلها أبدا... فالتاريخ يحدثنا كيف أن أبا النصر صنو المولى الرشيد كان يأمر العلامة المجاصي بختم التفسير في قصره، ويقوم بخدمة العلماء الحضور لذلك، ويصب الماء على أيديهم إجلالا للعلم والعلماء.

وكان سيدي محمد بن عبد الله ـ كما يقول عنه عبد السلام بن الخياط القادري ـ إماما، من علماء الإسلام له تصانيف تقرأ بالمشرق والمغرب، فهو الإمام الموهوب لهذه الأمة على رأس المائة.

وكان المولى سليمان ولوعا بزيارة القرويين وزيارة علمائها. قال عنه صاحب الدرر الفاخرة : (وكان يحض على العلم ويشجع على تعاطيه ونشره بالتدريس والتأليف، في مختلف الفنون، وكان يزور جامعة القرويين كل آونة، ويتردد على مجالس الصدور، ويزور شيوخ العلم وقاداته بدورهم، ويلبي دعوة من استدعاه منهم ويعود مرضاهم، ويحضر جنائزهم).

وكان للسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن باع طويل وقدم راسخة في العلوم الفقهية والعقلية : كالحساب، والتوقيت، والتنجيم، والهندسة، والموسيقى، وختم كتاب أقليدس في الهندسة.

وكان المولى عبد الحفيظ عالما ذا تآليف عدة، في النثر والشعر والأواجيز التعليمية لا تحصى.

وجاء العهد الحسني ليعطي المسيرة الدينية والعلمية أبعادا جديدة تجلت ـ بصفة خاصة ـ في القرارين الملكيين الساميين، اللذين اعتبر أولهما تدريس لغة القرآن في الكليات والجامعات واجبا. وأوجب الثاني فرض الصلوات وإقامتها في أوقاتها الشرعية في جميع المؤسسات التعليمية سنة 1967. وتوج ذينك القرارين بحدثين هامين :

القرار الأول : إحداث دار الحديث الحسنية.

القرار الثاني : قيامه هو شخصيا بالمشاركة الفعلية في الدروس الحسنية الرمضانية التي لن ينسى العالم الإسلامي منها درسيه الجامعين المانعين.

الأول : حول قوله ﷺ : «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، الحديث»،وكان ألقاه سنة 1967.

والثاني : حول قوله تعالى : ﴿**إنا عرضنا الأمانة...**﴾ الآيات وقد ألقاه سنة 1969.

ثم توج كل ذلك بصدور أمره المولوي باستئناف الدراسة بجامعة القرويين على نفس النهج والطريقة اللذين أبرزا أولئك الفطاحل من العلماء، الذين عرفهم هذا البلد الأمين، ولمزيد العناية بذلك وضع شؤونها تحت رئاسته المباشرة. كما كان فعل أبوه يوم أحدث النظام في كليتي : القرويين، وابن يوسف...

وأما الولاء للإسلام لدى الدولة العلوية فقد اتخذ مهمة التربية الأولية والأساسية في توجيه أفراد الأسرة المالكة، فلم يفتأ ملوكها ينشئون عليها ولاة عهودهم، بمباشرة جميع الشعائر والطقوس الدينية، والابتعاد عن كل ما قد يشوب العقيدة أو السلوك من مجانفة الإسلام، أو يؤثر فيهما بما لا يتفق وصفاءهما وأهدافهما السامية. ويدخل في هذا الإطار ما أتاه ابن يوسف حين رفض توجيه ابنه وولي عهده صاحب الجلالة الحسن الثاني إلى فرنسا لمتابعة دروسه الثانوية، ليحافظ على إكمال نضجه الديني في المحيط الإسلامي، وليوفر له أسباب الاتصال القوي بأمته، في ماضيها وحاضرها، وهو لا يزال فطري النفس، طري القريحة، مستعدا أن

يتأثر تأثرا عميقا بالمحيط الذي يعيش فيه، ولتلافي هذا التأثر، أنشأ رحمه الله ورضي عنه، لولي العهد ولإخوته الأمراء من بعده ثانوية داخل القصر، طعمها بأفراد من مختلف شرائح المجتمع المغربي لتكون صورة طبق الأصل لمختلف هذه الشرائح.

وأما عن النظام الداخلي الذي امتاز به وجود الدولة العلوية : فيتجلى في ظاهرتين اثنتين :

إحداهما : التجاوب بين العرش والشعب.

والثانية : الحكم الديمقراطي.

والتجاوب ذاك أوجده وأكده عنصران :

الأول : ما أشرنا إليه قبل من الطريقة التي تمت بها نشأة الدولة العلوية من العفوية، ورغبة الأمة في ملوكها، ابتداء بما أظهروه من حب لهذا الوطن ومقدساته، حين تطوعوا ببذل أرواحهم في الجهاد في سبيل الله وفي سبيل هذا الوطن.

والثاني : مشاركتهم هذا الشعب في سرائه وضرائه، واستعدادهم الدائم لتحمل الأعباء، وما يفرضه الحكم الصالح، من مسؤولية الحاكمين، وكونهم رجال الساعة.

وفي هذا المجال، نتجاوز ما عرف من مواقف سيدي محمد بن عبد الله، والمولى إسماعيل، والحسن الأول، والمولى عبد الحفيظ، لنقف على صور من مواقف صاحب الجلالة محمد الخامس، وابنه ووارث سره الحسن الثاني، فيما يخص حماية وحدة التراب والحفاظ على المقدسات.

فعن التجاوب القائم بين هذا العرش والشعب : نجد أن الملوك العلويين دأبوا يشيدون بهذا التجاوب ويثبتونه ويدعون إليه، بل ويجعلونه إحدى مفاخرهم، فلنسمع لمحمد الخامس يتحدث عن نتائجه، بل واعتباره من أجل نعم الله على هذه الأمة... قال رحمه الله في خطاب العرش لسنة 1956 : «إن الله لم يتم علينا وعليكم هذه النعم إلا بما كان من الانسجام الكامل بين العرش والشعب».

وتصور هذا التجاوب أجمل تصوير كلمات الحسن الثاني في خطاب العرش لسنة 1966، حيث يقول : «شعبي العزيز، إن ما بينك وبين عرش هذه البلاد من صلة وشيجة، وأواصر متينة، ليس وليد اليوم، بل إن هذه الصلة وهذه الأواصر استمرت عبر الدهور، وامتدت مدى الأزمان والعصور، فكان هذا الاستمرار، وما يزال، دليل شعورك بالواجب نحو وطنك، وبرهانا على شديد وعيك، وسديد بصرك بمصالحك، ولم يفت أسلافنا المنعمين إدراك هذه المزايا، فبادلوك وفاءا بوفاء، وكما ورثنا عن آبائك وأجدادك مزية الوفاء، وسجية الإخلاص، فقد ورثنا نحن عن آبائنا وأجدادنا العناية بك، والرعاية لك، والعطف عليك، والثقة بإمكانياتك ومواهبك» دعوة الحق ص 8 عدد : 4 السنة التاسعة.

وكانت مواسم أعياد العرش أعظم المناسبات لإبراز هذا التجاوب، حتى لقد كان السلاح الذي حارب به المغرب الاستعمار الفرنسي.

قال ابن يوسف عن عيد العرش : «إنه المناسبة التي يبرز فيها مدى التجاوب التام بين ملك وشعب، فطرتهما يد الله على الولاء، وجمعتهما على الوفاء، وسوت بينهما في النعماء والبأساء، وقسمت بينهما الحب قسمة عادلة، وجعلت من الملك مودع سيادة لا يفرط، وحافظ أمانة لا يخل، ولسان صدق

لا يداهن، وقائد ميدان لا يهن، ومن الشعب سيفا لا يفل في القراع حدُّه، وجندا لا يفتر عند اللقاء شنّه وشده، شغفته المعالي حبا فركب لبلوغها المخاطر، واسترخص لإحرازها كل غال ونفيس» من خطاب العرش 1959.

على أن أول كلمة خاطب بها محمد الخامس شعبه غداة أوبته من منفاه هذه الكلمة الخالدة التي تحمل أكثر من معنى من معاني هذا التجاوب، قال : «لقد أخلصتَ كما أخلصتُ، وأديت الواجب أداء كما أديت». ثم ختم كلمته بهذا الدعاء القرآني. ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور**﴾ (فاطر) الآية : 34.

ولم يزل رحمه الله طيلة حياته يضغط على هذا المعنى ويركز عليه، حتى لقد اشتهر من كلماته في الموضوع لدى الجميع قوله : «إن الضمان الأكبر للوصول بأكبر سرعة ممكنة إلى غاياتنا هو تماسك العرش والشعب، ووحدتهما وامتزاجهما».

ومن هذا التجاوب، كان إيمان هذا العرش بالنظام الديمقراطي والملكية الدستورية. هذان الهدفان اللذان وضعهما ابن يوسف وابنه منذ الوهلة الأولى لمباشرة المغرب سيادته فجر الاستقلال. وهكذا سجل خطاب العرش لسنة 1957 هذه الكلمات : «اهتمامنا منصرف الآن إلى إنشاء حكم ديمقراطي نزيه، مستمد في أن واحد من تعاليم ديننا الحنيف، وتقاليد ماضينا، ونظم العصر القويمة، وغايتنا منه إقامة نظام ملكية دستورية، وإشراك الشعب في تسيير الشؤون. وسيتم ذلك بانتخابات تجري على مراحل. ونحن معتمدون على نبل الشعب المغربي، في أن تكون التجربة التي سيدعى إليها تجربة مثمرة، وأن تجري الانتخابات البلدية المقبلة في دائرة الهدوء والتعقل، وأن تكون مدعاة للتعاون والوئام، لا سببا في التخاذل والخصام».
دعوة الحق : 7 عدد : 6 السنة الأولى.

ونفس الخط سلكه الحسن الثاني حفظه الله حيث جعله الهدف والغاية. فقد جاء في أول خطاب للعرش سنة 1961 هاته الكلمات : «أبتاه ها أنا أمام قبرك الطاهر، وتحت نورك الباهر، أعاهد الله وأعاهدك وأعاهد الشعب على أنني سأسير على سنتك، وسأقتدي بسيرتك، وسأسهر بعين لا تنام، حتى أحقق لشعبي العزيز ما يصبو إليه، وسأعمل كامل جهدي حتى يأخذ كل ذي حق حقه، وسأعبئ الأمة من أجل صالحها، ولصالحها. حتى نلتحق بالركب السائر، وحتى نقضي على التخلف في جميع مظاهره».

وقد كانت تصريحات صاحب الجلالة الحسن الثاني في هذا الخطاب وفي خطب العرش، بل خطب كل المناسبات صريحة وواضحة فيما يخص جعل نظام الدولة المغربية نظام ملكية دستورية ديمقراطية.

ففي ثاني خطاب للعرش سنة 1962 قال : «ونحن الآن عازمون على تتويج عملنا بنظام تمثيلي، يضطلع فيه رعايانا بمسؤولياتهم، بواسطة مؤسساته، شعورا منا بأن القواعد التي أرسيناها، نحن ووالدنا، أصبحت الآن متينة، واقتناعا برشد شعبنا، الذي برهن في مختلف المناسبات على أنه شعب واع متبصر، مقدر للمصلحة العليا للوطن، وأنه أهل

لممارسة المؤوليات، في ثقة متبادلة بينه وبين ملكه». دعوة الحق ص : 10 عدد : 5 السنة الخامسة.

وفي خطاب العرش لسنة 1963 قال جلالته : «إننا لنشعر بطمأنينة ما لها من مثيل، أن وفقنا الله إلى إنشاء نظام ملكية دستورية، هذا النظام الذي أنشأناه، اقتناعا منا بصلاحيته، وضرورة إنشائه، إذ ما كان لدولة متحضرة أن تبقى في النصف الثاني من القرن العشرين بدون قانون أساسي يبين الحقوق والواجبات، ويحدد السلط وينظمها، ويعين ما للحاكمين من حق التسيير والتدبير، وما للمحكومين من حق المراقبة والتعقيب».

وجاء في خطاب العرش لسنة 1965 الكلمات الآتية : «وإنه لمما يملأ النفس فرحا وسرورا، ويغمر القلب انشراحا وحبورا، أن نرى الديمقراطية التي اتخذناها للحكم نظاما، وجعلناها للعمل أسلوبا، تنمو غروسها، وتترعرع أفنانها، وتؤتي ثمارها المطلوبة، وقطوفها المرغوبة، ولما يمض على إقرارها نظاما للحكم في المغرب زمن طويل، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الملكية الدستورية التي سعينا نحن وشعبنا الوفي لإنشائها تنجم تمام الانسجام مع تقاليدنا الأصيلة، وطباعنا السليمة التي تهيم بالحرية والعدل والمساواة، وتأبى أي نوع من أنواع القهر والكبرياء» دعوة الحق، 6 ع :4 السنة الثامنة.

وجاء في الخطاب الذي دشن به الدورة الأولى لمجلس النواب في 9 أكتوبر 1970.

«...سياستنا ـ كما تعلمون ـ مبنية على الديمقراطية التي تعني الازدهار الاقتصادي، المبني على الإنتاج والمبادلات على الصعيدين الدولي والجهوي، وتعني النهوض الاجتماعي، الذي يعني إيجاد المغربي الكريم العزيز الذي يحمد الله تعالى وبلده الذي وفر له العيش والطمأنينة والأمن والسلام والتعليم والصحة والمسكن والشغل والطعام...».

ثم من أجلى صور هذا التجاوب المساهمة من الجانبين : العرش والشعب في المعارك السياسية التي خاضاها ضد الاستعمار بجميع أشكاله وأنواعه، هذه المعارك التي يشهد التاريخ المعيش أن الحسن الثاني اصطلى بنارها اللافحة، وشواظها الجاحم، فأبرزته ذهبا إبريزا خالصا، فإن أزمة فبراير سنة 1951، تلك التي تطاول فيها مقيم فرنسا العام «الجنرال جوان» على السيادة المغربية في شخصية العرش، حين حشد الغوغاء ليثور بهم على تلك السيادة، أبرزت تلك الأزمة الحسن الثاني في محاربة الاستعمار جهارا بروزا أدهش الجميع، فقد تولى يومئذ مهمة مفاجأة الإقامة العامة الفرنسية بتدخله الشخصي والمباشر فيما شهدته تلك السنة من الأحداث، حيث قام بزيارة المقيم العام، بغير دعوة من هذا الأخير، لمناقشته، في تلك الأحداث، فيتحدث أبو العباس أحمد التيجاني مستشار الإقامة لتاريخئذ بأنه حين لم تعر مبعوث محمد الخامس السيد المعمري اهتماما، وأرجعته بخفي حنين، ورفضت تبعا لذلك رد جلالة الملك محمد الخامس وقراره برفض مطالب الإقامة القاضي بتحويل المغرب إلى مجرد مقاطعة فرنسية، وكان ابن يوسف قطع الطريق على مناورات الإقامة بتزكية قرار

رفضة بموافقة وزرائه الذين وقعوا عليه، وكان إرجاع المعمري غير متوقع من أحد، مما جعل الصدر الأعظم يبكي لذلك... وقف الحسن الثاني في مجلس وزراء أبيه وقال : «أنا ما نعرفشي نبكي»... وطلب في التو مدير الديوان المدني للإقامة العامة وقال : أنا مولاي الحسن أريد الملاقاة مع المقيم العام، فلا يتركني أنتظر.

وفوجئت الإقامة العامة بهذه الخطوة الجريئة من الحسن الثاني التي لم تكن منتظرة، وكانت سابقة غير مفهومة، وربما حتى غير مقبولة في منطق الإقامة العامة، ولكن ولي العهد لحينئذ أقنع الإقامة العامة بأنه لم يأت لخوض هذه المعركة أعزل وبدون سلاح، ولكنه جاءها مدججا بأسلحة ما كان لممثل فرنسا أن يتجاهل مضاءها ولا أهميتها ولا مصداقيتها في مثل ما تشهده الأوضاع وهذه المعركة بالذات، لقد جاء ومعه أسلحة مستوردة من جامعة «بوردو» الفرنسية، ولم تكن سوى تلك المعارف القانونية التي لقنها هناك على يد فطاحل علماء فرنسا، بلد المقيم العام، معززة بتصميمه الموروث وراثة شرعية من جده الأكبر المولى إسماعيل الذي قارع (لويس الرابع عشر) بكل إعجاب وتقدير مما كرة ومحاورة كان فيها إسماعيل المبرز والفارس المجلي ولم يكن الحسن الثاني إلا فرعا من تلك الدوحة وغصنا من تلك الشجرة.

وتوج هذا التجاوب بالإعجاز والإعجاب حين بلغت الأزمة بين العرش والإقامة، تقريبا الباب المسدود في أية مفاهمة، وحين بلغت الأحداث درجة الانفجار، والتي انتهت فعلا وواقعيا إلى أزمة عشرين غشت 1953، وقد ركب الطاغوت رأسه، فتطاول على الشعب المغربي في مليكه وولي عهد هذا المليك. ذلك فإنه إذا كانت قد أقامت الأسرة المالكة أعظم برهان على إيمانها بهذا الشعب فإن هذا الشعب بدوره استجاب لدواعي هذا الإيمان، وكان في المستوى. وهنا تجلى إيمان الحسن الثاني حين أصبح السند الأقوى. والرفيق الأوفى. والساعد الأيمن، لمحمد الخامس في المنفى ويبرز لوالده العظيم، التحقيق الواقعي لأمله، وآمال الشعب المغربي جميعا فيه. صادرا في كل ذلك عن إيمانه العميق بالشعب المغربي، الذي ما انفك يشيد بعبقريته، وصمود إيمانه، والذي ما انفك من جهة أخرى يعبر عن شهامته ومميزاته، في مختلف المناسبات، من مثل قوله في أول خطاب له :

«ونحمد الله تعالى على تمتين الروابط التي تربطنا وإياك، وإعزاز الأواصر التي تصل عرشنا بك، وتمكين ما بيننا من وفاء وانسجام، لقد كانت هذه الرابطة بين الملك وشعبه أكبر عامل في صنع تاريخنا المديد، وبفضل ذلك التجاوب بين من تعاقبوا على عرش هذه الدولة وبين شعب هذه البلاد. أمكن تذليل الصعاب، ولولا ذلك التجاوب والتساند والتكاثف والتعاطف لما أمكن أن يوصل الحاضر بالماضي. ولما تيسر أن تستأنف البلاد سيرها، في ركب الأمم العاملة النشيطة دعوة الحق ص : 1 عدد : 5 السنة السادسة.

وعلى أن سياسة هذه الملكية الدستورية اتسمت بمثالية نادرة من طول النفس في معالجة الأمور وعدم الاستعجال وعدم الانسياق مع العواطف،

وكل ذلك نتيجة التربية الدينية الصارمة التي اعتاد ملوك هذه الدولة أخذ أبنائها بها. من مثل ما يتحدث عنه الحسن الثاني حول مواقف أبيه منه، قال صاحب الجلالة الحسن الثاني : (لن أنسى ما حييت الدرس العملي الذي تلقيته منك، وأنا أشرف على امتحان القسم الأول من البكالوريا، فقد أدركت أني قصرت بعض التقصير في واجباتي المدرسية، فدعوتني لتلقني درسا عظيما. إذ سألتني عن تاريخ أجدادنا من الملوك العلويين. وعن تاريخ الملك الصارم مولاي سليمان. وكيف أبعد أبناءه جميعا من ولاية العهد. لأنه لم يجد فيهم رجلا صالحا للقيام بشؤون الأمة، وعين لذلك أصلح أبناء أخيه، وقلت لي - يا صاحب الجلالة - : «لن أكون أقل صرامة وشدة من مولاي سليمان، ولذلك فالطريق أمامك واضحة. وسأساعدك على سلوكها. إن أمامك ثلاثة أشهر سجنا داخل المدرسة، لن تبرحها، ولن ترى أحدا من أفراد عائلتك وأصدقائك، حتى تؤدي الامتحان بنجاح». قال جلالته : «لقد كان هذا الدرس من أعظم الدروس التي تلقيتها في حياتي، علمني الاعتماد على اليقين، والانقطاع إلى العمل والتخلق والصبر وامتحان الضمير» دعوة الحق ص : 44 عدد : 1 السنة السادسة.

فكان من نتيجة هذه التربية أن تعلم ملوك هذه الدولة التؤدة والأناة في جميع تحركاتهم، وسياسة الحوار الهادئ مع الصرامة في الحق، والوضوح في الحجة والبرهان والبيان، مع الترفع عن مزالق الزلل، أو الانسياق مع العواطف العابرة. وهذا ما جعل ابن يوسف يترفع عن استغلال ما لا يتساوق والكرامة ولو ضد من هم في وضعية أعداء الوطن. فعندما نشبت الحرب العظمى الثانية 1939 / 1944 وكانت فرنسا في وضعية حرجة جدا، وكان في الإمكان استغلال ذلك للوقوف ضدها. وجه دعوته الصريحة إلى شعبه، للإنصات لمقتضيات الحصافة والأناة، والعزوف عن نزوات العاطفة والوقوف مع الحلفاء، وإن تكن فرنسا التي تستعمر بلاده المغرب منهم، لأن جانب الحلفاء كان معقد الآمال الديمقراطية في العالم آنذاك.

ويتحدث مؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور عن صور من هذا الحوار، فيقول عن زيارة جلالته لإسبانيا : «وقرر جلالة الملك الحسن الثاني الذي اتسمت سياسته منذ تولى الملك بالصراحة والوضوح، والمحاورة والإقناع، أن يقوم بزيارة ذات طابع شخصي إلى إسبانيا، يغتنم خلالها الفرصة لزيارة صديقة الخينراليسمو فرانكو، ويتحدث معه حول مستقبل الصحراء، في إطار المودة الراسخة التي تربطهما. وتبيد تلك السحب والمخاوف التي قد تساور اسبانيا، بسبب قرار الأمم المتحدة، القاضي بانسحاب اسبانيا عن قواعدها في الساحل المغربي، واجتمع يوم الثلاثاء فاتح يوليوز 1969 بفرانكو، وتحادثا في جميع المشاكل التي تهم البلدين، وفي مقدمتها مشكلة الصحراء المغربية السليبة، ورغم أن ردود اسبانيا كانت سلبية، فإن جلالته تمسك بهدوئه، واكتفى بالقول في ندوته ليوم الخميس 30 يونيه 1970 عن موقف اسبانيا من تأويل تقرير المصير للشعب الصحراوي : «لا مكان لاسبانيا ولا لأية دولة أجنبية في افريقيا، لأن الوجود الأجنبي

بمثابة الأعضاء التي تفسل في الأجسام ثم ترفض عاجلا أو آجلا، كما دلت على ذلك عمليات إفسال القلوب التي فشلت جميعها» دعوة الحق : ص : (25/24) س : 14.

وعندما أوشكت المفاوضات بين البلدين، حول تسليم منطقة (إيفني)، تطبيقا لقرار هيئة الأمم المتحدة رقم 1514 المصادق عليه في دورتها الخامسة عشرة، أن تتعرض للإنقطاع، ووقفت على باب مسدود بسبب تعنت اسبانيا، أصدر حفظه الله للمفاوضين المغاربة أوامره بالتذرع بالصبر والأناة. إظهارا لحسن النية، واجتنابا لكل مغاضبة، وابتعادا عما يمكن أن يفسر بأنه مساس بالكرامة. أو يجرح العواطف، أو يهيج الكبرياء... وتمشيا مع مبدإ الرّوية والأناة والحوار الهادئ، آثر أن لا يثير القضية في دورتي (1967 / 1968). ونجحت سياسته هذه، وأثمرت عن الاتفاقية التي أمضيت بفاس يوم السبت 4 يناير 1969 / 16 شوال 1388 والتزمت فيها اسبانيا بنقل السلطة إلى المغرب، وتسلم المغرب سيدي إيفني الإثنين 30 يوليوز 1969 / 14 ربيع الثاني 1389.

وتمشيا مع هذه السياسة الحوارية ـ إن صح التعبير ـ قال جلالته للسفير الإسباني أثناء تسليمه أوراق اعتماده إلى جلالته في 17 جمادى الثانية 1390 هـ 17 غشت 1970 م قال جلالته : (وبحل المشاكل في نطاق الاحترام، وحسن التفهم، وبالوسائل السلمية، يزداد التقارب، ويقوى التعاون بين الدول، في كل المجالات على ما فيه خيرها المشترك).

وفي نطاق هذه السياسة أيضا يتدرج الاجتماع الذي عقده جلالته مع رئيس موريتانيا المختار ولد دادة ومع رئيس الجزائر (بومدين) بنواذيبو الذي جاء بعد اجتماعي ايفران وتلمسان، حيث سافر جلالته إلى هناك عابرا أجواء الصحراء في 14 سبتمبر 1970 م.

وقبول فكرة الاستفتاء في الصحراء إنما هو من هذا القبيل. بل ذهب إلى أبعد من هذا وذلك حين عرض على فرانكو أثناء زيارته لاسبانيا سنة 1974 حسما للنزاع، ووضع حد لاستعمار اسبانيا لما تحتله من بلادنا بالمغرب ـ عرض عليه اعتبار مواقف اسبانيا : الاستراتيجية، والعسكرية، والسياسية، بقبوله توقيع اتفاقيات معها في هذه الشؤون كما صرح بذلك جلالته في خطاب عيد الشباب لسنة 1974. مع عدم التفريط في وحدة البلاد وكمال ترابه... ولهذا فقد أضاف لذلك العرض قوله : «وعندما سافرنا إلى اسبانيا سنة 1970، ودارت بيننا وبين الجنرال فرانكو محادثة خاصة، كان عرضنا لهذه المشكلة ـ الصحراء ـ أعمق. وكان موقفنا أكثر مرونة، وسياستي هذه ليس فيها ما يخفى، لأنها واضحة كالشمس في وسط النهار، وإذ ذاك طرحنا على الحكومة الإسبانية الاختيارات التالية :

إننا نعلم الموقع الاستراتيجي لمدينة العيون و«فيلاسيسنروس» بالنسبة لجزر كناريا... وإننا نعلم أنكم تولون لهذه الجزر أهمية بالغة من الناحية العسكرية، ولذلك فنحن مستعدون ـ إذا أنتم أرجعتم للمغرب سيادته على التراب، إلى أن نضع رهن إشارتكم قواعد عسكرية لمدة ما نتفق عليها،

تجعلكم تطمئنون على «كناريـاس» علمـا منـا أن القواعد العسكريـة في الأخير لا ينتفع بها إلا البلد التي هي على أرضـه. وعلمـا من أن التطـورات الاستراتيجيـة، وتطورات الأسلحة، تجعل دائما من القواعد العسكرية شيئا يتطور. وقلنا أيضا : أما إذا كانت خيرات الصحراء، سواء تلك التي على الأرض، أو التي في قعر البحار، تهمكم كذلـك، فـالمغرب مستعد ليبرم معكم اتفاقية يشترك بموجبها معكم، في عمليات الاستخراج والتسويق، وكل ما من شأنه أن يستخرج ويسوق... وكنا نعتقد أن تفتحا مثل هذا لا يكون من شأنه إلا أن يرجع الإسبانيين عن غيهم، وينظروا إلى مصالحنا العليا، ويعلموا أنه لا محل ولا موضوع لبلد أجنبي في افريقيا، وهذه الحقيقة تزداد وضوحا وحقيقة يوما بعد يوم... أما الآن : وقد أحسسنا بأن أي مطلب من مطالبنا لم يستجب لـه، وأن اسبانيـا تسير إلى إقرار نظـام الاستقـلال الـداخلي، ونحن نعلم طبيعـة هـذا الاستقلال. فالسياسة الخارجية والدفاع تبقى في يد الدولة الحامية، فإذا - حقيقة - اتجهت اسبانيا هذا الاتجاه، فأنا شخصيا - كمسؤول على وحدة هذه البلاد من جهة، وعلى صيانتها من الأخطـار في المستقبل من جهة أخرى - وأترك هذا وصية لكل مغربي مغربي - فـإنـه لا يمكن أو يعقل أن يتم تنصيب دولة مزيفة لا حقيقة لها في جنوب ترابنا. لأنه من ناحية الاستراتيجية والهيدرولوجية، ومن ناحية المنافذ على بحر الأطلسي لا يعقل مثل هذا. لأنـه سيكـون خطرا مستمرا على سـلامة البـلاد وحرمتها، وعلينا وعلى أبنائنا، ومستقبل أبناء أبنائنا. فهذه ليست مسألة عاطفية فحسب، بل هي مسألة حيوية لكل مغربي. مدنيا كان أو عسكريـا، مسؤولا كان أم موظفا، رجل أعمال أو عاملا...» دعوة الحق ص : 9 / 10 العدد 7 : س 16.

وفي سنة 1975 وفي عيد الشباب أيضا قال : «لن نيأس من الحوار، ولكن لا دولة مزيفة في الصحراء. ثم دعا الأمة وشبابها إلى التجنيد والكون على الأهبة لنسترجع أراضينا».

ويتحدث أبو العبـاس التيجـاني الترجمـان للمستشار الفرنسي لدى المخزن (مارشا) عن بعض مواقف السلطان المولى يوسف فيما يتصل بهذا الموضوع فيقول : «مما لفت نظري أثناء مزاولة الأشغال أنه رحمه الله - أي المولى يوسف - جعل رائده العام في علاقته مع القوم - الفرنسيين - تغليب جانب الملاطفة واللين، كأنه يصب كمية من النار على خمرهم ليكسر من حدتها، ما دامت الأمور جارية مجراها العادي. حتى إذا مست بما هو من كيان الإسلام، كالقضاء ورجاله، ورجال العلم، أو واحد من كبار العمال، فهناك نرى منه وجها غير الذي عهدناه».

دعوة الحق (ص : 49 العدد : 8) س : 15 / 1973.

ومع ذلك فلا يفوتن التنبيه على أن مبدأ السيادة الوطنية الذي يعني بالدرجة الأولى صيانة وحدة التراب، مبدأ قار : لا يسمح العرش العلوي بالمحيد عنه، أو المساومة فيه، فمن كلمات ابن يوسف في الموضوع : «إنه لا توجد لدينا أية حرية جديرة بهذا الإسم، ولا مقبولة من النفوس إلا في

دائرة وحدة التراب القومي، وعدم قبول أي تجزئة فيه» 15 فبراير 1956.

وقال في خطاب العرش لسنة 1959 : «إن سياستنا الخارجية قائمة على المبادئ المتوخاة من المشاعر التي نحس بها، والمعبرة عن المصالح التي ندافع عنها، والمتأثرة بموقعنا الجغرافي، وأوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية، الرامية إلى صيانة استقلالنا، واستكمال وحدتنا الترابية. في دائرة التعاون مع جميع الدول. لذلك فإن قواتنا المسلحة الملكية ستظل واقفة على قدم الاستعداد لحفظ كياننا، والدفاع عن حدودنا ومواجهة كل طارئ...».

ويقول في نفس الخطاب : «وطبيعي أن يبقى في مقدمة أعظم الأهداف تحقيق جلاء القوات الأجنبية المرابطة ببلادنا. واسترجاع الأراضي المغتصبة من ترابنا الوطني، وبسط رعايتنا على أفراد شعبنا، الذين فصلوا عن وطنهم بغير إرادتهم، ولا موافقة سلطتهم الشرعية».

وقضية الجلاء هذه التي قررها محمد الخامس رضوان الله عليه، منذ الوهلة الأولى لفجر الاستقلال، وربطها بوحدة التراب وصيانتها، قضية خالدة في الملكية العلوية واعتبرها جميع ملوكهم قضية وطنية ودينية في آن واحد، ويجب أن لا ننسى أنه كان دشن فصولها الكبرى بمواقفه الحاسمة المولى اسماعيل الذي كان أعاد الصحراء وبلاد السودان، وأجلى الأوروبيين عن الشواطئ المغربية : ففي سنة 1092 افتتح العمورية (المهدية) عنوة، وفي 1095 أرغم الإنجليز على الخروج من طنجة، واستعاد العرائش في 1101، وأصيلا في 1102، ثم تقدم لحصار مدينة سبتة في أكثر من عشرين ألف مقاتل، وحاصرها حصارا عظيما. على أن موقف المولى محمد ابن عبد الله في هذا المجال لا يمكن أن ينسى.

ثم دشن محمد الخامس رحمه الله هذه السياسة : سياسة إجلاء الجيوش الأجنبية عن المغرب غداة الاستقلال، بتوقيعه اتفاقيتين في الموضوع، مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا. وزف البشرى بذلك لشعبه في خطاب العرش سنة 1956 فيما أذكر، وبإصدار بلاغ مشترك بينه وبين إيزنهاور. ثم بينه وبين فرنسا. ينصان على جلاء قواتهما قبل الثاني من مارس 1961.

وسار الحسن الثاني على نفس النهج، لأن الفكرة تضرب جذورها في أعماقه منذ ولادته، ذلك أنه عندما تلقى أبوه البشرى بولادته تاسع يوليوز 1929. شاء القدر أن يلهم هذا الأب أن يطلق عليه اسم الحسن، تيمنا باسم جده الحسن الأول. الذي شهد المغرب لعهده حربا عوانا بينه وبين الدول التي كانت إليها مقاليد العالم وقواه في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، من أجل الاستيلاء عليه واقتسام النفوذ فيه، فكان الحسن الأول القائد المحنك الحصين الذي جنب وطنه وشعبه الانخداع، أو الخضوع للأجنبي. وأرى العالم أن المغرب ما يزال يحتفظ بقيادة واعية حصيفة، تعرف كيف تحفظ له سلامته وكرامته، في تلك الحرب السياسية العوان. فليست تسمية محمد الخامس ابنه وولي عهده باسم

جده الحسن اعتباطية أو ومضة خاطر، ولكنها كانت قصودة هادفة، بدليل ما قاله يوم فتح مدرسة القصر هذا الابن ولإخوته، فقد وجه إليه الكلام قائلا : يا بني، لقد اخترت لك من الأسماء (الحسن) لأربط ين حاضر البلاد وماضيها القريب والبعيد، وليكون ك في جدك المولى الحسن خير إسوة وأعظم ندوة»، ثم يعود ابن يوسف لترديد نفس الفكرة غداة وليته هذا الابن ولاية العهد، حيث يقول : «تذكر جدك الحسن الأول : كان عرشه على ظهر فرسه، كثرة تنقله في البلاد، ومشيه في مناكبها، متفقدا لرعية، سامعا للشكاة، مستأصلا الجرائم والبغي والفساد».

ولم يخب ظن ابن يوسف ولا آماله في ابنه الحسن، فقد التزم هذا الابن الصالح والملك المصلح بهذه الوصية وجعلها من أهم اهتماماته منذ أول يوم ألقى الله إليه فيه زمام هذه الأمة بعد فاجعتها في أبي نهضتها، ومقيلها من عثراتها، ومحرر استقلالها، فكان مما جاء في أول خطاب له بعد تسلمه السلطة، هذه الكلمات الخالدة : «وإني أعاهد الله وأعاهدكم على أن أضطلع بمسؤولياتي، وأؤدي واجبي طبق مبادئ الإسلام وقيمه السامية، وتقاليدنا القومية العريقة، ومقتضيات مصلحة الوطن العليا، كما أعاهد الله وأعاهدكم على أن أدافع عن حوزة الوطن واستقلاله وسيادته» مارس 1961.

واستمر هذا الالتزام وما يزال مواصلا، بحيث لا تخلو خطبة من خطبه نصره الله من التصريح بهذا العهد الإلتزامي.

وبعد، فتلك خطرات استوحيناها من حلول الذكرى الثلاثين لتتويج الحسن الثاني على عرش أسلافه المنعمين وهي جد مقتضبة، عن محاور وأهداف الدولة العلوية في الحكم والسياسة والتوجيه والتدبير، ذلك لأن محاولة الإحاطة ولو بجانب واحد من جوانب أعمال ومواقف هذا العرش وبملوكه، وبالأخص محمد الخامس وابنه الحسن الثاني، شيء إن لم يكن من رابع المستحيلات، فهو فوق المستطاع، ولا يسعنا أمام هذا البحر اللجي والخضم المائج من جليل الأعمال، إلا أن نرفع أكفنا بالدعاء إلى الله تعالى العلي القدير، متوجهين إليه بقلوبنا الطافحة بمشاعر حفظ الذمم، الزاخرة بآيات الإجلال والإعظام، سائلينه سبحانه وتعالى، أن يسبل شآبيب رحمته ورضوانه على روح بطل الأمة الخالد، وعلمها المجاهد، فقيد العروبة والإسلام وباعث نهضة المغرب الهمام، مولانا محمد الخامس وأن يشمله بالرحمة والغفران، والمثوبة والرضوان، جزاء ما قدم لأمته وللإسلام من خير الأعمال، فقد قضى عمره مناضلا مكافحا، ومناصرا ومصابرا، لم يهن له عزم، ولم تلن له قناة، فغالب الصعاب، وصارع المكائد والأهوال، ولم ينل من نفسه تهديد، ولم يثن إرادته وعزيمته وعيد. وأسدى رحمه الله لهذا الشعب وللعروبة والإسلام أسنى الأيادي، وأجمل المكرمات، وأسمى المبرات، وبذل في سبيل تحرير المغرب واستقلاله أعظم التضحيات، فأثاب الله جهوده أحسن ثواب، وكتب له العفو وحسن المآب، بما تحقق لشعبه على يديه ما كان يصبو إليه من خلاص وانعتاق، وحرية وانطلاق، وإننا لنبتهل إلى الله في

هذا اليوم، أن يجازيه عما بذل وأسدى، وأسلف وقدم، بأوفى ما يجازي به النبيئين والصديقين والشهداء الأبرار، وأن يجعل مثواه في جنات عليين، ومقامه محمودا بين أوليائه المتقين والصالحين.

وأن يؤيد خلفه الصالح الحسن الثاني بالتوفيق والسداد، وأن ينسئ في عمره حتى يحقق لأمته ما يتمناه لها، وما تصبو هي إليه، من رفاه وعزة واستقرار.

فاس - عبد الكريم التواتي

وإن الله الذي ألف بين مشاعرنا ومشاعرك، ووشج بين مصيرنا ومصيرك، وأمدنا فيما طلبناه وابتغيناه بكريم عونه وجميل توفيقه، وكلل أعمالنا بأكاليل الظفر والفوز، إن الله سبحانه وتعالى، لهو المسؤول سبحانه، أن يوالي لنا نعمة العون والتاييد فيما نستقبله بحول الله من أعوام وأحقاب، ويكون لجهودنا المزمعة، وأمانينا الغالية خير ولي وأعز نصير.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده،
الذي ألقاه في 2 رجب 1407هـ / موافق 3 مارس 1987م
بمدينة الرباط
بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لعيد العرش المجيد.

إشراقة العيد

للشاعر: عبد الواحد أخريف

أهَلَّ عيدك فازدانت روابينا ... واهتز صادحنا، وافتن شادينا

أهَلَّ واليمن يجري في مواكبه ... نشوان يعزف للبشرى تلاحينا

والسندس الأُخضر الريان منتشر ... على البسيطة منداح أفانينا

وللربيع ابتسام في حدائقه ... تحيي نسائمه روح المحبينا

والطل جوهره اللماع منتثر ... على الوريقات يستصبي الرياحينا

والطير فوق غصون الأيك منشرح ... يشدو على منبر التغريد مفتونا

والزهر يزهر فتانا ومبتهجا ... تزكو روائحه وردا ونسرينا

والسلسبيل جرى عذبا، تجاوبه ... مع الجداول أنغام تسلينا

عرس الطبيعة في أبهى محاسنها ... يختال زهوا وإشراقا وتزيينا

مذ كان للزمن الفتان بهجته ... تدعى «الربيع» وتزجي حسنه حينا

لكن ذروة ذاك الحسن ما كملت ... حتى التقت بين عيديه مرامينا

عيد الربيع وعيد العرش قد قرنا ... جمال ما تبتغيه نفس راجينا

إن كان ذاك بعطر الزهر منتشيا ... فعطر هذا بفخر المجد يحيينا

وقد كسا الحسن هذا الشعب بردته ... حسا ومعنى، فشاهد ما يواتينا

يا أيها الغرد المثني على غرر ... من المكارم لا تنفك تاتينا

هل في قصيدك ما يجلو لنا صورا ... عذراء من مجدنا، زهراء في فينا !؟

يعيدها كتراتيل مرنمة ... لسان من يشكر النعماء واللينا

يردد الشعب منها كل آونة   آيات فضل لمن قد بات يحمينا
للعاهل الشهم من أضحى بهمته   نموذجا يقتدى أو أسوة فينا
في العلم والحزم والإخلاص ممتزجا   بالشعب يجعله من حبه دينا
منذ اعتلى عرش آباء غطارفة   جرى من الخير فيض ظل يروينا
سل السدود وفي أعطافها نِعَمٌ   تُدِرُّ قوتا لهذا الشعب مضمونا
سل المعاهد يعليها فتنفحنا   آلاءها، وتميت الجهل مدفونا
تسخو عطاء ومن أسنى عوارفها   تزداد أمتنا عزا وتمكينا
من ارتوى من عيون من معارفها   يجد لدى «الحسن الثاني» أمانينا
أضحى الشباب به في خير منزلة   يجني بها الأمل المنشود غالينا
آفاق مستقبل غراء باسمة   مناه يخطر تيها يرفع الدونا
ما كان غير أمير المومنين له   أبا على شرف الحياة مأمونا
لا يأس ما دام فينا عاهل وهبت   له العناية عطفا ظل يغنينا
في كل يوم نرى من عزمه صورا   تزيد أمجادنا من فوق ما شينا
المنجزات بلا حصر تلاحقها   كالسيل فاذكر - إذا شئت - الملايينا
هاذي المعامل في شتى مرابعنا   تزجي من الوفر ما قد صار كافينا
العاملون بها تهمي سواعدهم   فينتجون ثلاثا أو أثانينا
لا يسأمون ومن كانت عزائمهم   من روح عاهلهم دوما يزيدونا

☆ ☆ ☆

يا أيها الملك الميمون طالعه   والمرتدي حلل التوفيق تحسينا
بنيت وحدتنا الكبرى على أسس   متينة جاوزت ما كان مظنونا
ان «المغارب» بنيان تَوَحُّدُهُ   على يديك علا يحكي تصافينا
لدى «مراكش» قد شيّدت وحدته   مع الأشقاء في بشرى تلاقينا
قد كان حلما فلما رمت ألفته   دعوت مجتهدا فقال : آمينا
مبارك الخطو، يغدو في ركابك ما   يرجو الكمال وما تهوى أمانينا
إذا أردت فإن الله ينجز ما   تريده لصلاح فيك يرضينا
لك الأيادي على العرب الكرام غدت   تترى تحيط بها العرب الميامينا
تأسو جراحهم إن مسهم ألم   وانتات صفهم أمر يعنينا

و«القـدس» كم لـك عنهـا من مـواقف لم	تفتـأ تنـاصر حقـا صـار مغبـونـا

على «فلسطين» كم كـافحت منتضيـا	سيفـا من العـزم تخشـاه أعـادينـا

يجـاهـد الشعب فيهـا صـابرا بطـلا	مقـدمـا من ضحـايـاه القرابينـا

سيطلـع الفجر فيهـا بـاسما جـذلا	وينسـخ النصر مـا تشكـو ليـالينـا

مـا دمت تنصرهـا فـاللـه نـاصرهـا	ولم تـزل أبـدا فـألاً لـداعينـا

☆☆☆

مـولاي يـا حسن الـدنيـا وسيـدهـا	ونـاصر الـدين تجـديـدا وتلقينـا

قـد أكسبتـك حميـد القـول مـا صنعت	يمنـاك من عمـل الأبرار تـولينـا

فـاهنـأ بعيـدك عيـد العرش خـافقـة	أعـلامـه مـزهـوات في أعـالينـا

ودمت للشعب نبراسـا تنير لـه	سبـل الهـدى وعليهـا نـورهـا دينـا

وعـاش في حضنـك الغـالي بتـالـده	ولي عهـدك يقفـو نهج بـانينـا

وصنـوه وعيـون الرشـد تكلـؤه	وآل بيتـك مـا لاحت مغـانينـا

ومـا شـدا الشعب عنـوانـا لعـزتـه	«الشعب بـالعرش» تتلى في نـوادينـا

تطوان ـ عبد الواحد أخريف



المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين

إن مدينـة القـدس، القبلـة الأولى للعـالم الإسـلامي، وملتقى الأديـان، ومهبط الرسالات السماوية، أصبحت هدفا للتهويد، ومرتعا لسياسة الاستيطان، وتغيير المعالم الدينية والتاريخية، مما يحمل الإنسانية كلها والعالم الإسلامي والمسيحي بصفة خاصة، أمانة الوقوف بحزم في وجه الإجراءات الإسرائيلية، للمحافظـة على التراث الحضاري الإسلامي والمسيحي لهذه المدينة المقدسة.

* * *

إن القدس هي رمز لالتقاء الإسلام بالأديان السماوية المقدسـة، وهي في نفس الوقت نقطة الانطلاق لجميع الحضارات، وقد تولى المسلمون أكثر من 1300 سنة شؤون هذه المدينـة المقـدسـة، وسجل التـاريخ وشهـد العـالم كلـه، تسـامحهم واحترامهم للأديان الأخرى، وهم وحدهم الذين يستطيعون ضمانة واستمرار هذا التسامح، وهم الذين ينبغي أن يكونوا حراسا وأمناء على الأماكن المقدسة، لأنهم هم الذين يؤمنون بأديان الأنبياء الثلاثة الراسخة جذورها في القدس الشريف.

* * *

واعتبارا لما للقدس من مكانـة خـاصـة في نفـوس المسلمين، فقـد قـرر المؤتمر الإسلامي إنشاء لجنة دائمة تسمى لجنة القدس هدفها الدفاع عن المدينة المقدسة وصيانتها، ومتابعة تنفيذ القرارات الإسلامية والدولية بخصوص القدس، وخلال اجتماع المؤتمر العاشر بمـدينـة فـاس، اجتمعت كلمـة وزراء خـارجيـة الـدول الإسلامية على إسناد رئاسة هذه اللجنة إلى شخصنا، وهو عبء ثقيل، ومسؤولية جسيمة، سنعمل بكل قوانا على الاضطلاع بها، أحسن ما يكون الاضطلاع.

من رسالة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده.

الموجهة إلى الندوة العالمية للقدس.

يوم الإثنين 13 محرم الحرام 1400 هـ موافق 3 دجنبر 1979م

المدارس العتيقة في سوس والملوك العلويون

للأستاذ الحسين وجاج
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بتزنيت

في عيد العرش المجيد، يحلو الحديث حول الأصالة والقيم والأنشطة المنجزة والتي تنجز باستمرار، ليبقى المغرب كما كان دائما موطن العقيدة والإحسان، وبلد العلم والإيمان، ورائد الحرية والسلام.

وإنه لمن فضل الله عليه، أن أكرمه عبر عصور تاريخه بقادة صالحين ومصلحين، يدعونه إلى الخيرات، ويدربونه على إنجاز الأعمال الصالحات، فكان كما يريدون شعبا مومنا بربه، عاملا لحماية عقيدته ومقدساته، وباذلا كل ما في وسعه للدفاع عن أمته وأصالته، وقائما بواجبه في تنمية تاريخه وتراثه.

وإن الحديث عن هذا التراث، وهذا التاريخ يدعونا ونحن في الجنوب المغربي أن ننقب عن المدارس العتيقة الأصيلة وتشجيعات الملوك العلويين لهذا النوع من التراث فنقول :

إن من المعروف تاريخيا أن أول مدرسة في بوادي المغرب هي مدرسة «أبي محمد وكاك» التي تسمى بالرباط، والمؤسسة في أول القرن الخامس في زاوية أكلو بضواحي تزنيت، وأبو محمد وكاك من تلاميذ أبي عمران الفاسي الملتزمين بنشر العلم والدين، والقائمين بواجبهم في تربية المسلمين، وإعلاء كلمة رب العالمين، والعاملين معه وبعده في تركيز نهضة علمية ممتدة إلى جزولة، حيث استفاد منها عبد الله بن ياسين، الذي كان يسرب من غنائمه في الصحراء، ويقبل على الفقهاء للأخذ عنهم في تلك الجهات[1].

1) سيدي محمد المختار السوسي ـ سوس العالمة ص : 18.

وإن هذه النهضة العلمية المركزة في الجنوب المغربي بفضل توجيهات أبي عمران الفاسي لأبي محمد وكاك ومعاصريه، لهي التي مهدت السبيل لعبد الله بن ياسين ومن بعده، وساعدت على انتشار الفقهاء في جزولة، والإقبال على تشييد المدارس العلمية العتيقة، وتنظيم اللقاءات الدينية بين الرجال والنساء، وإذكاءِ التنافس بين السكان المتجهين بالتدريج نحو إنشاء الكتاتيب القرآنية والمدارس العلمية في مختلف القبائل والمداشر، حتى أصبحت سوس كلها تسير علميا في ركب فاس وسبتة وسجلماسة وأغمات وسلا وطنجة وتادلة، باذلة كل ما في وسعها لنشر العلم والدين، ونفع الناس أجمعين.

ورغم أن مدرسة وكاك هي الأولى كما يقول المؤرخون في لفت الأنظار، وتحريك الحماس إلى تشييد المؤسسات المهتمة بالعلم والدين، فإن هناك ما يدل على أن حركة علمية أخرى سابقة في سجلماسة وأغمات، وإن الازدهار العلمي السائد فيها خلال القرنين الثالث والرابع، لابد وأن تستفيد منه سوس القريبة منهما، وأن يتهيأ هناك جو يساعد فيما بعد على حركة أبي عمران ووكاك وعبد الله بن ياسين التي جددت النشاط العلمي، وفتحت الباب واسعا أما أفراد من أحفاد وكاك وسيدي وساي، وأسلاف الأغرابوئيين، وأبي يحيى الجرسيفي خريج الأندلس، وعمه سعيد بن النعمان، وابن عمه الجزولي الجرسيفي وغيرهم من الذين خدموا العلم بإخلاص فيما بعد حتى قيل : «إن هناك في سوس مدفنا لعدد كبير من البنات يحفظن المدونة فضلا عن الرجال».

وإذا كانت الحياة العلمية في سوس يسودها الغموض قبل القرن التاسع، فإنها في القرن المذكور مزدهرة ازدهارا كبيرا، وانتشرت العلوم والفنون في سملالة وبعقيلة ورسموكة، وأيت حامد، واقا، وغيرها، مما جعل القرن العاشر يطلع بحركة علمية رائعة، دفعت العلماء إلى الميدان الحيوي والمعترك السياسي، فشاركوا في الأمور العامة، وهذبوا الشعب بالخلق الإسلامي الكريم، وعلموه كيف يحافظ على أصالته وعزته، وكيف يعتز بلغته وعقيدته عبر العصور، وكيف يسير في نفس الدرب في عهد الدولة العلوية التي كانت سعد السعود على السوسيين خاصة، وعلى المغاربة عامة.

ففي عهد ملوك الدولة، تجددت الحياة العلمية في سوس، وأقبلت القبائل على إنشاء المدارس العلمية في كل مكان، وأعطيت للعلماء مكانة خاصة بهم، بحيث يعتبرون حراس الوحدة المغربية، وسياجا متينا دون الثوار الذين يحاولون من حين لآخر شق عصا الطاعة أمثال : «بوحلاس» الذي ثار في مفتتح إمارة المولى سليمان فتصدى له العالمان : الأستاذ علي بن إبراهيم الأدوزي، والأستاذ محمد بن أحمد التاسكاتي، وقاوماه مقاومة عنيفة، مستعينين بفقراء أدولتيت وغيرهم من المجاهدين، حتى قضى عليه في بلدة العوينة، وتركت جثته في العراء جزاء له على خيانته لملكه ونقضه لبيعته[2].

---

2) (نزهة الجلاس في أخبار أبي أحلاس) لمحمد بن أحمد الأدوزي (مخطوط).

وقد شجع هذا التقدير العلوي العلماء، وأقبلوا على عمارة المدارس ونشر العلوم، وتحركت القبائل بدورها نحو الاهتمام بأمور العلم والدين، وتعاون الجميع على تركيز الأصالة وتجديد الحضارة، وخدمة الشرع واللغة، وإنارة الساحات بنور القرآن الكريم، وتعاليم السنة النبوية المطهرة، وحماية الوطن من كافة الدخلاء والمغرضين[3].

وقد نال هذا التجديد المدشن في تامكروت منذ المولى الرشيد أوجه في عهد سيدي محمد بن عبد الله ومولاي الحسن الأول ومحمد الخامس رحمهم الله، ووارث سره مولانا الحسن الثاني نصره الله، ففي عهدهم وقع إقبال عظيم على الإنشاء والتجديد، وفي أيامهم سار موكب العلم والعلماء في درب التكريم والتقدير.

وحينما زار المولى الحسن الأول سوس سنة 1299 هـ وسنة 1303 هـ، لم يغب عنه الدور الذي تقوم به المدارس العلمية العتيقة وعلماؤها لصالح الدولة والعلم والدين، فلاقى كل العلماء بتجلة وإكبار، وقدم أرباب العلم على أرباب الرئاسة فتأتى له بذلك أن تفتح له كل الأبواب، وغمرت محبته كل جوانح الأهالي، واستطاع أن يطهر الشواطئ من الدخلاء، ويحرر التراب الوطني من المدنسين والمستعمرين دون أن يضطر إلى استعمال أي سلاح، الأمر الذي جعله رحمه الله لا يُوَلّي قائدا حتى يسأل عنه العلماء الذين يحضرون دائما في ركابه، مثل السيد أحمد بن إبراهيم السملالي ونظرائه.

ويمثل هذه المعاملة الكريمة من المولى الحسن الأول ومن أتى بعده - رحم الله الجميع - اكتظت المدارس، وزخرت المعارف، وتوالت البعثات إلى تامكروت، وفاس ومراكش والأزهر الشريف، وتنافست القبائل على إشادة المدارس العلمية والكتاتيب القرآنية وعلى تنظيمها والقيام بها، بما خصص لها من ثلث الأعشار، وحبّسَ عليها من الأثرياء، وبالهبات التي تَرِدُ عليها من صميم أموال السكان، الذين يدفعون ذلك كله سنويا بنظام خاص، وفي يوم معين، مما جعل عدد هذه المدارس يناهز المائتين كما ذكر ذلك الماريشال ليوطي في بعض خطاباته[4].

وإن مما يحمد الله عليه، أن يبقى أمر هذا التعاون بين الملوك والعلماء والسكان ممتدا عبر العصور، وأن تستمر العلوم العربية في سوس متماسكة الحلقات، تحوطها جهود، وتبعثها قرائح، ويمدها الشعب والعرش بتنشيط ماي وأدبي عظيمين، مكناها - رغم الخمود الساري على كل العلم العربي في المغرب منذ صدْر القرن الثالث عشر - من أن تواصل حركتها في صمود، وأن تتجاوز أمواج علومها الأطلس الكبير إلى قبائل الحوز،

3) سيدي محمد المختار السوسي. (سوس العالمة) ص : 23.

4) سيدي محمد المختار السوسي. (سوس العالمة) ص : 25.

بفضل التمكديشيين الذين أسسوا من سنة 1242 هـ مدارس مزوضة وأبي السباع، وكدميوة ومسفيوة، والرحامنة وغيرها من القبائل التي تشبعت بدورها بروح العمل التعليمي الذي يبشرها به العلماء التمكديشيون، وأن ما عثرنا عليه من ظهائر التوقير والتكريم التي تحمل طابع الملوك العلويين، والخاصة بعلماء المدارس العلمية العتيقة في كل من سوس وحاحا والشياظمة والحوز، لتدل دلالة صادقة على الاهتمام الذي يوليه هؤلاء الملوك لهذه المدارس وعلمائها المجاهدين والساهرين دوما على وحدة هذه الأمة، القائمة على العلم والدين، والحب المكين، بين المُبَايِعِين والمُبَايَعين، والتقدير الكبير لأمراء المومنين.

وقد أبى كل من الملك الراحل مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه، ووارث سره مولانا الحسن الثاني نصره الله، إلا أن يعملا في هذا الاتجاه، ويشجعا التعليم الأصيل في مؤسساته العتيقة، وفي معاهده الخاصة، فانتشر في جل الأقاليم وخاصة أقاليم سوس، التي نورها معهد محمد الخامس بتارودانت، ومعهد الحسن الثاني في تزنيت، وفروعهما في كل من أكلو وماسة وسيدي بيبي وأيت باها وتالوين، وتمنار، وغيرها من المراكز التي حببت إلى الشباب الإقبال على العلم والدين والتخلق بالخلق الإسلامي العظيم.

وإذا كان مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه قد نظم القرويين ونشر علومها في المعاهد الإسلامية، فإن مولانا الحسن الثاني سار في نفس الدرب، وأنشأ عددا من المعاهد الأصيلة، وجدد نظام القرويين في شكل الجامعة، ووزع كلياتها في كل من فاس وتطوان ومراكش وأكادير، وأسس الدراسات الإسلامية العليا بدار الحديث الحسنية ومختلف الكليات.

وقد ذَكَّرتْ الزيارة الملكية لأكادير بهذا التعاون الواصل بين الملوك والعلماء عبر العصور، وجعلت التاريخ يعيد نفسه، وشجعت المناسبة الكريمة جميع العلماء ليقوموا بواجبهم التاريخي والوطني، ويعمروا المساجد بتلاوة القرآن الكريم والدعوات الصالحة، ليحفظ الله أمير المومنين الحسن الثاني، ويمكنه من تحقيق طموحاته الشاملة لآمال المواطنين وكافة المسلمين.

وكم كان سرور العلماء عظيما حينما قرر مجلس جامعة القرويين المنعقد في دورته الثانية بكلية الشريعة بأكادير برسم السنة الجامعية 89 / 1990 ما دعا إليه مولانا الحسن الثاني أعزه الله منذ سنة 1961 من الاهتمام بطلبة المدارس العلمية العتيقة، وفتح المجال أمامهم ليواصلوا تعليمهم في التعليم العالي بالكليات التابعة لجامعة القرويين، وأجمع أمره على إنصاف هذا النوع من المواطنين بإحداث أقسام للكفاءة في الشريعة على غرار أقسام الكفاءة في الحقوق المطبقة في كليات الحقوق منذ بداية الاستقلال إلى الآن.

وهكذا سارت بحمد الله الحركة العلمية الأصيلة في جنوب المغرب منذ القديم إلى الآن

بفضل الارتباط الروحي المتين بين الملوك والعلماء عبر القرون، وبفضل هذا التواصل المتجدد في كل عصر على الشكل المفيد والمعين على نشر العلوم الإسلامية بين المومنين.

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾.

تزنيت - الحسين وكاك

لقد انطلقنا - منذ أناط الله بعهدتنا السهر على شؤونك - من اعتقاد راسخ مكين في قرارة نفسنا، وفحوى هذا الاعتقاد أن الرعية وديعة الله عند راعيها، ومن ثم كان اهتمامنا الملازم الذي لمست حرارته وتلمسها باستمرار في كل مبادرة نتخذها، وفي كل ممارسة نسخر لها قصارى كفايتنا وعنايتنا.

لقد منحنا مصالحك في جميع الظروف كامل رعايتنا، وآثرناها بالأسبقية والتقديم، قياما منا بالواجب المتحتم، وحرصا منا على تامين وتوفير رخاء العيش وطيب الحياة، والازدهار والرفاهية والأمن والاطمئنان لأجيالك المعاصرة، وللأجيال اللاحقة الواردة من ذريتك وأعقابك.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده،
الذي ألقاه في 2 رجب 1407 هـ / موافق 3 مارس 1987م.
بمدينة الرباط.
بمناسبة الذكرى السادسة والعشرين لعيد العرش المجيد.

الجيش المغربي قاهر الأعداء

في عهد أبي النصر المولى اسماعيل

للأستاذ عبد الحق المريني

بعد وفاة المنصور السعدي دبّت عوامل الضعف في صفوف الجيش المغربي لضياع كثير من القُدرات العسكرية في حروب داخلية مزّقت وحدة البلاد. فلم يستطع لا رجالات العلم والإصلاح ولا المجاهدون، مثل السملاليين في جنوب المغرب، والدلائيين في وسطه وشرقه، والعياشيين في الشمال وفي الغرب أن يقاوموا المسيحيين المتدفقين على الشواطئ المغربية، والمغيرين عليها، رغم ما بذلوا من جهد جاهد لإيقاف زحفهم. وإذا كتب للغزاة الإسبانيين والبرتغاليين أن يحتلوا شواطئ الغرب وموانئه وحصونه، فإنهم لم يستطيعوا ـ كما فعل الرومان والوندال من قبل ـ أن يتوغلوا داخل البلاد المغربية الا نادرا، ولفترة محدودة من الزمن، نظرا للمقاومة التطوعية التي كانت تواجههم من طرف المجاهدين والمناضلين من طلبة العلم وأصحاب الزوايا ورجال القبائل.

وفي هذه الظروف الحرجة من تاريخ المغرب برز العلويون وبدأوا يتحفزون للإعلان عن دعوتهم ونشرها في ربوع المغرب. وانبرى أول ملك في دولتهم المولى رشيد يحارب الحكام الجهويين، ويوحد بين أقاليم المملكة التي فرقت بينها الإمارات الجهوية، حتى أصبح ملكا للبلاد بدون منازع يحكم المغرب من مراكش إلى وجدة.

ولما توفي المولى رشيد تولى الملك أخوه وعامله على مكناس السلطان المظفر أبو النصر المولى إسماعيل بن الشريف أعظم سلاطين العلويين قوة وأجلهم قدرا. فلما تمت بيعته بفاس كون الجيوش الحافلة والعساكر الوافرة والخيول المطهمة، ونهض من مكناسة التي اتخذها دار قرار لتمهيد البلاد وقمع الثورات الداخلية وإخضاع العصاة والمتمردين ومنازلتهم بقوة الحديد والنار. ومن حسن حظ المولى إسماعيل أنه ما ثار عليه ثائر الا وغلبه

لقوة شكيمته وشدة بأسه، فطاعت لـه البلاد بـأسرهـا، وامتـدت مملكتـه من خـدود السـودان جنـوبـا إلى ضواحي تلمسان شرقـا. ولـذلـك قـال شاعر من أهل عصره :

ألا قـل لمن شـق العصـا كـان يبتغي
ورام لهـذا الملـك بـالهـزم ينسـخ
فمـولاي إسماعيـل بـاز ملحـق
إذا صرصر البـازي فـلا ديـك يصرخ

ولم يستطع المولى إسماعيل أن يصل إلى هـذه النتيجة إلا بفضل حنكة قيـادتـه العسكريـة، وبفضل جيش جرار مدرب أعظم تـدريب ومسلح بـأقـوى سلاح في ذلك العصر. كان الجيش الإسماعيلي العتيد مؤلفـا من آلاف المتطـوعين الـوافـدين على مركـز قيادته ـ مكناسة الزيتون ـ من جميع نواحي المغرب وخصوصا من العناصر الآتية :

ـ **جيش الأودايا :** وقـد كـان معظمهم من عرب معقـل، الـذين استـوطنـوا الصحراء، ومن أهـل سوس ومن المغـافرة. وكـانوا يشكلـون النـواة الأولى للجيش النظـامي. وعلى ذكر المغـافرة فقـد تصـاهر المولى إسماعيل مع هذه القبيلة إذ تزوج منهـا بـامرأة إسمها للا خناثة بنت بكـار المغـافري التي ولـدت لـه السلطان مولاي عبد اللـه. وقـد كـانت هـذه الزوجـة بمثابة مستشارة لزوجها المولى إسماعيل أزيد من ربع قرن، وكانت أيضا فقيهة وعـالمـة أشرفت على تربيـة حفيدها السلطان المشهور سيدي محمد بن عبد اللـه. (كتب عنها كثير من المؤرخين المغاربة، وكتب عنها الأجانب بحوثا في مجلاتهم التاريخية).

ـ **ثم يـأتي جيش النـار :** وهـو يتـألف من المغاربة والأندلسيين ـ النازحين من الأندلس ـ، ومن بعض عناصر اللفيف الأجنبي الـذين وقعوا في الأسر، أو تطوعوا في صفوف الجيش الإسماعيلي.

ـ **ثم جيش «البـاخر» (البخـارى) :** وهـو جيش العبيـد أو الحرس الأسـود، وهم بقـايـا العبيـد الذين أتى بهم المنصور السعدي لمـا دخل إلى **السـودان** لنشر الرسـالـة الإسلاميـة في هـذه الربـوع الإفريقيـة. وقـد كـانـوا أشـد عنصر في الحركـات العسكرية وخصوصا لما كـان يواجـه المولى إسماعيل بهم الإسبانيين والإنجليز في الشواطئ المغربية. وقـد تلقى هؤلاء الجنـود السـود تكـوينهم العسكري الأول بمكـان يـدعى «مشروع الرملـة» غير بعيـد من أبي رقراق، حيث تدربوا على استعمـال الأسلحـة وركوب الخيـول بـدون سروج، وعلى الرمـايـة بـالبنـادق والمـدافع، وعلى الحراسـة بـالليل، وعلى جميع فنون الحرب. وكانوا يـدربون على قراءة القصص البطوليـة كقصة عنترة بن شداد العبسي في الجاهلية.

أما وحـدات الجيش الإسماعيلي فكـانت تتكون من المشـاة (25.000) والخيـالـة (10.000). وكـانت خيـولهم من الصـافنـات الجيـاد. وكـان لكـل فرس قيمان : واحد من الأسارى والآخر من العبيد. وكـان المشـاة والخيـالـة مقسمين إلى فيـالق، والفيـالـق إلى طوابير. وكان الخيـالـة دائمـا وراء المشـاة لتعزيزهم في حالة الحرب. أما في حالـة السلم فكـانوا يقومون بـدور الـدرك وحراسـة المراكـز العسكريـة. وكـان للمولى إسماعيل اعتنـاء كبير بـالخيـل حيث أنـه بنى

قصرا سماه «قصر الخيل». ويقول أخر شعراء عصره (أبو حفص عمر الحراق) على لسان هذا القصر :

أنـــا قصر العتـــاق من الجيـــاد
بَنَــانِي اللـــه في نحر الأعـــادي
على يـــد عبـــده المنصـور حقـــا
وصُلْتُ على القصـور بكـل نـــادي
وكيف لا أصـــول على المبـــاني
وإسماعيـــل قـــد أسمى عمـــادي
وشيــــدني بتــــوفيـــق ويمن
وعمّرني بــــآلات الجهـــــاد
الخ...

ومن وحدات الجيش الإسماعيلي : **الطبجية** أي رجال المدفعية، كانوا يرابطون خصوصا في فاس وفي المغرب الشرقي، وكـانوا يستعملون المـدافع (الذي كان يصنع بعضها بالمغرب بعد تذويب النحـاس) والمجـانيـق والقنـابـل وآلات الحصـار والمتفجرات (المينات). ولما كان الجيش الإسماعيلي يفتح مدينة العرائش وضع هذه «المينـات» تحت خنـادق سـور المدينة لفتح الثغرات فيـه، ومن تم اقتحمها ودخل إليها فاتحا.

وليست هـذه أول مرة يستعمـل فيهـا الجيش المغربي الأسلحة النـارية، بل سبق لـه أن استعملها في العهـد المريني كمـا وقـع ذلـك في حصـار سجلمـاسـة من طرف الجيش المريني، وفي حصـار تلمســان من طرف جيش أبي الحسن حيث كـــان يستعمـل المجـانيق التي كـانت تقذف بـالصواعق وبالكرات الحديدية.

ومن وحـــدات الجيش الإسماعيلي أيضـــا «**المخازنية**» الـذين كـانوا يشكلون الحرس الملكي لتحصين المدن وحراستها.

وكـان المـولى إسماعيـل يسهر بنفســه على تـدريب وحـدة **المتطوعين** في جيشه من شباب قوي متحمس، فيـدربهم على الفنون الحربيـة، وعلى ركوب الخيل بدون سروج، وعلى السبـاق والرمـايـة. وهو الذي كـان يتولى استعراضهم بنفسه ويـدفع لهم رواتبهم.

وكـان السلطـان العلوي يمتـاز بخبرة حربية ومهارة كبيرة في قيـادة الهجومـات ونصب الكمـائن، يجعلانـه يتبوأ مكـانـة في صف الفـاتحين العـالميين كـالإسكنـدر أو نـابليـون. فكـان يستفيـد حتى من طبيعـة الأرض ومن العوامل الجويـة كهبـوب الريـح الذي يساعده على توجيـه غبـار سنـابك الخيل نحو جهـة العـدو. وكـان أكبر بنـاء للقلاع العسكريـة (القصابي). بناها في النقط الاستراتيجية من البلاد ما بين تـازة وتـارودانت. وكـانت ترابط فيهـا حميـات مكونة من المشاة والفرسـان. ومن جملـة هـذه القلاع التي ما زالت قائمة إلى الآن : قلعة أكوراي وتـادلـة ومديونة وسلوان (بالشمال)...

بهـذا الجيش المنظم والمجهـز والمـدرب على فنـون الحرب والعراك غـزا المولى إسماعيـل جميـع المنـاطق الثـائرة، وحارب أعداء البلاد وأصحاب الفتنة والعنـاد، وهدد بـاحتلال المغرب الأوسـط للوقوف في وجـه زحف الأتراك الـذين طردهم من بني يـزنـاسن وتلمسـان (1638 م) (ق 17). وتوجـه على رأسـه إلى الثغور والموانئ والمرافئ المغربية لتحريرها وحصـار

محتليها، واستخلاصها من قبضتهم تلبية للرغبة الشعبية ولنداء شعرائه الذين استغاثوا به واستصرخوه :

كقول أحمد بن عبد العزيز العلوي :

افتح قرى للنصارى واسب سبيهم
وافن طغمتهم فالله قهار

بادر وزاحم عُداة الدين في عدد
لهم من الله أنداد وأظهار

وألق من جيشك المنصور كل فتى
كأنه في غمار الحرب إعصار

انصر حمى الدين واكفف من يكايده
لقد سما قدركم واعتز مقدار

فمن المعروف أنه لما اعتلى المولى إسماعيل العرش المغربي وجد البريجة (الجديدة) وآنفا في قبضة البرتغال، ومدينة طنجة في يد الانجليز، ومدن (المهدية) (أي المعمورة) والعرائش وأصيلة وسبتة ومليلية وبادس والجزر الجعفرية في يد الإسبان. فقام بتحرير المهدية (المعمورة) (نسبة إلى المهدي بن تومرت مؤسس الدولة الموحدية) بعد 70 سنة من الاحتلال الإسباني، وبعد أن كانت محتلة من طرف البرتغال من ذي قبل. ثم توجه إلى فتح مدينة طنجة فحاصرها وضيق عليها حتى اضطر الإنجليز للجلاء عنها والفرار في البحر هائما. ولقد كتب قائد الجيش البريطاني الذي خسر طنجة سنة 1685 م منوها بالقوات المغربية قائلا : «إنه لم ير أبدا رجالا أشجع من المغاربة في ساحة الحرب، ولا شعبا من الشعوب أكثر يقظة وإقداما وصبرا وقدرة على العمل من الشعب المغربي».

ولما طال حصار المغاربة لمدينة العرائش، أرسل إليهم المولى إسماعيل جيشه العتيد لحفر الخنادق تحت الأسوار وملئها بالمواد الملتهبة والمتفجرة التي أحدثت ثغرات في الأسوار، وتبادل الجيشان المغربي والإسباني طلقات المهاريس والمدافع الثقيلة، وفرت الجيوش الإسبانية على متن سفنها، ولكنها وجدت البوارج المغربية بصددها، وبذلك دخل الجيش الإسماعيلي إلى العرائش. وأنشد محمد بن عبد السلام بن الطيب القادري قصيدة شينية مشهورة يصف فيها اندحار أعداء الإسلام أمام أبطال الجيش الإسماعيلي، مطلعها :

علا عرش دين الله كل العرائش
وهد بنصر الله حصن العرائش

وأسلم للإسلام من بعد كفره
بوقع سيوف لا برشوة رائش

وبعد ذلك هاجمت الجيوش الإسماعيلية مدينة أصيلة التي احتلها الإسبان أيضا بعد البرتغال، ونازلتها، وضربت الحصار حولها. وقد ضاق الإسبان بهذا الحصار فولوا الأدبار وانسحبوا منها عن طريق البحر.

ولما طال حصار سبتة 26 سنة، وتطلع المغاربة لا ستخلاصها أنشد الشاعر عبد السلام كسوس الفاسي قصيدة يحرض فيها المولى إسماعيل على استرجاع مدينة سبتة :

فعت منـــازل سبتـــة أقـــوالهـــا
تشكـو إليكم بـالــذي قــد هــالهــا
ـــــار عليكم أن تكـــون أسيرة
بجـــواركم وجنـــودكم تغـــزى لهـــا
ـابعث لهـا أهـل الشجـاعـة عـاجـلا
حتى تراهـــا نـــازلين جبـــالهـــا..

فتوجهت همـة المـولى إسماعيـل لشن الغـارات عليها وحصارها. وبقي المجاهدون المغاربـة مرابطين حولها سنين طويلة تخللتها مناوشات وتحرشات متتابعة.

وأمر السلطان العلوي جيشه بشن حملة حصار شديدة حول حصن بادس. وقد أحاط الجنود به واقتحموه واستولوا عليه وكانت جزيرة بادس محل صراع طويل بين قراصنة الأتراك وقراصنة الإسبان للاستيلاء عليها لمكانتها الحربية حيث كانت صلة الوصل بين مدينتي فاس وتازة وبين الأندلس. كما حاصر الجيش الإسماعيلي مدينتي مليلية والحسيمة. وبعد هذه الحصـارات من طرف الجيش الإسماعيلي أصبح المغرب في عهده وفي عهد حفيده سيـدي محمـد بن عبـد الله ـ أي حتى أواخر القرن الثـامن عشر الميلادي ـ موحدا سياسيـا، ومهيبا عند الدول المسيحية بسبب حنكة جيوشه، وبسالة جنوده، وقوة أساطيله.

وقد غنم الجيش الإسماعيلي في فتوحاته هذه عددا كبيرا من الأسلحة والعتاد الحربي من الجيشين الإسباني والبرتغالي، وبنى لها دارا للسلاح بمكناس (الهري)، أودع فيه آلافا من المكاحل والبندقيات والمدافع والسيوف. وكانت بهذه الدار خزائن أخرى مملوءة بالهدايا والتحف التي أهديت للسلطان، و«مطامر» لخزن الزرع والبارود. وكان يحرس هذه الدار أسارى إنجليزيون.

ولم يقف الجيش الإسماعيلي عند هذا الحد بل توجه إلى فتح «السودان» بعد أن ضم الصحراء إلى المغرب، ووصل إلى مدينة «تكزال» ودخلها بقوة البنادق والمدافع. وكان هدف المولى إسماعيل من غزو «السودان» هو ضم الأقاليم المحيطة بالمغرب تحت راية الإسلام، وجلب عدد كبير من أبناء «السودان» الأشداء واستخدامهم في وحدات الجيش لتعزيز صفوفه.

وبالإضافة إلى ذلك أنشأ المولى إسماعيل وزارة «البحر» وعهد إليها بمعالجة شؤون أسرى الحرب. وقد أسر المولى إسماعيل كثيرا منهم، ومن القراصنة من مختلف الجنسيات. وقد بنى لهم سجنا تحت الأرض، من تصميم مهندس برتغالي كان سجينا عنده. ولما تم بناء السجن أطلق سراحه.

والخلاصة أن المولى إسماعيل هو الذي قوى وحدات الجيش المغربي وأعاد إليها البأس. وبفضلها استطاع أن يرد مدنا عزيزة ومراسي نفيسة، تحكّم فيها الأجانب سنين طوالا، وأن يجعل من المغرب قطرا عزيز الجانب منيع الحوزة، زاخرا بالبروج الحصينة والقلاع المشيدة، والقصبات المكينة والقصور والمغاني الرائقة. وقد تبارى كثير من شعراء العصر الإسماعيلي في تخليد الخصال العسكرية الحميدة التي كان يتحلى بها أبو النصر المولى إسماعيل، وتمجيد إبادته بجنوده وكماته الأبطال

للظـالمين والعـداة والمعتـدين في سـاحـات العراك، دفـاعـا عن الثغـور المغربيـة، وإعـلاء لرايـة الإسـلام خفاقة في هذه الربوع.

من ذلـــك قـول شـــاعره محمـــد بن الطيب العلمي :

لَــك العــز والتــأييــد والفتــح والنصر
أيـــا ملـــك يصبـو لــــه البر والبحر

هــزمت جيــوش الكفر في كـــل معرك
وشيــدت ركن الـــدين فـــانتفض الكفر

جنـودك كـــالليـل البهيم مهـــابـــة
ولكنهـــا أبطـــالهـــا الأنجم الــزهر

وقـــائـع أن مرت وفـــات زمـــانهـــا
سيبقى على مر الـزمـــان لهـــا ذكر

الرباط ـ عبد الحق المريني

إن أمتنا والحمد لله مرصـوصـة الصف وثيقـة البنيـان، تمضي في الطـريق اللاحب والمحجة البيضاء، والمسلك القـويم، لا يعتريها ضعف، ولا ينتـابها كلل، لأنها مطمئنة إلى مقاصدها وغاياتها، معتزة بقيمها الحضارية التي جعلت منهـا على مدى العصور والأجيال، أمة متميزة الذات، واضحة الشخصية، حـاملـة عبر التاريخ لرسالة الأمن والسلام، والمحبة والوئام، لقـد حبـاهـا اللـه من الشمائل والفضائل، ومن القوة الكامنة في طـوايـا نفـوس أبنـائهـا، مـا أتـاح لها تـذليل العقبات، وقهر الخطوب والملمات، فليس لنا من وسيلـة تسـاعـد على الإسراع في السير وتحقيق الخير، وامتلاك ناصية الازدهار والارتقاء، سوي وسيلـة الـوفـاء لأعرافنا وأخلاقنا، والإخـلاص للمبـادىء والمثل التي تلقينـاهـا من كتـاب اللـه العزيز، وسنة نبيه الغراء، والاستمساك بالعروة الوثقى التي تؤلف بين القلوب، وتشحذ العزائم، وتنير سبل النجاح.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده.
الذي ألقاه يوم الثلاثاء 25 ربيع الثاني 1401هـ / موافق 3 مارس 1981م
بمناسبة عيد العرش المجيد.

ذكرى عيد العرش

للأستاذ مصطفى بوذروة
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالجديدة

إنها ذكرى عظيمة تجسم عواطف الشعب من طنجة إلى الكويرة، ومنذ الأزل القديم وهو يفيض بالحب المكين، والإخلاص المتين للعرش العلوي وللمتربع على أريكته.

تلك الذكرى التي تشخص الملك والشعب وهما ينصهران على مدى الزمان في بوتقة يظللها الفيض الرباني، ويجللها النور الروحاني، معطرة بقدسية الله، ومضوعة من ملائكة السماء، مضمخة بأكاليل من خالص الود، وبباقات الزهور.

تلك الزهور التي صانها الله على مر الأيام وتعاقب الدهور، من عامل الزمان الذي أصبحت تنعكس فعاليته من الذبول إلى الغضاضة، وإلى النضارة واليفاعة.

ولا غرابة فالعرش العلوي سليل العترة النبوية، وفرع الدوحة المحمدية، التي ألقت بظلالها على سماء المغرب والمغاربة اللذين حباهما الله لتلقي هذا المشعل النبوي من يد سبط الرسول عليه السلام، وهو المولى الحسن بن القاسم، وكان ذلك في أواخر المائة السابعة من الهجرة.

منذ هذا العهد، والشرفاء العلويون يعيشون في ثنايا قلوب المغاربة التي تاقت إلى تلك العترة عن طريق تعانق الأرواح قبل اتصال هيكل الأشباح، متمثلة ما جاء في الخبر «نحن قوم قد تحابت أرواحنا قبل نشأة آدم».

نعم، لقد تآلفت أرواح المغاربة بالسلالة العلوية قبل المناداة بالدولة ولا بالمُلْكِ بأربعة قرون.

السر الذي ظل لُغْزَ الأسرار، منغلقا اكتناهه عن طريق اقتحامه بالأفكار، إلا ما كان من بعض تصوراته المتمثلة في تساقي الحب المتبادل الذي يغذي شريان الشعب، وملوك تلك الأسرة على امتداد مَرِّ التاريخ في مختلف فتراته.

نعم، لقد سجل التاريخ في صفحاته الذهبية لهذه الأُسرة المجيدة منقبة لم تسبق لغيرها من الدول

التي تعاقبت على عرش المغرب بعد المولى إدريس الأول، فكل تلك الدول قد عرضت نفسها، ومدت يدها لحمل أمانة الأمة عن طريق ممارسة الملك منذ العهد المرابطي.

والأسرة العلوية ما جاءت إلى المغرب من أجل تأسيس ملك ولا دولة، وإنما جيء بها بطلب من المغاربة لأجل التملي بمزاياها الحميدة، والتبرك بخصالها النبيلة، النابعة من معين النبوة الشريفة، تيمنا منهم بتكثير التمر، وتقوية الضرع. وإخصاب الزرع، ببركة النفحة النبوية التي يومن بها المغاربة منذ الفتح الإسلامي، إيمانا منهم بأن الذهب يطلب من معدنه، والياقوت يجلب من موطنه.

وقد أجابت الأسرة العلوية الدعوة بأريحية كلها سخاء، تاركة الوطن (ينبوع النخيل) والأهل والعشير، ملبية بذلك دعوة المغاربة، وممتثلة للنداء الأزلي نداء الله العلي الخبير.

فجاءت إلى المغرب وهي لا تريد ملكا ولا دولة، ولا جاها ولا صولة، وإنما جاءت استجابة لدعوة المغاربة الذين هم إخوة في الدين، وأمة متعلقة بالسلالة النبوية، لا في خصوص المعتقدات التي تخص الإنسان مع ربه، ولكن في جميع مجالات الحياة التي يعتبرونها عطاءات ربانية ينبغي أن تمر عن طريق البركة والتبرك بذرية من أجرى الله على يده مفتاح الهداية والرشاد للمسلمين، من بداية الدعوة المحمدية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وبذلك أشرقت شمس الأسرة العلوية على سجلماسة، وظللتها بشجرتها الباسقة، وتفيأت من ظلالها بأريج عطرها.

وأكبر دليل - إن كان النهار يحتاج إلى دليل، وما أثبته التاريخ جيلا عن جيل - أن المولى الحسن بن قاسم دخل إلى المغرب في أواخر القرن السابع الهجري، والأسرة العلوية لم يُنَادَ بها للملك إلا في القرن الحادي عشر الهجري على يد المولى محمد الشريف.

هذا، وقد سجل التاريخ للمولى علي الشريف، جد الأشراف العلويين في صفحاته الذهبية، أن أهل الأندلس قد كتبوا إليه يطلبون منه العودة إليهم من أجل نجدتهم، بعدما أخبروه بمقاومة العدو لبلدهم التي أصبحت شاغرة عمن تجتمع عليه القلوب، وتلتف حوله الصفوف، وقد كانوا راودوه وهو مقيم عندهم على أن يبايعوه، ويملكوه عليهم، ملتزمين له بالطاعة والنصرة. وقد رغب عن ذلك ورعا وزهدا، عزوفا عن الدنيا وزخارفها، وأنه إنما يقوم بما يمليه عليه واجبه الديني نحو إخوانه المسلمين، جاعلا مهمته بينهم تتوزع بين رأب الصدع ورعاية مصالحهم، والجهاد في صفوفهم دون تشوف إلى ملك أو جاه.

وهكذا بقي يقوم برسالته تلك، إلى أن هيأ الله لتلك الأسرة أن تأخذ زمام الأمة المغربية بما جباها الله من صفات، وميزها بحلل وهبات، تجعل منها الدولة التي تأخذ مقود المسلمين بهذه الديار، وتجعل قيامها بذلك واجبا دينيا قد ساقته لها

الأقدار، وضرورة تدعو إلى الاستجابة لتلقيه ملبية نداء الواجب تحت إلحاح الشعب ورغبته.

ومنذ ذلك العهد، والدولة العلوية ممثلة في ملوكها الميامين الذين تعاقبوا على ملك المغرب، وهي تقود الأمة المغربية بقيادة يظللها الإسلام عقيدة، وطريقة، ومذهبا، وسلوكا، وأن المغرب ظل ينتقل من عز إلى عز، ومن جهاد إلى نصر، باستمرار عقيدته الإسلامية. واستقلاله منذ خمسة عشر قرنا خير دليل، (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفي الحديث «من طلب الإمارة وكل إليها. ومن لم يطلبها أعين عليها».

وقد صار ملوكها يتعاقبون على عرش المغرب وهم يوطدون دعائم الدولة من جميع جوانبها الروحية والمادية، ويعملون على إشاعة الأمن في جميع ربوع البلاد، باذلين قصارى جهدهم لصالح الشعب المغربي الذي طوقهم عن طريق البيعة أمانة الذود عنه في أيسر الظروف وأحلكها، في مقابلة إسلاسه القيادة لهم عن طريق الولاء والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

وبعقد البيعة الذي هو عقد شرعي يمتد جذوره من الكتاب والسنة، تأكد رباط المغاربة بالملوك العلويين بعدما كان رباط الآصرة يمتد قبل ذلك بأربعة قرون، ويغرف من معين الحب النابع من تعلق المغاربة بآل البيت.

علاوة على ما بدا على يدهم من المكرمات، وما اتصفوا به خلال مقامهم بسجلماسة، وتنقلهم عبر مدن المغرب والأندلس من الصفات.

تلك الصفات التي سمت بهم إلى تسنم ذروة المجد، والعزوف عن الدنيا التي كان يعرض أمرها عليهم بين الحين والآخر، والذي كان يتجلى في طلب مد يدهم للبيعة كما وقع للمولى علي المعروف بالشريف الذي تتفرع منه السلالة الملكية.

وخلال هذه المدة التي خَبَر المغاربة أحوال الأشراف العلويين، وصبروا غورهم عن طريق المحن التي كانت تمر بهم، والتي كانت تجعل منهم أثناء تلك المدة عضوا من جسم المغرب، يحس آلامه ويشكو مرضه، فيعملون على إبعاد كل شبح مخيف بإصلاح ذات البين، مرة عن طريق الهداية والإرشاد، وأُخرى بمقارعة السيوف عن طريق الجهاد، وأنه عندما أراد الله انتقال الأمر إليهم تقلدوه على أنه تكليف، دون اعتباره يكتسي صفة الأبهة والتشريف.

وهكذا أُصبح المغرب يتبوأ المقام اللائق به في كل عصر من عصوره منذ أول ملك من ملوكها.

وليس من نافلة القول أن نؤكد حقيقة ثابتة زخرت بها بطون الكتب التاريخية وهي : أن من أهم ما قام به الملوك العلويون زيادة على الوسائل العمرانية، وما تحتاجه الدولة من قيم وحضارة هي : الحفاظ على العقيدة الإسلامية بالنسبة للمسلمين، والدعوة إليها بالنسبة لغيرهم داخل المملكة وخارجها.

فقد أثبت التاريخ أن المولى إسماعيل كان يوجه الكتب لرؤساء الدول الأجنبية، كـ(لويس الرابع عشر) من ملوك فرنسا وغيرهم، يطلب منهم اعتناق الإسلام، والدخول في حظيرة دينه إسوة بما

فعله جده عليه السلام من توجيه دعوة الإسلام إلى هرقل ملك الفرس، وإلى ملك الروم وغيرهم من الدول الأجنبية، انتشارا لدعوة الإسلام.

وما فعله المولى الحسن الأول عند بداية القرن الثالث عشر الهجري، من توجيه كتاب إلى الأمة الإسلامية في مختلف الأقطار، يدعوها إلى التمسك بالإسلام، وبثه في جميع الأمصار.

وما قام به حفيده أمير المومنين جلالة الحسن الثاني في فاتح محرم عام 1401 الموافق 9 نونبر 1980، من توجيه كتاب القرن إلى جميع الدول الإسلامية، يدعوهم فيها إلى التمسك بتعاليم الإسلام، وإلى تحكيم كتاب الله في كل ما يحيط بالمسلمين من مدلهمات، وما يلابسها من تعتيم ومشكلات، وما يلوح في الأفق من التحديات والمفاجآت.

وهكذا بقيت رسالة الإسلام المظلة الأساسية لسير شؤون المغاربة من طرف دولة الأشراف العلويين.

رسالة سماوية يقوم بها كل ملك من ملوكها خلفا عن سلف ﴿**ذرية بعضها من بعض...**﴾ الآية.

وهكذا بقيت تعاليم الإسلام تطبع سياستهم في مختلف عصورهم، فكان النجاح حليفهم في جميع خطواتهم.

وما حادث المسيرة الخضراء التي نادى بها أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني في شهر نونبر سنة 1975، والتي كانت تسير تحت ظلال القرآن، حيث كان كل مشارك فيها يحمل الإيمان في قلبه، وكتاب الله في يمينه.

تلك التعاليم التي ما خاب من تمسك بها، ولا هان من اعتصم بها، والتي تجعل من الشعب المغربي المتشبث بدينه، المتمسك بتعاليمه، يمضي قدما وراء ملكه، الذي يحمل في جميع تحركاته مشعل الإسلام، ويستنير به لحل مشاكله على الدوام.

وما الوصية الخالدة التي تركها أبو الأمة المغربية، جلالة المغفور له محمد الخامس لولده جلالة الحسن الثاني، والوارد فيها : (يا بني، عليك بالرجوع إلى كتاب الله إذا ادلهمت عليك المدلهمات)، إلا خير دليل على أن العرش العلوي، يستمد نجاحه وتوفيقه في تسيير شؤون الدولة، من المنهج الإسلامي الذي كتب الله لهذه الأمة أن لا تنفك عنه في جميع خطواتها.

فلا عجب عندئذ أن يتخذ المغاربة ذكرى العرش عيدا وطنيا، تتجمع فيه قلوب المغاربة نحو الجالس على العرش، مباركة له خطواته في كل ما يقوم به، في اليسر والعسر، مَدِينَةً له بالإخلاص والوفاء، عن طريق الطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره.

فبارك الله في عرش المغرب، الذي هو ملاذ المغاربة، ينقذهم من الوقوع في المصيدات التي تنصب عن طريق أعداء الإسلام، الذين لا يرضيهم ما وهب الله لهذه الأمة من وافر الخصال، وكريم

الفضائل، وشيم الأخلاق، المنبثقة عن الروح الدينية التي نادتهم إلى مد يد البيعة للجالس على العرش بالطاعة والإخلاص، واعتبار وفائهم لها واجبا مقدسا يفرضه الدين دون مناص، وأن هذا مما وفر لهم عبر التاريخ، ومختلف العصور، الأمن والطمأنينة ورغد العيش على مر الأيام والدهور.

فبارك الله لمولانا في عيد عرشه، وحفظه بما حفظ به كتابه، وأقر عينه بولي عهده سيدي محمد، وبصنوه المولى الرشيد، وبسائر الأمراء والأميرات،إنه مجيب الدعوات.

الجديدة ـ مصطفى بوذروة



محمد الخامس
رائد التحرير والتوحيد

للدكتور
يوسف الكتاني

كلما تقدمت الأعوام وتعاقبت الأيام إلا وبان أثر السياسة الحكيمة، والمرامي البعيدة، والمبادئ الثابتة، والتخطيط الهادف الذي رسمه محمد الخامس رحمه الله، لتحرير المغرب وتوحيده، ولدفع إفريقيا والعالمين العربي والإسلامي للثورة على الاستعمار، والتخلص من الاستعباد، من أجل التحرر الكامل، والاستقلال الشامل، والوحدة الجامعة.

ولذلك انفرد هذا الملك العظيم من بين ملوك الدولة العلوية وسلاطينها وأمرائها، ملكا رائدا وقائدا محررا، جبلت نفسه الأبية وروحه الكريمة على حب الحرية وعشقها والجهاد من أجلها، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيلها، والدعوة إليها بالقول والعمل في السر والعلن، ولذلك لم يكد يتسلم زمام أمور الأمة، ويتخلص من البطانة التي أحاطت به مدة الوصاية محاولة صرفه عن غايته وهدفه، حتى أعلن بوضوح وجلاء عما تجيش به نفسه، ويمتلئ به خاطره، من آمال وأماني لتحرير وطنه واستقلال بلاده.

لقد كان محمد الخامس - رحمه الله - يؤمن ويوقن منذ البداية، وقد رأى وشاهد ما آل إليه وطنه، وعلى أية حال أصبحت عليها أمته، من ظلم واستعباد، وفاقة وحرمان، بأن هذا الشعب لا يمكنه أن ينهض من كبوته، أو ينتبه من غفلته، وهو مقيد بأغلال الحماية، مكبل بقيود الاستعمار، ولن يجديه أي إصلاح، ولن يفيده أي ترميم، ولاصلاح لأمته ولافلاح لها إلا بالحرية، حرية الوطن من الاستعمار، وحرية المواطن من الظلم والاستعباد، وحرية الفكر من الدجل والجهل.

وإن الدارس المدقق المحقق لحياة هذا الرائد العظيم منذ أن بويع ملكا على المغرب، وسنه لا تتعدى السادسة عشرة، يلاحظ جليا أنه كان من أكبر رواد الحرية ودعاتها، وأنه كان يصدر في كل

تصرفاته، ومواقفه وقراراته منذ البدء، كان يصدر عن مبدإ ثابت لا يزيغ عنه ولا يحيد، وهو تعلقه بالحرية، وإيمانه الراسخ بها، ودعوته وجهاده الدائم من أجل استقلال شعبه وأمته، بل ومن أجل تحرير المظلومين والمضطهدين والمستعبدين، في كل مكان في العالم أجمع، فلنستمع إليه في أول نطق ملكي له بمجرد مبايعته واعتلائه عرش المغرب، حيث قال مخاطبا أمته سنة 1927 :

«إن الشعب المغربي ينتظر منا مجهودا مستمرا، لا من أجل تنمية سعادته المادية وحدها، ولكن لنكفل له الانتفاع من تطور فكري، يكون متلائما مع احترام عقيدته، ويستمد منه الوسائل التي تجعله يرتقي درجة عليا في الحضارة بأكثر ما يمكن من السرعة».

لقد آمن محمد الخامس منذ أول ممارسته لمهامه أن الاستعمار يقف حجر عثرة في وجه شعبه، ويضع شتى العراقيل في طريقه، ليبقيه مستعبدا مضطهدا، جاهلا خاملا. ولذلك بدأ يعمل في صمت، ويخطط في هدوء لتحرير الإنسان في بلاده، تحرير عقله وفكره أولا، ثم تحرير عيشه ومجتمعه ثانيا. لقد آمن بأن سبيل التحرر الكامل والاستقلال الشامل هو تحرر الفكر المغربي من الجهالة والضلالة، وأن تحرر الفرد من الجهل هو أعظم أنواع التحرر، وأنه أقصر طريق نحو الحرية والاستقلال، وهو من أجل ذلك نادى بفتح المدارس، وإنشاء المعاهد، وحيث شعبه ومواطنيه على الإقبال على التعلم والتعليم، والجد في التحصيل، كي يعرف المواطنون حقوقهم وواجباتهم، وليكونوا أكثر وعيا وأقوى شكيمة في الدفاع عن أنفسهم وبلادهم، وخوض معركة الجهاد والنضال بوعي وتفهم وإدراك.

وقد خاطب شعبه وأمته في أحد المواسم الثقافية بقوله :

«لقد اتفق العقل والدين على أهمية المعرفة لتقدم البشرية وتطورها، إذ الإنسان لا يكون - في نظرهما - كاملا إلا إذا زالت عن بصيرته غشاوة الجهل، المانعة من التمييز بين ما يضر وما ينفع، فاستفاد من موهبة التفكير الحي بها عن باقي المخلوقات، ما يجعله قادرا على أن يغمر بالسعادة هذه الأكوان التي سخرها الله له».

ولذلك بدأ بنفسه وبأسرته، فعلم أبناءه الأمراء والأميرات على السواء، وثقف عقولهم وحرر أفكارهم كأحسن ما تكون الثقافة، ورباهم تربية إسلامية صحيحة كأحسن ما تكون التربية، وجعلهم مثالا حسنا ونموذجا رائعا يحتذي بهم الشباب من أبناء وطنه، وأخذ يؤسس المعاهد وينشئ المدارس من ماله الخاص، ويدعو الشعب إلى التسابق إلى بنائها وتأسيسها والإقبال عليها، ويسميها باسمه وبأسماء الأمراء والأميرات، ويدشنها تارة بنفسه، وأخرى بواسطة أنجاله، فقامت في طول البلاد وعرضها مؤسسات تعليمية، ومعاهد عظيمة كانت أساسا للوعي الشامل والنور الساطع الذي عم أرجاء الوطن، كما كانت سبيلا ونتيجة لما جناه الوطن من خير وتقدم وانتصار.

وقد اغتنم محمد الخامس فرصة زيارته التاريخية لطنجة سنة 1947، فقدم أبناءه الأمراء

والأميرات للشعب وللعالم أجمع كخطباء ودعاة للحرية والجهاد، ومازالت خطب الأمير مولاي الحسن، وخطب الأميرة عائشة باللغات الثلاث شاهدا حيا، ومثالا يقتدى، قائما على مر التاريخ والأجيال.

لقد رمى محمد الخامس من تعليم الأميرات وتقديمهن إلى الشعب في مجال الخطابة، والتعليم، والرعاية الصحية، والشؤون الاجتماعية وغيرها، لتقتدي بهن الفتاة المغربية والأسر الوطنية في تعليم بناتها وتثقيفهن، ودفعهن في مجال الحياة ليشاركن في معركة الحرية والكفاح وبناء الاستقلال، علما منه ـ رحمه الله ـ بأن العنصر النسوي نصف المجتمع ولاصلاح لأي مجتمع بدون تعليم المرأة وتهذيبها وتثقيفها، وبذلك سجل ريادته لتحرير المرأة في وطنه وتعليمها.

ولما كان هدف محمد الخامس تحرير بلاده تحريرا شموليا فكريا، واجتماعيا، وسياسيا، فقد تابع نضاله وجهاده، وعمل من أجل ذلك سواء ضد المستعمر أو مع من يرى ويلمس فيه مساعدته من أجل غايته وهدفه، وكان يغتنم الفرص ويتحين المناسبات بكل الوسائل، للخروج ببلاده من حالة الحجر والاستعباد، إلى حياة الحرية والكرامة، ولم ييأس أبدا وهو يناضل ويجاهد عندما يُقَابَلُ من طرف أعدائه بالجحود والإعراض والمناورات، بل كان يتابع سيره في ثبات الصالحين وصبر المؤمنين. وهكذا نراه سنة 1943 يغتنم فرصة اجتماعه بالأقطاب في مؤتمر «أنفا» التاريخي، ويحدث ضيفيه الكبيرين روزفلت وتشرشل عن آماله وآمال بلاده، وحقها في الحرية والاستقلال، لتصبح مثل بقية الدول الحرة الديمقراطية، ويعلن لهم عدم رضاه، وعدم رضى شعبه عن حالة الذل والعبودية التي كان عليها، ولم يزل كذلك مع مضيفه يقنعهم ويدافع عن حق بلاده، حتى حصل منهم على وعد بالوقوف إلى جانبه وتحقيق مطمحه، ولم تكن عريضة المطالبة بالاستقلال سنة 1944 إلا ترجمة لآماله وآمال أمته، وإعلانا مكتوبا لما عبر عنه للأقطاب في مؤتمر أنفا التاريخي.

ثم جاءت رحلته التاريخية إلى طنجة سنة 1947 لتكون امتدادا لعمله العظيم من أجل الحرية والاستقلال، وتركيزا له، وإعلانا للعالم أجمع في خطابه التاريخي الذي هز كيان الأمة وأكد أهدافها، وكان له صداه في الداخل والخارج.

كما كانت رحلته المنظمة إلى فرنسا عقب ذلك سنة 1950 لمفاوضة رئيسها وقادتها، وتأكيد حق بلاده في الحرية والكرامة، وإصراره على حملها على الرضوخ إلى مطالب الأمة، ورغبتها الأكيدة في العيش الكريم تحت ظلال الحكم الديمقراطي، وقد سجل موقفه هذا في خطاب العرش قائلا :

«ولم يكن قط هدفنا من المحادثات السياسية التي أجريناها بفرنسا، أن نظفر لتقوية سلطتنا لغاية شخصية، وإنما قصدنا بمساعينا وجهودنا صالح البلاد ورقيها وتقدمها، ولم يغب عنا لحظة واحدة أن أفضل حكم ينبغي أن تعيش في ظله بلاد تتمتع بسيادتها وتمارس شؤونها بنفسها، هو الحكم الديمقراطي الذي تقوم عليه الدول المعاصرة، والذي

يوافق مبادئ ديننا الحر، ويضمن للأفراد والجماعات حياة الطمأنينة والاستقرار، وإننا على مبدئنا ثابتين، وفي تحقيقه جادين، إيمانا منا بأن هذا النظام هو الذي يكفل لرعايانا ما يمكن من حرية وعدل وكرامة».

لقد كان في ميسور محمد الخامس أن يساير الوضع، ويرضى بالسلطان المزيف، والأبهة الفارغة، ويَخْلُدَ إلى الراحة والدعة، ويتمتع بالطيبات من الحياة، ولكن نفسه الأبية التواقة إلى الكرامة، المتعلقة بالحرية، الطامحة دوما إلى الأعلى والأسمى والأنفس أبت عليه ذلك، فآثر المصالح القومية على المصالح الشخصية، وفضل العناد والجهاد في سبيل حقوق بلاده وكرامتها، وآثر النفي والسجن على البذخ والنعيم، وقد كان موقفه الثابت وصوده الرائع، هو الذي وحد الحركة الوطنية وراءه، وجمع صفوف الأمة وشتاتها، وبعث فيها القوة والعزة، والشجاعة والحماسة، للوقوف صفا واحدا، متراصا في وجه عدوها ومستعمرها، والقضاء على كيد الكائدين، وطمع الطامعين، وظل كذلك مخلصا للكفاح الوطني، وفيا للمثل العليا، متشبثا بمبدإ الحرية وروحها، داعيا شعبه إلى الاستمرار في النضال والكفاح، متمسكا بالصبر والثبات، إلى أن يحقق الله النصر قائلا :

«فلنجد إذن في العمل، ولنتابع في يقين وثبات المطالبة، جاهرين بتمكيننا من حقوقنا المشروعة، الجلية البينة، فإذا كان ضياع الحق في سكوت أهله عنه، فما ضاع حق من ورائه طالب».

وكلما اشتد سعار المستعمرين وزاد أذاهم وظلمهم للشعب وقائده، ازداد هذا القائد العظيم ثباتا على المبدإ، وتعلقا بالغاية، لا يخيفه توعد أو وعيد، ولا يثني عزيمته بطش ولا تهديد، ولا تغريه مساومة عن حق بلاده ورغبتها في العيش الكريم، حتى إذا هُدِّدَ بالعزل والنفي والتشريد والتعذيب، آثر حياة النفي عزيزا كريما، على حياة البذخ والنعيم في ظل العبودية والظلم، وكان موقفه هذا هو الوقود الذي ألهب حماس الشعب من أجل الحرية، والفتيل الذي فَجَّرَ الموقف ضد الاستعمار، فغدت الأمة كلها بعد نفيه، جيشا واحداً، وصفا واحداً، ويدا واحدة، تناضل وتقاتل في ثبات وصبر وراء رمزها القومي، ورائدها التحرري، ولم يفت في عضدها حديد ولا نار، ولا تهديد أو تقتيل، حتى حقق الله للشعب ما كان ينشده، وللرائد ما كان يناضل ويجاهد من أجله، واضطر الاستعمار مرغما مكرها إلى النزول عند رغبة الأمة، والرضوخ إلى إرادة شعبنا العظيم، فكان محمد الخامس ومن ورائه شعبه المتشبث به هو الذي أرغم الاستعمار على التخلي عن الحماية، والإقرار باستقلال البلاد، والاعتراف بحريتها وسيادتها. وإليه وإلى خلفه العظيم يرجع الفضل في توحيد الشمال والجنوب، واسترجاع بقية المناطق المغتصبة تباعا بعد ذلك، وهو الذي أقنع الرئيس إيزنهاور بدهائه وحكمته عند ما زار المغرب سنة 1959، بالموافقة على إجلاء القواعد الجوية الأمريكية عن بلادنا.

وعندما عاد إلى وطنه منصورا مظفرا، لم تبطره النعمة، ولم يرض بما حصل عليه المغرب، بل

كانت آماله عراضا، ومراميه بعيدة، فقد كان الاستقلال عنده يعني ثورة اجتماعية واسعة تشمل طبقات الأمة جميعا، لتحرر المواطنين من آلام البؤس وظلام الجهل، وترفع مستوى العمال والفلاحين، وترفع عنهم كابوس الحرمان، وإلا كان الاستقلال مشلولا ناقصا.

وها هو في أوائل الاستقلال سنة 1956 يخاطب مواطنيه وينبههم، ويحدد لهم هدف الاستقلال ليتبينوه، ويعملوا من أجله إذ قال :

«يجب أن يفهم من الاستقلال أنه توطئة لثورة اجتماعية واسعة النطاق، تتناول جميع طبقات الأمة، وتعنى بصفة خاصة برفع مستوى الطبقة العاملة التي تكون السواد الأعظم، وتفسح المجال أمام المكتوين بنيران البؤس والحرمان، ليتذوقوا عيشة راضية ويحيوا حياة مطمئنة، ولا نرتاب في أن الاستقلال الذي لا تعقبه هذه الثورة هو استقلال أشل، بعيد كل البعد عن أن يؤدي ما أراده منه أبناء الشعب، وما علقوا عليه من آمال...».

ولم يكن مفهومه لحرية البلاد واستقلالها مفهوما ضيقا، يقف عند جلاء المستعمرين عن بعض المناطق دون بعض، بل ظل دائما يعلن، ويصرح، وينادي بأن الحرية تعني بالنسبة إليه استقلال كل أجزاء الوطن وتوحيدها، في إطار المغرب الموحد القوي كما كان دائما وطوال تاريخه.

وقد أكد موقفه هذا أمام رئيس جمهورية فرنسا عندما بدأت المفاوضات بين الوفدين المغربي والفرنسي سنة 1956 حيث قال :

«ونريد أن نصرح علانية أنه لا توجد بالنسبة إلينا أية حرية جديرة بهذا الاسم، ومقبولة من الجميع إلا في دائرة وحدة التراب القومي، وعدم قبول أية تجزئة فيه».

كما كانت الحرية عنده تعني حرية الفرد وتمتعه بجميع حقوقه، سواء كانت سياسية، أو اجتماعية، أو اقتصادية، وليست هي حرية الحاكم وحده، بل لابد أن تشمل الأفراد والجماعات على السواء، ليتمتعوا بحقوقهم سواسية، كما نادى بذلك في خطاب العرش في السنة الثانية والثلاثين لجلوسه قال :

«أما في الميدان الداخلي، فقد كانت السياسة التي رسمناها نحن وحكومتنا، تستهدف دائما ضمان العدل للموطنين، وتمتيعهم بكل الحريات، وإشراكهم في حمل المسؤوليات، وتشييد مجتمع راق يعيش أفراده متضامنين، ويعملون متعاونين، وينعمون بعدالة اجتماعية، ومستوى مادي ومعنوي رفيع تتفتح به مواهبهم».

ولم يقف حبه للحرية وجهاده من أجلها عند حدود بلاده، بل شملت الأشقاء والجيران، وكذا القارة السمراء بأكملها، ولذلك أعلن مرارا وتكرارا أنه يعتبر أن بقاء الجزائر مستعبدة مقيدة تهديد لحريتنا واستقلالنا، لأن حريتها من حريتنا، واستقلالنا لا يتم إلا باستقلالها، بل ذهب أبعد من ذلك واعتبر قضية تحرير الجزائر قضية حياة أو موت بالنسبة للمغرب، وأن استقلالها هو الضمانة الكبرى لحرية واستقلال المغرب العربي وإفريقيا، وفي ذلك يقول

في يوم التضامن مع الشعب الجزائري الشقيق في أكتوبر سنة 1960 :

«بل نحن في هذا الطور الحاسم من كفاح الجزائر مصممون العزم على مواصلة التأييد لجهادها، والدفاع عن قضيتها في كل مكان، ولو كلفنا ذلك أغلى التضحيات، لأن قضية تحرر الجزائر قضية حياة أو موت بالنسبة لنا، إذ هو الضمانة الكبرى لاستقلال بلدنا، ووحدة المغرب العربي، وحرية القارة الافريقية جمعاء».

وكم تحمل ـ رحمه الله ـ هو وشعبه من أنواع المعاناة ومكائد الاستعمار، وكم تعرضت له بلاده من المخاطر والمساومات، كل ذلك من أجل أن يترك قضية الجزائر ويتخلى عن المجاهدين، ولكنه أبى وأصر على موقفه الخالد، إلى أن تحقق النصر للشعب الجزائري الشقيق.

وكما حقق محمد الخامس الحرية والاستقلال لبلاده وشعبه، وساهم بقوة وإصرار في تحرير واستقلال جيرانه وأشقائه، أراد أن تشع شمس الحرية على قارتنا الافريقية أيضا، وأن تشمل أرجاءها روح الثورة والكرامة والعزة، حتى تتحرر شعوبها من الظلم والاستعباد، ومن أجل ذلك أخذ يعمل ويعلن منذ سنوات الاستقلال الأولى للمغرب، بأن استقلالنا سيظل ناقصا ومهددا إلى أن تتحرر إفريقيا كلها ويخرج الاستعمار منها إلى الأبد. وقد أكد أن كفاح المغرب مستمر، ونضاله دائم، ولن يهدأ له بال أو ينعم بحياة، حتى تستكمل إفريقيا حريتها ويتم استقلالها :

«والمغرب قطر إفريقي تفرض عليه روابط الجوار، وتداخل المنافع، وتشابه الأهداف، أن يهتم بأحوال جاراته الافريقية، ويعمل بكل ما يطيق لتحقيق تحررها».

وما فتئ ـ رحمه الله ـ يتصل برؤساء إفريقيا وقادتها وزعمائها، من أجل توحيد الخطط لرسم سياسة افريقية مشتركة متحررة، كما سعى بالغ السعي لوضع ميثاق إفريقي، وجمع الدول الإفريقية المستقلة تحت لواء منظمة واحدة، تدافع عن كيان إفريقيا، وتوحد صفوفها، وتبلور عملها، وتفرض كلمتها وهيبتها في الميدان الدولي.

وما زال على دأبه وعمله وكفاحه حتى حقق الله له غايته، وبلغه أمنيته، فانعقد في رحاب المملكة أول مؤتمر إفريقي سنة 1960 عرف «بمؤتمر الدار البيضاء» والذي وضع الميثاق الإفريقي، وساهم في تحرير بقية شعوبها، ورسم المناهج الواضحة لإفريقيا الجديدة المستقلة المتحررة، وكان الأساس القوي الذي قامت عليه «منظمة الوحدة الإفريقية». وما زال شعوب إفريقيا وقادتها إلى اليوم، يدينون له بهذا العمل العظيم، ويعتبرون ما وصلت إليه إفريقيا اليوم، نتيجة من نتائج كفاحه ونضاله.

وقد سجل خطابه الافتتاحي لمؤتمر الدار البيضاء آماله الكبيرة، وأمانيه في تحرير إفريقيا واستقلالها، وإحلالها المكانة اللائقة بها كقارة فتية قوية حيث قال :

«إذا كانت الأقدار أتاحت للدول الإفريقية المجتمعة في هذا المؤتمر السبق إلى الاستقلال

والحرية، فإنه دين عليها أن تخطط المساعدة إلى الشعوب الإفريقية الأخرى، حتى تتمتع بنفس الحرية والاستقلال، وَحَتْمٌ عليها أن تخطط من الآن المناهج الواضحة التي ينبغي لإفريقيا الجديدة أن تسلكها، والسياسة التي يحسن أن تتبعها، فلا ينبغي أن تعالج مواضع هذا المؤتمر على أساس الاعتبارات الخاصة بالدول المشاركة فيه فحسب، بل على الاعتبارات العامة والمصالح العليا لإفريقيا».

وبعد، فقد كان محمد الخامس محررا عظيما، وزعيما رائدا لا بالنسبة للمغرب فحسب أو لإفريقيا وحدها، بل للعالم أجمع، فقد كان رائد التحرر والاستقلال لبلاده، وكان رائد تحرير المرأة فيها، ورائد تحرر الشعب من الجهل والخوف والحاجة، وكان رائد توحيد وطنه وبنائه.

كما كان رائد عظيما لإفريقيا، كافح من أجل جمع شمل شعوبها وتوحيدها، وتأسيس أول منظمة فيها، ووضع أول ميثاق إفريقي لاستكمال تحريرها وتوحيد صفوفها.

كما كان رائدا من أعظم رواد الحرية في هذا العصر. وما زالت قراراته، ومواقفه، وأقواله، وأفعاله في هذا المجال، شاهدا قائما وآية واضحة، فإذا اعتبره الشعب المغربي زعيمه وقائده، وباني استقلاله، والمفكر الأعظم لتحريره، ورمزه القومي الخالد، فقد كان مصيبا وموفقا، وما عليه اليوم إلا أن يتابع طريقه وسيرته، ويبقى مخلصا ثابتا على مبادئه وأفكاره وإخلاصه وسيره وراء خلفه العظيم الحسن الثاني نصره الله.

الرباط ـ الدكتور يوسف الكتاني

مُناجاة العرش

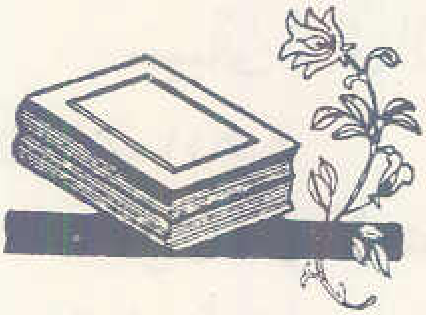
للشاعر مصطفى الدغاي

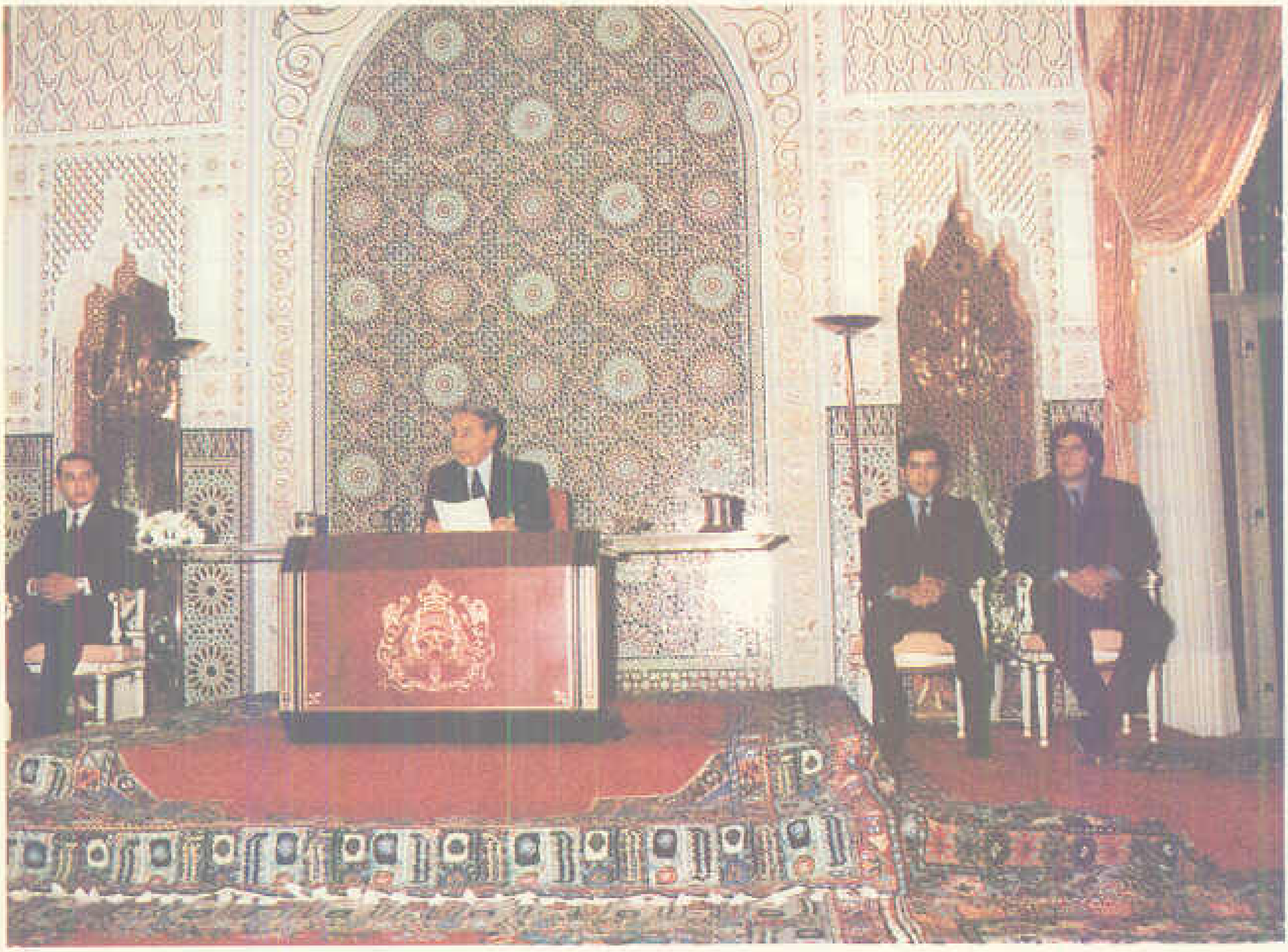
أشمس في السما كشفت نقابا ... تفيض الحب دفاقا عجابا ؟
أم الجنات قد طفحت بعطر ... شذا أنسامه ملأ الرحابا ؟
أم الأفراح هاج بها اشتياق ... فعانقت البسائط والهضابا ؟
أم الدنيا ترقرق في سماها ... جمال العيد يغمرنا حبابا ؟
يثير مكامن الوجدان فينا ... ويسقينا من الوجد الشرابا ؟
لنحيى في انتشاء واحتفاء ... بمجد شامخ يعلو السحابا
بعيد العرش والعرش الأماني ... نهيم به نعيما مستطابا
يبوئنا العلاء ويزدهينا ... يقلدنا من المنن الرغابا
فيا عرش البطولة والتفاني ... ويارمزا علا شأننا وطابا
تبوأك الكرام بنو علي ... فَنُدْتَ بهم فَخارا وانتسابا
لك البشرى بمن ملكوا المعالي ... سناهم قد أنار لنا الشعابا
ملوك سجلوا صفحات عز ... مضيء خلفوه لنا كتابا
فخلده همام عبقري ... وفي العهد متقد شبابا
حصيف رائد شهم عظيم ... كريم الخلق معتز جنابا
إلى الأمجاد والعلياء يسعى ... ويسترضي مطامحنا العذابا
ينير عقولنا بوميض عزم ... ويسقينا من العلم اللبابا
يبارك شأننا بين البرايا ... ويسلك في الشموخ بنا درابا

فبالفتح المبين أقام صرحا   من الإنجاز كان له ركابا
تحدى بالعزيمة كل صعب   فهان الصعب واتخذى وذابا
فقام مخططا يبني نماء   يفجر من منابعنا رضابا
يقبل أرضنا فتتيه حسنا   بسندسها ويستحيي اليبابا
مليك بالسدود له ولوع   طموح لا يطيق له انقضابا
شرايين الحياة تفيض منها   تغذي ثورة عظمى صوابا
زراعات وتعدين وأمن   وعمران سما يزهو قصابا
مصانعنا تزغرد في سمانا   مداخنها علت تغزو التبابا
تجارتنا ازدهت ونمت فأضحت   تتيح العيش غضا لا عذابا
بيوت الله تملأ كل حي   بها الرحمات تنصب انصبابا
مليك قد أقام لنا صروحا   من الأمجاد أثلها احتسابا
أراد الدين والدنيا شعارا   به نغزو المكاره والمعابا
على ماء المحيط أقام بيتا   به يرجو من المولى ثوابا
تشامخ معلما في القرن يزهو   وللأحلام يستلب استلابا
أراده منبرا للخير يدعو   وللإسلام خلده مثابا
مليك قد رعانا واحتوانا   وحرر أرضنا وحمى الترابا
بجيش ظافر شهم هصور   أعد جنوده أُسْداً غِضابا
وما الجيش العظيم سوى مليك   إلى أمجاده يُنمى انتسابا
مليك لا ينام عن السليب   ولا عن مطلب حتى يجابا
برفق زائد يأسو جراحا   يريد لها التئاما لا التهابا
ففي دمه مروءات وحب   يراعي الحق لا يدمي قرابا
يؤلف ما استطاع بلا امتنان   ويشرع لالتحام الشمل بابا
أراد الوحدة الكبرى فقامت   بإذن الله تخترق الضبابا
وكان لقاء قادتنا انتصارا   لأمتنا مشعا لا سرابا
يد بيضاء ناصعة نوالا   إذا نادى الحميم بها أجابا
مليك يرتضي الإحسان دينا   وللإنجاد ينتخب انتخابا
يبر الوافدين إذا توافوا   ويمطرهم من النعمى ذهابا

جواد يكرم العلماء دوما … يقربهم ويوفيهم رِبابا
يفتّح لاحتكاك الفكر بابا … ويجعل حرزه أبدا مآبا
إذا نادى الظليم أغاث فورا … ولبى مسرعا يجلو المصابا
تبنّى القدس دافع عن حماها … وآزر فتحها وهدى وجابا
ولم يفتأ يجاهد كي يراها … تنال الحق مكتملا نصابا
وهذا الشعب في لبنان يرنو … إلى مسعاه يرتقب ارتقابا
ليكشف ما دهاه من الرزايا … فقد عانى التمزق والعذابا
وهل للعرب والإسلام حصن … سوى حسن إذا ما الضر نابا ؟
مليك زانه المولى خصالا … ودثره بنصرته انتجابا
له منا الولاء رباط قدس … يبارك عيده ويفي رِبابا
فقد أعطى الرعية كل حب … وألبسها من النعمى ثيابا
جزاه الله خيرا وانتصارا … وتوفيقا يشيد به القبابا
وأرضى نفسه بولي عهد … يحقق ما يروم له مثابا
وبالصنو الرشيد أقر عينا … له ترعى لأمتنا شبابا

القصر الكبير ـ مصطفى الدغاي





لَكَ المنجزات الخالدات على المدى
سيبقى لسانُ الدهر يتلو لها الذِكرا
وما خلّد الأبطالَ إلّا جهادُهم
وإنْ ذُكر الأبطال كنتَ لهم صدرا
فدُم في أمانِ اللهِ يصحبك الهدى
يفيضُ لك المولى السلامة والعمرا

الحسن الثاني باني الأمجاد ورائد الجهاد

للأستاذ مولاي المهدي القاسمي
رئيس المجلس العلمي الاقليمي بالرشيدية

إننا إذا ما تصفحنا كتب التاريخ، نجد أن جميع الملوك الذين تعاقبوا على المغرب، كانوا أوفياء لدينهم ووطنهم، الشيء الذي جعل المغاربة يتجاوبون معهم، ويبادلونهم نفس الشعور، إذ كانوا يقفون جميعا في وجه الكفر والطغيان، ولا يبخلون بغال ولا نفيس. وبذلك قامت حكومات مغربية إسلامية قوية، أسست حضارات، وإمبراطوريات، وانطلقت بالإسلام في غياهب إفريقيا، وفي معاقل النصرانية، فامتزج الإسلام بقلوب كثيرة، واستساغته أفئدة وافرة، وخضعت لحكمه أجناس متعددة، تعلمت منه الأخلاق الرفيعة، والتعاليم السامية.

وقد بلغت الدولة المغربية أوج التقدم والازدهار والاستقرار منذ تولي الدولة العلوية زمام الأمر : هذه الدولة التي تنتسب إلى جدها الأعلى أمير المومنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، وقد عرفت هذه الأسرة ـ الأسرة العلوية ـ في القرن الثالث عشر وما بعده بأسرة شرفاء السجلماسيين، نسبة إلى مدينة سجلماسة، التي أسست سنة 757 م، وكانت قاعدة لإقليم تافلالت الصحراوية قبل أن تتحول قاعدة الإقليم إلى مدينة الريصاني.

وكان جدهم الحسن بن القاسم بن محمد المعروف بالحسن الداخل، قد نزل بها، واستقر فيها، عند قدومه الميمون إلى المغرب على عهد الدولة المرينية سنة 1265 م.

وظل ملوك الدولة العلوية منذ مبايعتهم من طرف المغاربة، يأخذون بزمام المبادرة، ويتصدرون ركب السلام، ويقودون جيوش المغرب، ويحافظون على وحدته، ويذكون روح النضال في أفراد شعبهم، ويعلمونهم أن الإسلام قوة للتوثب والإحياء والتحرر

من مفاسد الإديولوجيات الدخيلة، فقد كرسوا كافة جهودهم للحفاظ على معالم الدين، والدفاع عن حرمات المسلمين، وحفظ الطابع الأصيل لهذا البلد الأمين، وأهم تلك المجهودات التي تحملوا عبئها، حماية حمى المغرب من هجمات الأعداء، وتحرير ثغوره من أيدي الغزاة المغيرين؛ وما منهم من أحد إلا وقد سجل له التاريخ بأحرف من نور عمله على استرداد ثغر أو عدة ثغور.

والدولة العلوية الشريفة في سيرة أمرائها، وسياسة ملوكها الراشدين، يستقرئ الدارس لتاريخها المجيد، أنها صانت استقلال الشعب المغربي بالعدل، وحافظت على وحدة الأمة المغربية بإرساء قواعد الحق، ودبرت أمور الرعية بالحكمة والتبصر، فخلقت كيانا مغربيا حضاريا تربى في أحضان هذه الدولة.

ولقد حمل مشعل تلك النهضة الإسلامية بصدق ووفاء، جلالة المغفور له محمد الخامس، الذي يعتبر بحق مثالا للنضال والتضحية ونكران الذات، إذ نجده يقف في وجه المستعمر الغاشم، وينادي في انتفاضة قيادية لشعبه المتشبث بعرشه، بوجوب الانعتاق من أسر الاستعمار ونيره، ورسم الخطط الملهمة لضمان هذا الانعتاق، فتحمل ما لم يسبق أن تحمله أمير ولا ملك قبله، مستعذبا النفي والتشريد، حيث مدت له اليد الأثيمة، فنفته عن عرشه مع أسرته الكريمة وولي عهده أنذاك، وعضده الأيمن في الكفاح جلالة الحسن الثاني نصره الله، ومضحيا بحياته وعرشه، فوجد من ورائه شعبا وفيا، انبرى في اندفاعة ثورية يواصل شق الطريق الذي رسمه له قائده الهمام في وادٍ من الدماء، مطوحا برؤوس الفتنة وبيادق الاستعمار، فعاد أمير المومنين متوجا بالنصر، يحمل إلى شعبه وثيقة الاستقلال.

ولئن كان نجم الأسرة العلوية المالكة قد تألق ولمع سياسيا واجتماعيا على عهد محمد الخامس محرر الوطن من ربقة الاستعمار، فإن صيتها قد ذاع وملأ الاسماع في أيام ابنه البار، ووارث سره الحسن الثاني، الذي اقتفى أثر والده في الجهاد والنضال واستكمال الوحدة الترابية.

فقد جاء في إحدى الفقرات من خطابه، والذي شهد فيه لأجداده، لما قدموه لشعبهم ووطنهم من أيادي بيضاء قائلا : «وتسلمت أسرتنا مقاليد الملك، فجعل أجدادنا الميامين من أغراضهم الأكيدة، وأهدافهم القريبة والبعيدة، لم شعث البلاد، ولم شملها، وتحرير أراضيها، وإعادة وحدتها، كما تصدوا إلى تأمين اليسر والطمأنينة للشعب، والنباهة ورفعة الشأن للمملكة... وكان كل من ملوك الأسرة العلوية، يشعر شعورا قويا، بأن عليه أن يسلم ما تلقاه من سلفه إلى من سيأتي من بعده، كاملا غير منقوص، بل أكثر ثراء وأعظم شأنا...».

ومنذ أن تربع جلالة الملك الحسن الثاني على عرش أسلافه الميامين، أخذ بزمام الأمور بروح المومن المجاهد، والقائد المقدر لمسؤوليته. والملك المعتز بشعبه ووطنه، والقائد الوعي بثقل العبء الملقى على عاتقه، فتحدى الأوضاع والأحداث، ووجه عنايته لكل الجهات وعلى مختلف المستويات، في إباء وطموح، حتى أصبح شعبنا من

خير الأمم. فالمغاربة مدينون لجلالة الملك الحسن الثاني بكل ما حصلوا عليه من إنجازات وخطوات جبارة في طريق الإصلاح والنماء منذ توليه مقاليد الحكم.

وجريا منه على سنن آبائه وأجداده، له من العطف والاهتمام بمصالح الوطن مالا يتناوله حصر ولا قلم أو لسان، ولو حاولنا ذلك، لما وفينا بما يتطلبه المقام، ولكن ما لا يمكن كله لا ينبغي أن يترك جله. ونكتفي في هذا المقال، بذكر بعض النماذج التي تمثل مدى عناية وأفضال جلالة الملك الحسن الثاني لمملكته الزاهرة.

ففي عهده الميمون انتعشت جميع القطاعات بالمملكة بفضل السياسة الملكية الرشيدة. ومما لا جدال فيه، أن في عهد جلالة الملك الحسن الثاني تم بناء صرح المغرب الجديد، بما في ذلك من تشييد المدارس والكليات والمعاهد والجامعات، والمستشفيات، وتعبيد الطرق، وإنشاء المطارات، وإقامة السدود، والتنقيب عن المعادن والثروات الباطنية.

ولقد واكب الاهتمام بالبناء والتشييد، اهتمام كبير بالناحية الروحية من طرف باعث الأمجاد الإسلامية، والمحافظ على رسالتها الخالدة، أمير المومنين حفظه الله ونصره. وهكذا انتشرت في عهده الزاهر الكتاتيب القرآنية، كما شيد العديد من المساجد، لا في داخل المغرب، بل حتى في خارجه في معظم الدول التي تضم الجاليات الإسلامية، والجالية المغربية.

ويكفيه فخرا وشرفا، تشييده للمعلمة التاريخية : مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء، والتي تعتبر بحق من أعظم المنجزات التي ساهم فيها الشعب المغربي عن طواعية واختيار، مما يدل دلالة واضحة على التحام الشعب بالعرش، وذلك إحياء وترسيخا لسنة حميدة من سنن السلف الصالح، لإعلاء كلمة الله وراية الإسلام.

إننا إذ نخلد هذه الذكرى الجليلة، الذكرى الثلاثين لتربع جلالة الحسن الثاني على عرش أسلافه الميامين، بما يناسبها من الإجلال والاحترام، فإننا نخلد في الحقيقة ذكرى اعتلاء موحد البلاد، وضامن وحدتها، ورائد نهضتها الحديثة، على عرش أسلافه المنعمين، ففي عهد جلالة والده المنعم، وبأمر منه رحمه الله، قاد ابنه البار عملية تحرير طرفاية سنة 1958، مدشنا بذلك عملية تخليص باقي الأراضي المغربية المغتصبة. وهكذا ففي سنة 1969، التحقت منطقة سيدي ايفني بباقي تراب الوطن.

وبفضل المسيرة الخضراء، معجزة القرن العشرين، التي أبانت عن عبقرية جلالته وحسن تدبيره تم استرجاع الساقية الحمراء ووادي الذهب.

كما أن قضايا الإسلام والمسلمين، تأتي في طليعة اهتماماته، فقد حضر جلالته العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت بالخارج، كما ترأس العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت بالمغرب تحت رئاسة جلالته، وبفضل حنكته وتجربته، استطاع جمع شمل الأمة العربية، وإصلاح ذات البين، وتم الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب

الفلسطيني، وتم انتخاب جلالته بإجماع من طرف ملوك ورؤساء الدول العربية والإسلامية كرئيس للجنة القدس.

ولا ننسى الجهود التي بذلها جلالته في سبيل إرجاع دولة مصر إلى حظيرة الدول العربية. وجلالته يكرس جميع جهوده والإمكانيات المتوفرة لديه لنصرة الأمة الإسلامية، فقد أرسل حفظه الله تجريدة عسكرية إلى مصر سنة 1967، وتجريدتين آخريين إلى كل من الجولان وسيناء سنة 1973. وبفضل ما يعرف به الجندي المغربي من جرأة وبسالة واستماتة في القتال، أمكن إنقاذ مدينة القنيطرة بسوريا، وميناء بور سعيد بأرض مصر من احتلال إسرائيلي محقق.

إن الحسن الثاني، خلق وعاش للدفاع عن الدين وعن إخوانه في الدين، كما خلق وعاش للدفاع عن كل قضية عادلة من شأن إيجاد حل لها، وأن يتوطد السلم، وتزول السخائم من النفوس، ويتقوى التفاهم والتعاون بين البشر، لأن ذلك يدخل في باب التضامن الذي أوجبه الله على المسلمين فيما بينهم، فكلما حدث حادث يُعَرِّضُ أرض بلد مسلم، أو يهدد سير دواليبه وأجهزته بخطر، إلا وكان جلالته سباقا لدرء الخطر وإصلاح الخلل، وما الخطوات التي خطاها اتحاد المغرب العربي في سبيل إرساء الأسس السياسية والاقتصادية، إلا دليل واضح على جهود جلالته المبذولة لتحقيق وحدة بلدانه، وتشييد صرحه عن طريق الإرادة المشتركة، والتعاون المتبادل، لأن ذلك من شأنه أن يضمن الأمن والاستقرار، والتكامل والازدهار لجميع الأقطار المغاربية.

ولا ننسى في تخليدنا لهذه الذكرى الغالية على الشعب المغربي قاطبة، الجانب الاجتماعي الذي ما فتئ جلالته في كل المناسبات يعطيه أهمية قصوى، ولا أدل على ذلك من اهتمامه البالغ بقضايا الشباب، وحل مشاكله بالطرق الناجعة، حيث نجد جلالته يحرص دائما على أن يرتقي بالشباب المغربي ويكرمه، ويفسح المجال أمامه لتكون مشاركته فعالة، وسبيلا نحو تطوير المجتمع، وتحديث مقومات المغرب الجديد.

ومما يبرهن على اهتمامه وحرصه على عنصر الشباب، هو إحداثه «لمجلس الشباب والمستقبل»، هذا المجلس، الذي يهتم بمصالح الشباب، ويحرص كل الحرص على أن يستغل هذا الشباب قدراته، وطاقاته الابداعية، فيما يعود بالنفع عليه وعلى وطنه، ذلك المجلس، الذي بعث الأمل في قلوب المغاربة قاطبة.

واهتماما من جلالته بهذا العنصر الخلاق - عنصر الشباب - نجد جلالته يعين لهذا المجلس نخبة من المثقفين ذوي الكفاءات العليا من أجل السهر على حل مشاكلهم. فقد جاء في خطابه حفظه الله حاثا إياهم على الاهتمام بقضايا الشباب قائلا : «عليكم أن تعلموا أن المغرب يواجه كل سنة مشكلة معضلة، ألا وهي تشغيل مائة ألف من الشباب المغربي كل سنة».

إن جلالة الحسن الثاني ملك شريف أصيل، عارف بأحوال المغاربة وأصولهم وتاريخهم، رضع لبان الأصالة المغربية بكل ما تحمله من عوامل

موقظة للأحاسيس الشريفة، النابعة من تعاليم الإسلام المترسخة في أعماق الشعب المغربي، وهو يعمل جادا لإحياء ما اندثر من عبقريات، وإظهار ما خفي من مكرمات، خدمة لشعبه وهداية له، حتى لا يتيه جزء منه في المنعرجات المهلكة، والمنحرفات المضلة، إلى أن يتعمق في جميع العقول المغربية.

لقد عرف جلالته على الساحة الدولية، بأنه مناضل صلب من أجل إحقاق الحق العربي، معروف أيضا لدى العالم فيما يتصل بموقفه إزاء القارة الإفريقية التي ينتسب إليها.

ومما يدل على اهتمامه البالغ بالقضايا العربية، مجهوداته الجبارة التي بذلها مع أشقائه العرب في قضايا الشرق الأوسط، تلك القضايا التي تشغل باله، وتحتل قسطا وافرا من اهتماماته. كيف لا وهو يعلم حفظه الله المخططات الرهيبة التي تستهدف نسف كيان الأمة العربية والإسلامية على السواء، وذلك بزرع الفتن والتفرقة بين الإخوان والأشقاء، وإعلان الحروب الإبادية التي تأتي على الأخضر واليابس.

إن فضائل جلالة الملك الحسن الثاني ومكارمه على الشعب المغربي خاصة، والأمة العربية والإسلامية عامة، لا يمكن أن تنحصر في قول مهما كان حجمه، وليست هذه الفضائل بغريبة عن جلالته، بل هي موروثة عن أسلافه المنعمين في كل عصر وجيل، ذلك أن ملوك الدولة العلوية قد حرصوا عبر التاريخ على الاهتمام بشعبهم، وبالشعوب العربية والدول الإسلامية كلها.

والشعب المغربي من جانبه يحرص كل الحرص، في أي مناسبة من المناسبات، وخصوصا في هذه الذكرى الغالية،على التعبير عما يكنه لهذا العرش الصالح، وللملوك العلويين، من حب ووفاء. وهذا التلاحم بين العرش والشعب، جعل الأمة المغربية تقف عبر العصور صامدة في وجه الأطماع الخارجية، وقلعة من قلاع الإسلام الشامخة، وحصنا من حصونه القوية، وذلك للجهاد في سبيل نصرة الحق، وكسر شوكة التحدي المعادي للدين والوطن.

الرشيدية ـ مولاي المهدي القاسمي

العمران والازدهار من خلال كتاب التحدي

للأستاذ
عبد القادر
العافية

من بين أبواب كتاب التحدي لجلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ونصره باب بعنوان : «السكنى لأكبر عدد»[1]، هذا الباب القيم يعالج موضوعا هاما في حياة المجتمع البشري وهو وجوب انتشار العمران الحضاري، وتوفر السكن، والتوسع في البناء.

والمتصفح لكتاب التحدي يرى أن الكتاب يلخص تاريخ المغرب تلخيصا عجيبا، ويضع أصابع القارئ على أهم الأحداث المؤثرة في المغرب الحديث، ولذلك يعد كتاب التحدي من الوثائق النادرة، كتاب رصعت فصوله ومباحثه بمهارة عجيبة، وبموضوعية ومنهجية يعز وجودهما في غير هذا الكتاب.

والباب الذي أود الحديث عن بعض فقراته، وتلخيص بعض معانيه، هو باب يعالج موضوع العمران بالمغرب من عهد ما قبل الحماية إلى أواخر السبعينات، لكن قبل ذلك لا بأس بإلقاء نظرة وجيزة عن موضوع العمران عند بعض علمائنا ومفكرينا السالفين مثل ابن حزم الأندلسي، وابن خلدون، وابن رضوان، وابن الأزرق.

ومعلوم أن الحضارة الإسلامية قامت منذ البداية على إنشاء العمران، والتوسع فيه، وازدهاره، فمنذ بناء المسجد النبوي بالمدينة المنورة على عهد النبي ﷺ انطلقت حركة البناء والعمران بالمدينة. وبنيت الدور السكنية في مختلف جهاتها، وضواحيها.

وواكب ازدهار العمران انتشار الإسلام، حيث أنشئت مدن جديدة كالبصرة والكوفة وغيرهما، وازدهرت مدن الشام على عهد الدولة الأموية،

1) كتاب (التحدي) لجلالة الملك الحسن الثاني. ص : 189 ط : II 1983.

وعرفت دمشق أزهى عصورها الحضارية والعمرانية، وكذا مدينة القدس بإقليم فلسطين من بلاد الشام.

وأنشأ العباسيون مدينة بغداد، دار السلام، ثم سُرَّ مَنْ رأى، وغيرهما من المدن، وعرفت بغداد ازدهارا عمرانيا قل نظيرة، حيث اتسعت أحياؤها وكثرت مبانيها وتعددت مساجدها، وخاناتها، وأسواقها وقصورها ومكتباتها، ودور العلم بها، ومختلف أنواع المعاهد والمدارس... وعرفت الأندلس بفضل الفتح الإسلامي ازدهارا عمرانيا كبيرا، وأصبحت قرطبة إحدى العواصم الإسلامية الكبيرة تباهي بعمرانها وبناياتها بغداد ودمشق والبصرة والكوفة.

وهذه المظاهر العمرانية لفتت أنظار المؤرخين وكتاب الرحلات والجغرافين، وألفت كتب عن خطط المدن وعمرانها. وبشمال افريقيا والمغرب العربي ازدهرت بعض المدن ازدهارا كبيرا مثل : القيروان وفاس والقاهرة وبجاية ومراكش وتلمسان وغيرها... وبعد الفتح الإسلامي للهند وبلاد الشرق الأقصى ازدهر العمران بهذه البلاد ازدهارا كبيرا، وتفنن الناس في إبداع أشكال هندسية غاية في الرونق والجمال.

ومعنى هذا، أن الازدهار الحضاري يستلزم الازدهار العمراني والعكس بالعكس، ولذا ألح علماء المسلمين على وجوب العناية بالمنشآت العمرانية، وعلى وجوب صيانة العمران، ووجوب تمكين الناس من وسائل الاستقرار والبناء، يقول ابن حزم : «يأخذ السلطان الناس بالتجارة وكثرة الغراس، ويقطعهم الإقطاعات في الأرض المَوَات، ويجعل لكل أحد ملْكَ ما عمّر، ويعينه على ذلك لترْخُصَ الأسعار، ويكثر الأغنياء...»[2].

يؤخذ من كلام ابن حزم أن اشتغال الناس بالغراسة وعمارة الأرض بمساعدة الدولة يكون سببا في رخص الأسعار وانتشار مظاهر الرفه.

ويقول ابن خلدون : «فصل في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة الرفه لأهلها ونفاق الأسواق إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثرة والقلة... إلى أن يقول : «ومتى زاد العمران زادت الأعمال، ثم زاد الترف تبعا للكسب، وزادت عوائده وحاجاته... فما كان عمرانه من الأمصار أكثر وأوفر كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المصر الذي دونه على وتيرة واحدة في الأصناف - وهو يشير هنا إلى أن ارتفاع مستوى الدخل الفردي يزيد بازدهار العمران - القاضي مع القاضي، والتاجر مع التاجر، والصانع مع الصانع، والسوقي مع السوقي، والأمير مع الأمير، والشرطي مع الشرطي، واعتبر ذلك في المغرب مثلا بحال فاس مع غيره من أمصاره الأخرى - حيث كانت فاس عاصمة الدولة المرينية وازدهر عمرانها - مثل بجاية وتلمسان وسبتة، تجد بينها بَوْناً كثيرا على الجملة، فحال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان، وهكذا كل صنف من صنف أهله... إلى أن يقول : «وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم، وهما

2) بواسطة (بدائع السلك) لابن الأزرق : 1 : 223.

بفاس أكثر لنفاق سوق الأعمال بما يدعو إليه الترف، فالأحوال أضخم... وأهل الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال، متقاربين في الفقر والخصاصة؛ لأن أعمالهم لا تفي بضروراتهم. إلى أن يقول : «ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن، ووسع المصر، وكل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره، واعتبره بكثرة العمران، وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها البذل...»[3].

ويقول ابن الأزرق : «إن الدولة والملك للعمران بمنزلة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ لنوعه، لوجودها، وانفكاك أحدهما عن الآخر غير ممكن، على ما تقرر عند الحكماء، فالدولة دون العمران لا تتصور، والعمران دونها متعذر، وحينئذ فاختلال أحدهما مستلزم لاختلال الآخر كما أن عدمه مؤثر في عدمه»[4].

ثم يقول بعد ذلك : «وتقرر عند الحكماء : الملك بالجند، والجند بالمال، والمال بالعمارة»[5] ونرى كلا من ابن خلدون وابن الأزرق يؤكدان أن ازدهار العمران من أسباب تعدد مصادر الكسب وتنوعها. يقول ابن الأزرق : تعدد الأعمال من أسباب الكسب، وهو مما يفضي إلى وجود الثروة، وينشأ عن ذلك شموخ الملك بنمو الجباية، وصرف ما يفضل منها إلى اتخاذ المعاقل والحصون واختطاط المدن والأمصار...».

وينقل عن ابن خلدون قوله : «أقوى الأسباب في الاعتمار تقليل مقدار الوظائف على المعتمرين ما أمكن؛ فبذلك تنشط النفوس إليه، ليعينها بإدراك المنفعة فيه».

وهو يومئ بهذا إلى وجوب تسهيل أمور السكن، والمعيشة، ليقبل الناس على البناء والعمارة، وعلى تعاطي أسباب الحصول على الرزق.

ويذكر ابن الأزرق أن العمارة تحفظ بالعدل الذي تقوم به السماوات والأرض، ويقول : قالوا : «لا جباية إلا بعمارة ولا عمارة إلا بالعدل، وينقل عن ابن رضوان[6] أنه قال : «بالعدل عمرت الأرض، وقامت الممالك».

فعلماء المسلمين اهتموا اهتماما بالغا بموضوع العمران، والتمدن، والاستقرار، وأطالوا الكلام في هذا الموضوع بحسب ما كانت تقتضيه الأزمنة التي عاشوها، والأحوال التي لاحظوها، أو مارسوها.

أما جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله فقد عالج موضوع العمران والسكن بمنطق العصر، وبموضوعية متناهية في الدقة، فهو حفظه الله بعد ما صور بأبلغ أسلوب وأروع بيان ما كانت عليه أحوال المدن والبوادي على عهد الحماية، وأشار إلى التناقضات بين ما كانت تقرره باريس وبين ما يطبقه المقيمون العامون بالمغرب.

---

3) (مقدمة ابن خلدون) طبعة بن شعرون بمصر : 270 ـ 272.
4) (بدائع السلك في طبائع الملك) لمحمد بن الأزرق الأندلسي المتوفى : 896 هـ/1491 م الجزء الأول ص : 223. ط : الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1977.

5) المصدر نفسه.
6) هو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي ثم الفاسي، له عدة مؤلفات منها : كتاب السياسة، وهو من الكتب التي اعتمدها ابن الأزرق في كتابه (بدائع السلك).

بعد ما أوضح هذه الأمور بأحسن أسلوب وأوجز عبارة، يقول : إن توسع المدن كان قد اكتسب طابعا لا يتحكم فيه، ولا يمكن التراجع عنه... من عام 1936 إلى عام 1952 فقدت الأراضي القروية التابعة لأقاليم الدار البيضاء، وفاس، ومراكش على التتابع لصالح المدن ما نسبته 12,5 ٪، 14,6 ٪ / 17,7 ٪ من سكانها، وفي خلال هذه الحقبة فعلت المدن المزدهرة على شاطئ الأطلسي ما يفعله المغنطيس، إذ اجتذبت إليها من الأرياف والبوادي نصف مليون مواطن، وفي عام 1960 لم يكن في المغرب إلا ثمانية مدن ترتفع عدد سكانها 100,000 نسمة، أما اليوم فقد ارتفع هذا العدد إلى اثنتي عشرة مدينة، وأعطى أمثلة بالبيضاء، والرباط، وسلا، وفاس، ومراكش، وطنجة، ووجدة، وتطوان، والقنيطرة، وآسفي وخريبكة وأكادير.

ثم يقول حفظه الله : «ولم نعد الأمر يتعلق بخلق فرص جديدة للشغل فحسب بل بإيجاد حل بادئ ذي بدء لمشاكل فرضها «تسارع اتساع المدن وإسكان عدد ضخم» ومشاكل كهذه تمثل مصاعب هائلة لها تعقيدات تفوق الحد. لقد ووجهت هذه المشاكل بعزم وفق مخططات جريئة، وكلها بحمد الله أعطت نتائج طيبة...»[7].

وهكذا نرى جلالته حفظه الله مهتما شديد الاهتمام بقضايا العمران بالمغرب، بكل ما تحمله كلمة العمران من معنى : اقتصادي واجتماعي، وسكني... ويعطي جلالته أرقاما ناطقة بالحقائق والنتائج الملموسة.

ويشير جلالته إلى المخططات التي اتخذت لمعالجة مشاكل العمران وهي مخططات لفتت أنظار الباحثين والدارسين إلى أن يقول : «منذ عام 1950 كان من الصعب الحديث عن إضفاء طابع المدينة على التنظيم العمراني. ففي الدار البيضاء مثلا كان من الأصح الحديث عن «إضفاء طابع القرية» على الضاحية حيث كنا نرى انبثاق الدواوير (القرى) الحقيقية، فأكواخ القصدير حلت هناك محل النوالة، أي الخيمة، ومنذ أن أصبح ذلك في استطاعتنا عملنا على نحو نجعل معه مواطنينا المحرومين من كل شيء، يملكون الأرض التي بنوا فوقها - على نحو مؤثر للغاية - كوخهم المؤقت وكان علينا أن نسرع بالعمل، لأن البؤس والجوع لا ينتظران»[8].

وهكذا نرى أن هذه العبارات تفيض حنانا وشفقة على المعوزين الذين يكدون ليل نهار من أجل الحصول على مسكن يلجأون إليه، ونرى أن الإمام حفظه الله يتحمل مسؤولية الإمامة بكل جدارة وأمانة، ويقوم بإنجاز أعمال جليلة لحل مشكل الإعمار والسكن، والتغلب على صعوبة الحياة، وهذا من باب النصيحة للرعية والتفكير الجاد في حل مشاكلها بالوسائل الناجعة.

وجاء في الكتاب بعد الفقرات السالفة : «وخلقت مناطق لتجهيزات تدريجية حتى يستطيع

---

7) كتاب (التحدي) ص : 195 - 196.

8) المصدر نفسه.

المواطن لقاء مبلغ ضئيل أن يبني بناء حجريا، وفوق أرض يمتلكها، مسكنا من غرفتين، مع فسحة صغيرة وماء، وبيت نظافة، كما خُلق صندوق وطني لشراء الأراضي وتجهيزها، وتَجِدُ وزارة التعمير والسكنى، والمحافظة على البيئة لتتحكم في السوق العقارية، و«لتجمد» أثمان الأراضي التابعة للدولة، ولتنشط وتراقب مبادهة البنائين والممولين، والمحترفين، ولتشجع البناء الذاتي ولتنصب أجهزة التنفيذ الجديدة وتحثها على العمل»[9].

حقيقة أنه بمثل هذه المشروعات، والمنجزات تعالج قضايا التعمير والسكن، والاهتمام بهذه القضايا العمرانية له دلالته الحضارية، والتمدينية، وهو يدخل ضمن اهتمام الراعي بالرعية، وفي النظر إلى المستقبل القريب والبعيد قصد بناء وطن يتمتع بكامل ظروف الرخاء، ومناخ العزة والكرامة والاستقرار.

ثم يضيف جلالته قائلا : «إن الاعتمادات المقررة لتجهيز أراضي السكن، ولبناء المساكن بأسعار رخيصة والمقررة في مخطط 73 ـ 1977 قد ضوعفت، ومولت مجموعة من مؤسسات التجهيز والبناء من قبل صندوق الإيداع والتدبير، وقد دلت التجربة على أن ساكن الكوخ إذا أصبح مالكا شرعيا لأرضه يكون قادرا بمعونة الدولة على إقامة بناء حجري، ولذلك فإن البناء الشخصي شجعناه، في نفس الوقت الذي كنا نقيم الأسعار الرخيصة، ونزيد من عدد طبقات المساكن الحجرية الموجودة. وكان علينا أن نعين بأسرع وأكمل ما يمكن مواطنينا الأكثر فقرا، ويجب الاعتراف صراحة الآن أننا كنا على حق عندما وضعنا ثقتنا فيهم»[10].

إن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن مصلح اجتماعي من النوع الممتاز، مصلح اجتماعي كرس حياته لخدمة المجتمع وللقيام بدراسات اجتماعية ميدانية واسعة النطاق.

فإعانة المواطن الذي هو أكثر فقرا، ومساعدته ليصبح مالكا منزله فوق أرضه، وفي ملكه الخاص، يعد من الإصلاحات الاجتماعية الكبيرة، وأكثر من ذلك يلاحظ القارئ لهذه العبارات السامية أن جلالته مطمئن تمام الاطمئنان إلى هذه المساعدات، وإلى هذه التدابير، وهو حفظه الله يؤكد الاعتراف صراحة بأن الثقة في هذه الطبقة من المواطنين كانت في محلها، بل هي ثقة تثلج صدر العاهل الكريم، ويبتهج لها أيما ابتهاج.

ومع ذلك يرى جلالته حفظه الله «أن الأمر يتطلب جهدا متواصلا كل يوم» ثم يقول بعد ذلك : «وإذا ما تفحصنا تطور الإنجازات كل خمس سنوات نرى في قطاعات التجهيز (Z.E.P) أن 192000 مسكن قد بنيت، أو هي في طريق الإنجاز، وأن 50.000 مسكن قد زيد في عدد طبقاتها، أما فيما يخص مساكن الأسعار الرخيصة (H.B.M) فإن المساكن التي بنيت وانتهت، أو التي هي في حالة البناء والمهلة التملك يبلغ عددها 120.000 مسكن،

9) المصدر نفسه ص : 197.

10) المصدر نفسه ص : 198.

أما في القطاع الخاص فقد شيدت 75.000 دار منذ نهاية عام 1971...».

فجلالته حفظه الله له إطلاع واسع بكل ما يجري في هذا المضمار، ويعطي على ذلك أوضح الأمثلة بالدليل والبرهان... ولاشك أنه منذ صدور الكتاب إلى يومنا هذا قد خططت مشاريع أخرى، وبنيت كثير من الأحياء السكنية، وبعضها وزعت منازلها على المواطنين، والبعض الآخر في طريق الإنجاز.

وهكذا يلاحظ الدارس للكتاب أن البَوْن شاسع بين مخططات الحماية الهزيلة الجامدة، وبين مخططات عهد الاستقلال في ظل القيادة الرشيدة لعاهل المغرب الكريم.

فعاهلنا المصلح الطموح يعمل على أن يبوئ شعبه مكانة سامية بين الشعوب، ويهدف بمخططاته الرائدة وإنجازاته المتلاحقة أن يضمن العيش الرغيد لكل فئات المجتمع المغربي.

ويرى أن هذا من حقه، ولذا فهو حفظه الله يعمل ليلا ونهارا من أجل إسعاد شعب وازدهار أمته.

فالمنجزات طموحة، وهي في نفس الوقت متحدية للصعاب التي لا يمكن التغلب عليها إلا بإرادة صلبة، وعزيمة قوية، ومثابرة لا تعرف الملل... ولذا لا نبالغ إذا قلنا : إن من أبرز سمات منجزات عهد الحسن الثاني الطموح، والتحدي، ويتجلى ذلك بوضوح في المشاريع الكبرى كإقامة السدود، وتشييد المنشآت العمرانية ذات المستوى الرفيع، وها هو مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء يناقس أضخم المنشآت العمرانية في العالم !!

والطموح والتحدي صفتان بارزتان في منجزات الحسن الثاني نصره الله وهما يدلان على علو الهمة، وسموها، وعلى نبل المقاصد وجدية المخططات.

وبعودتنا إلى الكتب التي تتحدث عن سياسة الملك، نجد أن مؤلفيها يؤكدون على وجوب التحلي بهذه الصفات، وأنها من شروط من يتحمل المسؤوليات الكبيرة، كالإمامة الكبرى، ورعاية شؤون الأمة.

والكلام في موضوع العمران على عهد الحسن الثاني حفظه الله ونصره يحتاج إلى وقت طويل، وإلى دراسة مستفيضة، وأبحاث ميدانية، وهذا ما نتمنى أن يقوم به بعض الباحثين والدارسين لما في مثل هذه الدراسات من وضع اليد على أسباب الازدهار العمراني في بلادنا. وكتاب التحدي غني بالدلالات ذات الأبعاد الطموحة والهادفة، وهي في حاجة إلى دراسة متأنية تستفيد منها الأجيال المقبلة.

سلا ـ عبد القادر العافية

عيد العرش الذكرى والتاريخ

للأستاذ
سمير البوزيدي

من مقومات الأمم والشعوب أن تجعل لها أعيادا خاصة منبثقة من تاريخها ومواقفها، تستعرض فيها أمجادها ومفاخرها، وما حققته من خطوات في درب النماء والتقدم، ومجال العزة والكرامة، وتحصين السيادة.

والمغرب كباقي الأمم العريقة، له أعياده وذكرياته، يحتفل فيها بالأمجاد الخالدة، والمآثر التاريخية، التي أضاءت سبل ومسارات النمو والارتقاء، وبالبطولات التي حققت له الحياة الهنيئة، وظلت وضاءة لا تزيدها الأيام إلا رسوخا وإشراقا.

ومن بين الأعياد الوطنية للمغرب عيد العرش المجيد، هذا العيد الذي كلما أقبل، إلا وابتسمت ثغور الأمة المغربية، واهتزت قلوب ومشاعر الشعب المغربي، وتفننت الأفكار وتوحدت الرؤيا في إطار معالم الزينة والأفراح، وتفجرت العبقريات وتنافست الأقلام في التعبير عن مغزى الذكرى، وتحليلها في ضوء المواقف التاريخية التي وقفها العرش والشعب جنبا إلى جنب، صامدين في وجه الملمات والأحداث.

فإذا كان التاريخ يعلن لنا ذكرى جلوس قائد الأمة على عرش أسلافه المنعمين في الثالث من مارس، فإنه يعلن من خلال ذلك، ضرورة التوقف لحظات، لمحاسبة النفس وإمعان التفكير في المغزى البعيد الذي تنفرد به هذه الذكرى، ليستطيع الكل أن يتفحص صفحات مجيدة من ثنايا تاريخ حافل بالمواقف والبطولات التي عايشها، وانصهر معها، وتذوق حلوها ومرها هذا العرش. وقد يدفعنا حبنا للوطن الرائد والعرش القائد، إلى الرغبة في التطلع والانفتاح بكل إمكانياتنا الفكرية، وطاقاتنا العقلية والروحية على هذا التاريخ الحافل، ومدارسة محتوياته بعمق وتقص، ومراجعة كل ما يكتنزه من جلائل الأعمال وعظائم التضحيات، واستخلاص العبر والدروس من سلسلته الذهبية.

لذلك، فإن احتفال الأمة بهذا العيد، إنما هو احتفال بالمفاخر والأمجاد، وتطلعا من ذلك نحو تحقيق المزيد من الانتصارات لهذا الوطن.

فلا يُنكِرُ تضحيةَ العرش المغربي في سبيل عزة الوطن إلا من أصابه مرض العقوق والجحود، ويكفي أن يسجل التاريخ للأجيال الحاضرة والمقبلة أن الانطلاقة الأولى للمقاومة المغربية كانت من تدبير العرش، كما أن شرارة الكفاح من أجل تحرير البلاد من ربقة الاحتلال الأجنبي والهيمنة والاستعمار اندلعت من داخل أبنية القصر الملكي بتنسيق مع الحركة الوطنية لتكوين الأنسجة الأساسية لمواجهة الاستعمار الغاشم، ومعلنة للشعب المغربي المتجاوب بحماس، الوفي للرسالة، الشاعر بالمسؤولية الوطنية، والرافض لكل أنواع الاستعمار الفكري والسياسي، الجهاد المقدس من أجل استرجاع السيادة والكرامة من أيدي الغاصبين الغزاة، وانتزاع الحرية والشرف مهما كلف هذا الانتزاع من غال ونفيس. ولذلك أعلنها حربا شعواء حتى النصر، إلى أن جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا! فكانت ثورة الملك والشعب الخالدة منبثقة عن توجيهات العرش، والجالس على أريكته آنذاك محمد الخامس طيب الله ثراه، ووارث سره وخلفه جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله، وبفضل ذلك، تأسست الخلايا الأولى التي شكلت النواة لحركة المقاومة والحركة الوطنية. وإذا تدارس الباحث تاريخ المقاومة، سيجد تحليلا ينم عن مواقف الشرف الخالدة التي وقفها العرش القائد، والشعب المغربي المكافح.

لقد بدأت حفلات عيد العرش تتخذ شكلا من الروعة كما نشاهده في حاضرنا السعيد، حيث يكتسي أهمية كبيرة في مسيرتنا الوطنية، والاحتفال به معناه : تخليد للأمجاد، واستعراض للأعمال والمنجزات. وسنة بعد أخرى يحقق المغرب خطوة نحو الأمام في مجالات التحرير والوحدة، والتجهيز والتأطير والوثوب بالإنسان المغربي وثبات جزّيئة نحو الارتقاء مع اقتحام كل المجالات التي يجاريها العالم المعاصر اليوم. إضافة إلى كونه مناسبة للانطلاق نحو محاسبة النفوس، وموازنة الأعمال والمنجزات، وتشخيص نوعية الإيفاء بالتعهدات والمسؤوليات، وتسليط الإشعاعات حول ما يمكن أن يقع من تقصير وتهاون وإهمال في الشعور بالمسؤولية، عملا برسالة المواطنة التي لها على الإنسان حق مثلما لنفسه عليه حق. إذ أن للوطن على أبنائه حقوقا كما أنه مدين لهم بدوره بحقوق وواجبات. ولعل أوجب واجباتنا نحو الوطن هي أن نحافظ على مكتسباته، وذلك بجعل اليد في اليد، وتوحيد الصف، والذود عن كيانه، للالتفاف حول العرش والجالس على أريكته، صوب تحقيق كل الأهداف الوطنية الكبرى، والعمل بتفان وإخلاص ونكران الذات في سبيل الوثوب بالبلاد وثبات متلاحقة في دروب التقدم والرقي، ومضاعفة الجهود رعيا للمصلحة العليا للأمة، والانصراف قلبا وقالبا إلى الأعمال البناءة بعيدا عن كل النزوات والنزعات، واستهدافا للصالح العام.

ولتكن من مناسبة عيد العرش فرصة لتجديد العزائم وتوطيدها، والاندفاع إلى الأمام في تشييد

صرح المغرب وفقا للروح الوطنية، والمبادئ الإسلامية، والقيم والمثل العليا التي تتمازج في سلوكنا، وتطبع حياتنا الوطنية - دستوريا وقانونيا وتشريعيا - تلك المبادئ والتعاليم التي يحرص الجالس على العرش على حمايتها وتركيزها في الأذهان، ولم يفتأ يحث عليها باستمرار في كل توجيهاته وخطبه، والتي جبل عليها منذ نعومة أظفاره، وتكونت على هديها شخصيته، وعلى منوالها تربى، وبها يريد أن يتحلى شعبه، وعلى أساسها يرغب أن يتم إعداد الجيل الصاعد وشباب الأمة ورجال الغد، معطيا بذلك المثل في تربيته لأبنائه البررة، وبهذا السلوك القويم والمنهاج السليم، تلاحمت القلوب والعواطف، ورسخ التجاوب فيما بين الشعب والعرش.

وتأتي هذه المناسبة في كل سنة، لتطعم عوامل المحبة والتعلق، وتزيدها قوة ورسوخا، وهي في الحقيقة مناسبة جديرة بكل تكريم، لأنها تذكي في الشعور الوطني روح الشعلة، وتحث الضمائر والنفوس على التمسك بالمقومات، وتذكر بالأمجاد، والمراحل التي طوتها بلادنا بقيادة العرش، وبالتالي تتيح فرصا لمحاسبة الأنفس والضمائر، ووزن وتقييم الأعمال والمنجزات، وتعطي الدليل على أن ملكية المغرب ترتكز على رصيد قوي من العدل الذي هو أساس الملك، مما يجعل بلادنا تحتل مكانها في مصاف البلدان الديموقراطية.

ولعله من نافلة القول أن يشار إلى هذا في شخص جلالة الملك الذي يخص الشعب في مثل هذه المناسبة من كل عام بعرض مفصل، وبلغة الحقائق والأرقام عن منجزات الدولة، وما حققته في بحر السنة من خدمات ومشاريع، مستعرضا صورا حية لنشاط كل دوالب الدولة وقطاعاتها ومرافقها الهامة؛ وتزداد هذه الثقة بين العرش والشعب مع الأيام متانة وقوة، كما يتجلى ذلك بصورة أكثر وضوحا من خلال الدستور المغربي، وباعتبار التحررية التي تطبع صبغة القوانين والتشريعات المغربية باستمرار، وهكذا فإن الباحث في شخصية قائد البلاد تتضح له الخصائص المميزة للفكر الحسني، والثقافة الواسعة التي يتحلى بها هذا الفكر الفذ، مما يثير الاعجاب، والتعلق بشخصية وعبقرية هذا الفكر المبدع، وتتجلى هذه الصفات الحميدة في فلسفته الخطابية والتوجيهية، فهو يصيب حينما يتحدث إلى شباب الأمة بلغة العصر، حاثا إياهم على التمسك بالفضائل ومكارم الأخلاق، وعدم الانسياق في ركاب التقاليد العمياء، والتأثر بالأفكار الوجودية الهدامة، والظواهر الهستيرية، والموجات والعواطف العاتية التي اجتاحت الشباب عبر القارات، وزعزعت في نفس البعض منه روح الوعي والاتزان. فهو الذي خطب في تجمع كشفي سنة 1947 بطنجة صحبة والده المنعم رحمة الله عليه، محمسا طلائع الشباب والجماهير لتحمل المسؤولية، مجددا موقفه بشجاعة نادرة، واصفا أنها مجرد سحابة صيف عن تلك الفترة القاسية، قريبا تنقشع، وبالفعل انقشعت تلك الفترة المظلمة، وتحقق للمغرب استرجاع حريته وسيادته. وهكذا أصبحنا نشهد تطورا محسوسا في الحياة الوطنية ونمو الوعي وتنوير الفكر المغربي، كما

أخذت تتوفر الإمكانيات من سدود وطاقات بشرية ووعي جماهيري، وما من شأنه أن يساعد على تأطير البلاد وتجهيزها، والسير بها قدما إلى الأمام، متسلقة مدارج الرقي والتقدم والازدهار تحت ظلال العرش الذي هو الضمانة لسيادة الأمة ووحدتها. ولذلك فحينما نرى مظاهر الفرحة والاستعراض وأقواس النصر واللوحات الفنية التي تكتسيها الشوارع في المدن والساحات، في القرى والمداشر وفي كل شبر من تراب المملكة، فإننا نرى من خلال ذلك : الذكرى والتاريخ. وهذا ما ينبغي أن يستوعبه الجيل الصاعد وشباب الأمة ورجال الغد.

وبهذا السلوك الوطني ووفق هذا المنهاج السليم، تتلاحم القلوب والعواطف، ويترسخ التجاوب فيما بين العرش والشعب.

ولذلك يعتبر العرش منبعا لحياتنا، وطريقا لنهضتنا الإصلاحية الدائمة، لتنشيط ودعم مسيرة الكفاح، ومواصلة معركة التنمية، والوثوب بالبلاد وثبات إلى الأمام.

سلا ـ سمير البوزيدي

لقد من الله علينا وعليك شعبي العزيز، بأن رسخ في ضمائرنا رعاية ما قلدنا من واجبات، ووكل إلينا من مسؤوليات، فلم نمل نحن ولا أنت بما فرضه علينا بموجب البيعة من أحكام وشروط، بل سرنا نحن وأنت بحمد الله على النهج الواضح والطريق المستقيم، احتراما لما نص عليه ميثاق البيعة من التزامات، وأوجبة من فروض وتبعات، نهضنا ولله الحمد والمنة بما ألقى إلينا من أعباء، والحماسة تحرك الإرادات، وحب البلاد يشد العزائم، فما أكثر ما واجهنا من تحديات، وذللنا من عقبات، وحققنا من مطامح وأهداف، وكسبنا في الزمن القصير من معارك ومكاسب.

من خطاب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده،
الذي ألقاه حفظه الله بمدينة مراكش،
يوم الجمعة 24 رجب 1409 هـ موافق 3 مارس 1989م،
بمناسبة الذكرى الثامنة والعشرين لتربع جلالته على عرش أسلافه المنعمين.

فهرس العدد

□ تهنئة 4

ذكريات مشرفة وأيام خالدة
في تاريخ العرش العلوي المجيد

• نص الظهير الشريف الذي أسند بمقتضاه جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه ولاية العهد إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده 14

• خطاب جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بمناسبة تنصيب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده وليا لعهد المملكة 20

• جواب صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده على خطاب والده جلالة المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بمناسبة تنصيبه وليا لعهد المملكة 30

• فقرات من أول خطاب لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده إثر توليته عرش المملكة (15 رمضان 1380 هـ موافق 3 مارس 1961 م) 38

• دعاء 41

□ فرحة الذكرى وروعة البشرى
للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري 42

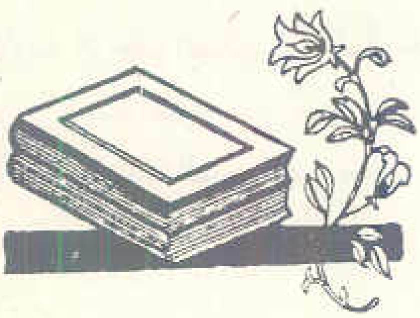
□ إفتتاحية العدد
عيد العرش المجيد : عيد الابتهاج والاعتزاز
دعوة الحق 46

من ثمرات القرائح وخلجات الجوانح
بمناسبة عيد العرش المجيد

- محمد الخامس والظهير والبربري
للأستاذ عبد الوهاب ابن منصور 54
- الدروس الحسنية نموذج جديد لدراسة الكتاب والسنة
للأستاذ محمد العرائشي 62
- حديث «السلطان ظل الله في الأرض» حديث متواتر
للأستاذ صهيب بن محمد الزمزمي ابن الصديق 70
- منهج الصحوة الإسلامية في الرسالة الملكية
للأستاذ أحمد أفزاز 75
- آيات البشائر
لشاعر الوحدة الأستاذ محمد الكبير العلوي 80
- الآصرة الخالدة بين جلالة الحسن الثاني وشعبه
للأستاذ أحمد مجيد بن جلون 83
- من العطاء الفكري الحسني
للأستاذ الحاج أحمد ابن شقرون 89
- عيد العرش... آمال وأعمال
للأستاذ عبد السلام جبران المسفيوي 92

- روعة الجلاء
للشاعر عبد السلام البقالي 95
- خواطر عن العرش العلوي الشريف :
الحسن الثاني رائد الشعب ومجدد العرش
لفضيلة الشيخ محمد المكي الناصري 101
- **العرش العلوي المجيد : جمع لشمل شعب وصون لكيان دولة وحفظ لدين أمة**
للدكتور ادريس العلوي العبدلاوي 105
- **عيد العرش : مكسب شرعي إسلامي**
للأستاذ محمد العلوي الهاشمي 121
- **قبسات من الفكر الحسني وإشعاعه**
للدكتور حمداتي شبيهنا ماء العينين 125
- **ثلاثون سنة من الجهاد الأكبر لرائد التحديات وصانع المسيرات جلالة الملك الحسن الثاني المؤيد بالله**
للأستاذ مقدم بوزيان 131
- في التاريخ الدولي للمغرب :
رسالة هامة من السلطان مولاي اسماعيل ملك المغرب إلى الأمير سعد بن زيد أمير مكة والمدينة *(بداية القرن 12 الهجري - أواخر القرن 17 الميلادي)*
للدكتور عبد الهادي التازي 135
- **المغرب القلعة الحصينة لمقاومة الزحف الصليبي منذ أواخر القرن العاشر الهجري**
للأستاذ مولاي مصطفى بن أحمد العلوي 144
- **صور ومواقف من مبادئ وأهداف الدولة العلوية من خلال حياة محمد الخامس وسيرة الحسن الثاني**
للأستاذ عبد الكريم التواتي 152
- **إشراقة العيد**
للشاعر عبد الواحد أخريف 171
- **المدارس العتيقة في سوس والملوك العلويون**
للأستاذ الحسين وجاج 176

- الجيش المغربي في عهد أبي النصر المولى اسماعيل قاهر الأعداء
للأستاذ عبد الحق المريني 181
- ذكرى عيد العرش
للأستاذ مصطفى بوذروة 187
- محمد الخامس رائد التحرير والتوحيد
للدكتور يوسف الكتاني 192
- مناجاة العرش
للشاعر مصطفى الدغاي 199
- الحسن الثاني باني الأمجاد ورائد الجهاد
للأستاذ مولاي المهدي القاسمي 203
- العمران والازدهار من خلال كتاب التحدي
للأستاذ عبد القادر العافية 208
- عيد العرش.. الذكرى والتاريخ
للأستاذ سمير البوزيدي 214



مطبعة فضالة . المحمدية . المغرب
رقم الايداع القانوني 1981/3

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط . المملكة المغربية



أسسها:
جلالة المغفور لـــه
محمد الخامس
قدس الله روحه
سنة
1376 هـ ـــــ 1957 م

التحرير:
الهاتف: 623.60

الإدارة و التوزيع
636.93
627.03
627.04
608.10

*

الاشتراكات : في المملكة المغربية : 70 درهماً
فـــي العـــالـــم : 80 درهماً

الحساب البريدي : رقم 55-485 . الرباط
Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55
à Rabat



مسجد السُّنة بمدينة الربَاط